قلعة رباح ودورها العسكري منذ إنشائها حتى سقوطها

(٦٠٢-٦٠٩هـ/٨٢٢-١٢١٢م)

إعداد

نوارة شاكر الشمري

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠١٣ م

نموذج ترخيص

أنا الطالب : لؤام شاكر فحل الشمري أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

قلعة رباح ودورها العسكري منذ إنشائها حتى سقوطها

٣٠٩ - ٦٠٢ هـ

٩٢١ - ١٢١٢ م

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته ليا.

اسم الطالب: لؤام شاكر فحل الشمري

التوقيع:

التاريخ: ٢٢ / ٥ / ٢٠١٣

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (قلعة رباح ودورها العسكري منذ إنشائها حتى سقوطهـــــا ٦٠٩-٦٠٢ هـ/ ١٢١- ٨٢٢م) وأجيزت بتاريخ ٨/٥/٢٠١٣.

أعضاء لجنة المناقشـــــــة	التوقيـــــــــع
الدكتور محمد عبده حتاملة، مشرفاً أستاذ ـــ تاريخ المغرب والأندلس	....
الدكتور صالح موسى درادكة، عضواً أستاذ ـ تاريخ إسلامي	....
الدكتور محمد عبد القادر خريسات، عضواً أستاذ ـــ تاريخ إسلامي	....
الدكتور محمد نايف العمايرة ،عضواً أستاذ ـــ تاريخ المغرب والأندلس (جامعة مؤته)	....

الإهـــــــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي الذي لم يبخل عليّ يوما بالتوجيه والإرشاد والتشجيع.

وإلى أمي التي زودتني بالحنان والمحبة.

أقول لهم: أنتم وهبتموني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة.

وإلى زوجي الذي كان خير معين لي في كل خطوة خطوتها أثناء إعدادي هذه الرسالة، وإلى أولادي الأعزاء.

وإلى كل من علمني حرفا أصبح سنا برقه يضيء الطريق أمامي.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل الذي أرجو الله أن ينفع به.

نوارة الشمري

شكــر وتقــديــــر

نستهل بالشكر والحمد لله عز وجل رب العالمين، الأول بلا أول قبله، والأخر بلا آخر يكون بعده، المعول عليه في الرجاء، والمطلوب رضاه للتوفيق والنجاح، والمتوسل به في الشدة، والمحمود المشكور في الرخاء، والحمد لله الذي من علينا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وبآل بيته المنتجبين الأوصياء الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

أما بعد فإن الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله قد بذل من الجهد معلما وموجها ومشرفا على هذه الرسالة، ما يوجب الشكر والثناء والتقدير، وهي كلمات لا يمكن أن تفيه حقه لقاء ما بذل وأعطى، ولكني أرجو أن تعبر ولو عن قليل من تقدير كثير أكتنزه له، آملة أن يظل عطاؤه موصولا لكي تنتفع بعلمه الأجيال.

وأما الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، فقد كان لهم من الفضل ما يحمد ويستوجب الثناء، فقد أغنت ملاحظاتهم العلمية هذه الدراسة، وجعلتها أكثر عمقا، وأعم فائدة. وما كان ذلك ليكون لولا أنهم ملأوا الليالي ببذل الجهد في قراءتها، وتمحيص ما جاءت به من أفكار ومعلومات، محصوها تمحيصا ، وأبدوا توجيهاتهم العلمية الرصينة لكي تخلو من الشوائب، فجزاهم الله عني خيرا.

والشكر موصول أيضا لكل من ساعد أثناء إعدادي هذه الرسالة، وأخص هنا زوجي العزيز الذي صبر، وما توانى لحظة عن مد يد العون، وتذليل كل صعوبة، وإزاحة كل عقبة اعترضتني أثناء دراستي.

والحمد للـــه رب العالمين.

فهرس المحتويات

قلعة رباح ودورها العسكري منذ إنشائها حتى سقوطها

(٢٠٦-٦٠٩هـ/٨٢٢-١٢١٢م)

إعداد

نوارة شاكر الشمري

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

ملخـــــــــــص

تتناول هذه الدراسة مدينة قلعة رباح الأندلسية، فتحدد موقعها، وتوضح سبب تسميتها بهذا الإسم ، ثم تطورها عبر العهود الإسلامية التي تعاقبت على الأندلس بدءا بعهد الدولة الأموية إمارة وخلافة، ثم في عهد ملوك الطوائف، وانتهاء بدولتي المرابطين والموحدين.

وتوضح هذه الدراسة مدى اهتمام المسلمين بقلعة رباح كموقع عسكري استراتيجي، كان له دور كبير في تزويد الجيوش الإسلامية المتجهة شمالا من أجل الفتح بالمؤن والرجال، ثم كان له دور في تسكين الفتن والإضطرابات التي كان يشعلها ثوار مدينة طليطلة في عهد الأمويين ومن تلاهم.. أما الدور الأكثر أهمية الذي قامت به قلعة رباح فقد جاء بعد سقوط طليطلة في يد النصارى، إذ أصبحت تشكل خطا دفاعيا مهما عن الأندلس، فشحنها المرابطون بالمؤن والمقاتلين، لكي تظل شوكة حادة في خاصرة النصارى.

ويدل على أهمية قلعة رباح أن المسلمين والنصارى على حد سواء كانوا يحرصون باستمرار على أن تكون في أيديهم، ولذلك تبادلوا الإستيلاء عليها، وعندما سقطت في أيدي النصارى للمرة الأولى سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م سلموها لجمعية دينية تعد من أشهر الجمعيات الدينية المحاربة ، وهي جمعية فرسان قلعة رباح. وعندما استردها المسلمون شحنوها بالمؤن والفرسان. وكان سقوطها ثانية في أيدي النصارى سنة ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، من أهم أسباب هزيمة الموحدين في موقعة العقاب التي ترتب على هزيمتهم فيها سقوط العديد من قواعد الأندلس، ومن ثم سقوط الأندلس كلها.

المقدمة

تميزت قلعة رباح بموقعها العسكري الإستراتيجي على طريق الفتوحات الإسلامية في الأندلس خلال عهد الولاة، وإضافة إلى استراتيجية الموقع كانت الأراضي المحيطة بها خصبة، وافرة الموارد الطبيعية، وأغرى ذلك الناس بالسكنى حولها، فعمرت، وتطورت، وما لبثت أن أصبحت مدينة آهلة بالسكان.

وتتناول هذه الدراسة تاريخ مدينة قلعة رباح وتطورها وأهميتها العسكرية عبر تاريخها الإسلامي، حيث تبين دورها في التصدي للثورات التي قامت في مدينة طليطلة، خلال عهد الدولة الأموية ، وهو الأمر الذي دفع الأمراء الأمويين إلى تحصين قلعة رباح، وحشد قواتهم فيها ، لكي تمد ولاة طليطلة وغيرهم من العمال الأمويين على النواحي القريبة منها بالعون اللازم كلما احتاجوا إليه.

وتوضح الدراسة ما تعرضت له مدينة قلعة رباح من خراب على أيدي ثوار طليطلة، الذين كانوا يهاجمونها كلما اشتدت شوكتهم باعتبارها قاعدة عسكرية أموية، مما أدى إلى خرابها. وكان الأمراء الأمويين كلما خربت على يد الثوار، يعملون على إصلاحها، وإعادة بنائها، وتوفير أسباب القوة والمنعة لها، وإعادة من نزح من أهلها إليها.

وتبين هذه الدراسة ما مر بقلعة رباح من تقلبات، فقد كانت تخرج أحيانا عن سيادة الدولة الأموية على يد الثوار، ففي عهد الأمير محمد ابن عبدالرحمن تغلب عليها بنو ذي النون، وهم من زعماء البربر، واعتبروها غنيمة لهم، غير أن الأمير عبدالرحمن الناصر استهل عهده بالقضاء على معظم الثورات، وتمكن من استعادة قلعة رباح إلى السيادة الأموية سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وعمل على أن تكون عصية على الثوار، واتبع في الوقت نفسه سياسة حكيمة تحول دون تفكير أي من عمالها بالإستقلال بها.

وكان تاريخ قلعة رباح في عهد الخلافة الأموية الذي بدأ سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م، حافلا بالأحداث، وقد ركزت هذه الدراسة على إبراز تلك الأحداث وخاصة تلك التي وقعت بعد وفاة الخليفة الأموي الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م ودور قلعة رباح فيها. وهو الدور الذي ازداد تأثيرا بعد سقوط

طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، حيث أصبحت مدينة حدودية، وازدادت أهميتها الإستراتيجية كموقع ثغري متقدم يفصل بين أراضي المسلمين وأراضي النصارى. وقد بينت الدراسة أهمية قلعة رباح في عهد المرابطين منذ خضوعها لحكمهم سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، حيث أصبحت ـ بسبب موقعها الإستراتيجي ـ ميدان صراع مع النصارى الذين حاولوا الإستيلاء عليها، ولم يتمكنوا من ذلك إلا بعد ضعف دولة المرابطين، حيث تمكن النصارى من احتلالها في أواخر سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م، مما أحدث اختراقا في الخطوط الدفاعية للمسلمين.

والجدير بالذكر أن الموحدين أدركوا الأهمية الإستراتيجية لقلعة رباح، ولذلك حرصوا على استعادتها من أيدي النصارى، وتمكنوا ـ كما توضح الدراسة ـ من ذلك، حيث استعادها الخليفة يعقوب بن يوسف المنصور بالله (٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م) سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م، وتم تطهير جامعها الذي كان النصارى قد حولوه إلى كنيسة. غير أن النصارى استولوا عليها مرة أخرى في عهد الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الله الناصر (٥٩٥ - ٦١٠هـ/ ١١٩٩-١٢١٣ م) بعد هزيمته في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.

هذا، وقد تم تناول موضوع الدراسة في أربعة فصول، الأول: قلعة رباح : موقعها، وتسميتها، وتطورها ، والثاني: تاريخ قلعة رباح في عهد الدولة الأموية مقسما إلى: عهد الإمارة، ثم عهد الخلافة. أما الفصل الثالث فكان موضوعه: قلعة رباح في عهد ملوك الطوائف، بينما تناول الفصل الرابع تاريخ قلعة رباح في عهد المرابطين والموحدين، حيث استعرض أولا تاريخها في عهد المرابطين ثم في عهد الموحدين.

الدراسات السابقة
وعرض أهم مصادر هذه الدراسة ومراجعها

لم أعثر على كتاب أو دراسة مستقلة وافية عن مدينة قلعة رباح الأندلسية، رغم ما بذلته من الجهود بحثا في المصادر المختلفة، ويرجع سبب ذلك إلى أن هذه المدينة لم تكن قاعدة أو مدينة كبيرة مثل قرطبة أو طليطلة أو غرناطة أو إشبيلية أو بلنسية أو غيرها، تلك المدن التي كانت عندما فتح المسلمون الأندلس مدنا كبيرة مشهورة، بنتها الأمم القديمة مثل الفينيقيين والرومان، وتوارثتها الأمم

التي جاءت بعدها، ومنها الأمة الإسلامية. فمدينة قلعة رباح كما أثبتت الدراسة، إنما كانت قلعة وحسب، ونمت وتطورت بعد الفتح الإسلامي، فكبرت وأصبحت مدينة. وليس من شك في أن موقعها الإستراتيجي، وأهمية هذا الموقع العسكرية، هما العاملان اللذان دفعا دفعا إلى نموها وتطورها، ولولا ذلك لبقيت قلعة وحسب لا يفطن إلى تاريخها سوى قلة من المهتمين بالتاريخ العسكري.

واقتصر ما عثرت عليه من معلومات عن مدينة قلعة رباح ودورها العسكري على ما تناثر في بطون كتب الجغرافية والبلدانيات والتاريخ والأعلام، من نتف كان لا بد من جمعها وتنسيقها وتحليلها، ومن ثم استخلاص ما يفيد هذه الدراسة وفقا لبنيتها التسلسلية، والموضوعات التي أريد لكل فصل من الفصول أن يتناولها ويوضحها.

فقد أفدت من كتاب الجعرافية لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزهري، الذي حققه محمد حاج صادق، وكتاب الروض المعطار، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري الذي حققه إحسان عباس، وكتاب معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، وكان لما أورده كتاب الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي، من تحقيق حسين مؤنس، أهمية كبيرة في إغناء هذه الدراسة بما احتاجت إليه من معلومات، وخاصة المتعلقة منها بموقع قلعة رباح وبعض عمالها. والجدير بالذكر هنا أن محقق الكتاب زوده بحواش مهمة جدا غطت بعض ما احتاجته الدراسة من تعريفات.

والجدير بالذكر أن كتاب الروض المعطار الذي يعد من الكتب الجغرافية يتضمن أيضا معلومات تاريخية مهمة، وقاد أفادت الدراسة من هذه المعلومات، وخاصة المتعلقة بالعلاقات بين الدولة الإسلامية في العهود المختلفة والممالك النصرانية.

واستفدت من كثير من مصادر التاريخ الأندلسي ومراجعه، وفي مقدمتها كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، وهو كتاب مهم لكل باحث في تاريخ الأندلس، وقد حقق الأجزاء الثلاثة الأولى منه: كولان وبروفنسال، وحقق الجزء الرابع إحسان عباس. ويلاحظ أن مؤلف الكتاب انتهج طريقة الحوليات، وكان مصدرا مهما لتاريخ قلعة رباح، وخاصة تاريخها في عهد المرابطين والموحدين.

ويعتبر كتاب المقتبس من أنباء أهل الأندلس مصدرا مهما من مصادر هذه الدراسة، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب يعتبر سجلا تاريخيا عظيم الفائدة لمؤرخي الأندلس، وهو عبارة عن أجزاء ظهرت تباعا، وتولى تحقيقها ونشرها غير واحد من الباحثين والمؤرخين، وأكثر ما اعتمدت عليه هذه الدراسة، هو الجزء الذي حققه عبدالرحمن علي الحجي، والجزء الذي حققه ونشره شالميتا.

وأما كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، من تحقيق إحسان عباس فقد كان مصدرا مهما من مصادر هذه الدراسة، مع أنه مصدر متأخر، حيث ألف في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، ذلك أن مؤلفه أبا العباس أحمد المقري التلمساني حشد فيه فيضا من المعلومات عن تاريخ الأندلس، والعهود الإسلامية التي تعاقبت عليها. وما يعيب المقري في هذا السفر الجليل هو إكثاره من الإستطراد، وتجزئة الأحداث التاريخية.

وقد أفادت الدراسة من كتاب نظم الجمان في أخبار الزمان لمؤلفه أبي الحسن علي بن محمد الكناني الفاسي الشهير بابن القطان، وذلك في بعض الأخبار المتعلقة بقلعة رباح في عهد الموحدين، والجدير بالذكر أن المؤلف كان أحد كتاب الخلافة الموحدية.

أما تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فقد أفادت الدراسة من جزئه الرابع، وخاصة ما يتعلق منه بالأحداث التي واكبت انهيار الدولة الأموية في الأندلس، وقيام عهد ملوك الطوائف ثم عهد المرابطين فالموحدين، وتأثير تلك الأحداث على قلعة رباح.

ويعتبر كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى من أهم المصادر التي اعتمدت عليها عند الحديث عن تاريخ قلعة رباح في عهد الموحدين. وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه الشيخ أبا العباس أحمد بن خالد الناصري اعتمد فيه على مصادر أصلية عديدة تعود إلى عهد الموحدين، وكان هذا الكتاب مهما لتوضيح تاريخ قلعة رباح خلال الفترة التي شهدت سقوط دولة المرابطين، وقيام دولة الموحدين.

ويأتي في مقدمة المراجع التاريخية التي استفدت منها في هذه الدراسة كتاب: الأندلس لمؤلفه محمد عبده حتامله، فهذا الكتاب سفر ضخم يعرض تاريخ الأندلس منذ فتحها سنة ٩٢هـ/ ٧١١م حتى سقوطها سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م. ثم يعرض تاريخ مسلمي الأندلس بعد تسليم غرناطة، عاصمة آخر مملكة أقامها المسلمون في الأندلس. وقد جاء هذا الكتاب الموسوعي في أكثر من ألف ومائتي صفحة، وبدأه المؤلف بتأريخ فتح شمالي إفريقية، ثم فتح الأندلس، ثم العهود الإسلامية المتعاقبة عليها: عهد الولاة، فعهد الإمارة الأموية، فعهد الخلافة الأموية، فعهد ملوك الطوائف، فعهد المرابطين، فعهد الموحدين....وقد أفدت من هذا الكتاب في رصد الأحداث التاريخية المتعلقة بقلعة رباح في كل عهد من هذه العهود.

واستفدت أيضا من موسوعة الديار الأندلسية، للأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله، في تحديد موقع قلعة رباح، وتبين بعض ملامح هذه المدينة وتطورها عبر تاريخها الإسلامي. والجدير بالذكر أن ما تضمنته موسوعة الديار الأندلسية في جزئها الثاني من معلومات عن قلعة رباح قد استفدت كثيرا في كل فصول الدراسة، على الرغم من أنها معلومات مختصرة، اقتضت اختصارها طبيعة الموسوعة.

وهناك مرجع تاريخي آخر كان في غاية الأهمية كمرجع لهذه الدراسة هو كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمؤلفه محمد عبدالله عنان، فهذا الكتاب الذي تناول تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة يتميز بوفرة المعلومات، وكثرة الروايات وتحليلها والتعليق عليها. كما يتميز باعتماده على مخطوطات ومصادر عربية ومراجع أجنبية في أكثر من لغة. والجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب قام برحلة إلى الأندلس زار خلالها موقع قلعة رباح، ووصفها وصفا دقيقا، كما زار مواقع المعارك الفاصلة التي أثرت على قلعة رباح مثل معركة الأرك ومعركة العقاب، ووصف ميادين هذه المعارك التي كانت قلعة رباح وأراضيها أحد تلك الميادين.

أما المرجع الثالث الذي أفادت منه هذه الدراسة كثيرا فكتاب: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، حيث تعرض في الباب الثاني منه لدور كل من البابوية والصليبيين الأوروبيين وفرسان الجمعيات الدينية الحربية، ومنها جمعية قلعة رباح العسكرية في الحرب على المسلمين في الأندلس.

لقد كانت تلك بعض مصادر الدراسة ومراجعها، وهناك الكثير غيرها مما لم تشر إليه هذه المقدمة، وقد اتبعت اعتمادا عليها منهج الجمع والمقارنة ، متمنية أن أكون قد وفقت في إغناء المكتبة التاريخية العربية بإضافة بحث جديد إليها، يسد فرجة في تاريخ المدن الإسلامية في الأندلس.

الفصـــل الأول

قلعة رباح : موقعها، وتسميتها، وتطورها

أولا - موقع قلعة رباح

تقع قلعة رباح (Caltarava) على نهر وادي يانه (Guadina) [١] الذي يسميه بعض الجغرافيين : وادي آنة ،[٢] وهو نهر ينبع من غربي جبل شلير (Solarius)[٣] إلى الجنوب من غرناطة (Granada) [٤]، ويتجه غربا ثم يغير اتجاهه ليصبح من الشمال إلى الجنوب حيث يصب في المحيط الأطلسي، وتقع على هذا النهر عدة مدن منها قلعة رباح.[٥] إذ يذكر الزهري - الذي سمى منبعه محصر الريح - أنه " يندفع من الغور ويغيب في موضع ويجري في آخر متصلا إلى مدينة

---

١. ابن الأبار ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت . ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، **الحلة السيراء** ،(تحقيق حسين مؤنس)،دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ج٢، ص١٧٧.

٢. البكري ، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت . ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك** (تحقيق عبدالرحمن الحجي) ، دار الإرشاد للطباعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٨م ، ص١٠٠.

٣. جبل شلير : يسمى أيضا جبل الثلج ، إذ لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء ، ويقع قبلي غرناطة ، ويتصل بالبحر الأبيض المتوسط، وتنبع منه أنهار كثيرة يصب بعضها في البحر المتوسط ، ويشكل بعضها الآخر روافد لنهر الوادي الكبير.انظر: حتامله ، محمد عبده ، **موسوعة الديار الأندلسية** ،عمان ، الأردن ، ج١، ص٥٨٧.

٤.غرناطة: بفتح الغين المعجمة، وتسمى أيضا (أغرناطة) ، ويرجع اسمها إلى عهد الرومان، ومعناه(الرمانة)، وقد سميت بذلك لكثرة الرمان في أراضيها، وغرناطة مدينة قديمة تقع في واد عميق ، وتشتمل على خمسة جبال وسهل فسيح يشبه غوطة دمشق ، وتبعد عن البحر الأبيض المتوسط نحو سبعين كيلومترا إلى الشمال. انظر: ياقوت الحموي ،شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت.٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، **معجم البلدان** ، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٩٥؛ الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت . أواسط القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي) ، **كتاب الجعرافية** (تحقيق محمد حاج صادق) ،مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د . ت ، ص٩٥؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت . ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١، ص٩٦، ١٠٣، ١٤٦ـ ١٤٧ ، ٢٩٤؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني (ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص٥١٤؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٧٢١ـ٧٥١.

٥. الزهري ، ، **كتاب الجعرافية** ، ص٨٩؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس** ، نشر لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣م ، ص١١؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١ ، ص٥٨٧، ج٢ ، ص١١١٣ـ ١١١٤.

قلعة رباح ، ثم يهبط حتى ينتهي إلى مدينة بطليوس(Badajoz)[١] ثم ينتهي إلى حصن مربل على مقربة من البحر الأعظم (المحيط الأطلسي) فيقع فيه ".[٢]

وقد ذكر المقري أن قلعة رباح من أعمال الثغر الأعلى[٣] الذي تعتبر مدينة سرقسطة (Zaragoza)[٤] قاعدته. قال المقري:" ومن أعمال الثغر : سرقسطة، وهي أم ذلك

---

١. بطليوس (Badajoz): مدينة يلفظ اسمها بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة، وهي قديمة البناء، وقد كانت عامرة ثم خلت من سكانها، وخربت، وظلت كذلك إلى أن عمرها المسلمون في الأندلس، وتقع على الضفة اليمنى لنهر وادي يانه ، في غربي الأندلس ، على مقربة من الحدود البرتغالية. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٤٧؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص١٢٢- ١٢٣؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك (ت . بعد٥٧٣هـ) ، **تاريخ الأندلس** ، (تحقيق أحمد مختار العبادي) ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م.، ص٧٦؛ سالم ، سحر السيد عبدالعزيز، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩١م ، ج١، ص١٥١،١٥٧-١٦٠؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٢٦١- ٢٨٠.
٢. الزهري، **كتاب الجعرافية**، ص٨٩.
٣. يقصد بالثغر : كل أرض قريبة من أرض العدو ، وقد قسمت الأندلس بعد أن استقرت أوضاعها في عهد الدولة الأموية إلى منطقتين عسكريتين: الثغر الأعلى ، وقاعدته سرقسطة ، والثغر الأدنى ، ويشمل المنطقة بين نهري دويرة وتاجة. وأضيف إلى الثغرين فيما بعد ثغر ثالث (الأوسط)، ما بين طليطلة وسرقسطة. انظر: البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٩٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١،ص٣٥٥-٣٥٦.
٤. سرقسطة : يلفظ اسمها بفتح أوله وثانيه، ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة، وطاء مهملة، وتسمى أيضا المدينة البيضاء، وهي مدينة قديمة بنيت في عهد الرومان سنة ٢٣ق. م، وتقع في شمال شرقي الأندلس على ضفاف نهر إبرو (Ebro) الذي يحاذي سورها من الشمال إلى الجنوب. انظر : ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٢١٢، الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، ط٢(تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م، ص٣١٧؛ مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ، مطبع ريدنير ، مجريط، ١٨٦٧م ، ص١٩؛ الرشاطي ، أبو محمد(ت. ٥٤٢هـ/١١٤٧م) والإشبيلي ، ابن الخراط (ت. ٥٨١هـ/١١٨٦م)،**الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**،(تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوش بيلا) ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، ١٩٩٠م، ص٨٠؛ السرجاني، راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ط١، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٣٨٢.

الثغر ، وكورة لاردة ، وقلعة رباح ، وتسمى بالبيضاء ..."[١] ويدل سياق هذا النص على أن (البيضاء) وصف لقلعة رباح وليس لسرقسطة كما ذهب بعض الجغرافيين [٢].وربما سميت قلعة رباح بذلك لغلبة اللون الأبيض على مبانيها.

وقد حدد الحميري موقعها بين قرطبة (Cordoba) [٣] جنوبا، وطليطلة (Toledo)[٤] الواقعة

---

١. المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت . ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ج١ ، ص١٦٦.

٢. يرجع من ذكر أن سرقسطة سميت :المدينة البيضاء سبب تسميتها بهذا الاسم إلى دفن الرجلين الصالحين : حنش بن عبدالله الصنعاني ، وعلي بن رباح اللخمي الذي سميت قلعة رباح باسمه فيها ، وهو تعليل أرى أنه أقرب إلى الأسطورة ، فهو بعيد عن المنطق : ويقول بعض هؤلاء أنها سميت المدينة البيضاء "لأنها تبيض ، وعليها نور أبيض لا يخفى على أحد في ليل أو نهار ..ويزعمون أن ذلك النور عليها منذ بنائها" انظر: الزهري ، **كتاب الجعرافية** ، ص٨١؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٥٠١.

٣. قرطبة : يلفظ اسمها بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة، وهي مدينة قديمة تقع على سفح جبل العروس ، وتشرف على نهر الوادي الكبير حيث تمتد على ضفته اليمنى ، وتتصل أراضيها بأراضي إشبيلية من الجهة الغربية ، ومن الشرق تتصل بأراضي جيان. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٢٤؛مجهول، **أخبار مجموعة**، ص٢٠ـ ٢١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٠؛ الحميري ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت. ٩٠٠هـ/١٤٩٥م) ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** ،(نشر وتعليق وتصحيح ليفي بروفنسال)، ط٢، دار الجيل ، بيروت ،١٩٨٨م ، ص١٥٦،١٥٨؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٨٠٠ـ٨٢٣.

٤. طليطلة : يلفظ اسمها- على الأغلب ـ بضم الطاءين، وهي مدينة قديمة تقع وسط شبه الجزيرة الأيبيرية ، وتعد من حيث الموقع مركز الأندلس انظر: البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق (ت. ٧٣٩هـ)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص٨٩٢؛ الإدريسي ،أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني (ت. ٥٦٠هـ) ، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** ، **مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في أخبار الآفاق** ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م ،ج٥، ص٥٣٦؛ الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت . ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **الروض المعطار**، ١٩٨٤م ،ص٣٩٣؛ ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن واحد الشيباني (ت . ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ،ج٤،ص٣٧٦؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٦٩٠ـ٧٠٢.

بين الشرق والشمال منها.[١] وجاء في كتاب (الأندلس في اقتباس الأنوار) أن قلعة رباح" غربا من طليطلة مغربة قليلا وبين شرق وجوف من قرطبة ، ومبتناها على نهر أنه"[٢] والجدير بالذكر أن بعض المصادر أخطأت في تحديد موقع قلعة رباح فذكرت أنها غرب طليطلة .[٣] مع أنها تقع إلى الجنوب الشرقي منها.

وتعد قلعة رباح معقلا من معاقل الأندلس، من عمل جيان (Jaen)[٤] وقد كان وضعها الإداري يتغير وفقا للأوضاع السياسية وتقلباتها ، ففي عهد ملوك الطوائف[٥] أصبحت تابعة لمملكة بني ذي النون، وكان ولاتها يترددون عليها من طليطلة ، ثم أصبح ولاتها يترددون عليها من قرطبة.[٦]

---

١. الحميري ، **الروض المعطار** ، ص٤٦٩؛ وانظر: المقري ، **نفح الطيب** ، ج١ ، ص١٦١؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢،ص٦٩٠.

٢. الرشاطي ، **الأندلس في اقتباس الأنوار** ، ص١٤١.

٣. ابن غالب ، محمد بن أيوب (ت. بعد عام ٥٦٥هـ) ، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس** (نشر لطفي عبد البديع)، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ، ج١، ص ٢٨٩.

٤. جيان : يلفظ اسمها بالفتح ثم التشديد، وآخره نون، وتسمى أيضا (جيان الحرير) لكثرته فيها، وهي مدينة تقع إلى الشرق من قرطبة ، وتبعد عن غرناطة شمالا سبعة وتسعين كيلومترا ، وقصبتها عالية الإرتفاع، ولذلك تعد من أمنع القصبات وأحصنها. انظر: ابن الخراط ، **اختصار اقتباس الأنوار** ، ص١٣٥؛ المقري، **نفح الطيب** ، ج١،ص١٦٥، الحاشية ٣؛ الإدريسي ، **نزهة المشتاق**، ج٥،ص٥٦٨؛ ابن عذاري المراكشي ،أبو العباس أحمد بن محمد (ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، (تحقيق ومراجعة ج.س.كولان ، وليفي بروفنسال) ط٣، دار الثقافة بيروت،١٩٨٣م ،ج٢، ص٨٢، ج٣، ص٢٦٤؛ ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبدالله محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ص٧٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٤١٢-٤١٥.

٥. ملوك الطوائف : يسمون أيضا ملوك الفتنة ، وقد بدأ عهدهم بانهيار الخلافة الأموية في الأندلس انهيارا تاما سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، وقد زاد عدد ممالك الطوائف على العشرين.انظر: ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٨٧؛ حتامله، محمد عبده ، **الأندلس: التاريخ والحضارة والمحنة**: ، مطابع الدستور التجارية، عمان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٤٣٨ وما بعدها.

٦. ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى (ت. ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)،**المغرب في حلي المغرب** ،(تحقيق شوقي ضيف)،ط٣، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د.ت، ج٢، ص٣٩.

وكان لموقع قلعة رباح في عهد المرابطين [١] أهمية بالغة ،وقد شبهها الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين بصدر الأندلس ،حيث شبه الأندلس بطائر العقاب ، وهذا الطائر " مخالبه طليطلة ، وصدره قلعة رباح ، ورأسه جيان ، ومنقاره غرناطة .." [٢]

والجدير بالذكر أن قلعة رباح - موضوع هذا البحث - يقوم في مكانها حاليا حصن يعرف باسم قلعة رباح القديمة (Castillo de caltarava la vieja)، وإلى جوارها على بعد اثني عشر كيلومترا إلى الشمال الشرقي منها توجد مدينة أخرى تعرف باسم قلعة رباح الجديدة (La nueva)، وتتبع هذه المدينة الأخيرة مدينة حديثة أنشئت في إقليم أو محافظة لامنشا (La mancha) اسمها(Ciudad Real). [٣]

وكانت قلعة رباح بعد سقوطها في أيدي النصارى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م - كما سيأتي - تشكل جزءا من الحد الفاصل بين أرض المسلمين وأرض النصارى.[٤]

ثانيا - تسمية قلعة رباح

اكتفى بعض المصادر لتبرير تسمية قلعة رباح بهذا الإسم بالقول :" لعل الذي بناها اسمه رباح "[٥] و تناولها ياقوت الحموي في معجم البلدان المرتب وفق حروف الهجاء باسم :(رباح) وليس

---

١. ينتمي المرابطون إلى قبيلة لمتونة إحدى قبائل صنهاجة من البربر، وقد أنشأوا دولة لهم في بلاد المغرب ، كانت بدايتها الحقيقية على يد أحد زعمائهم وهو يوسف بن تاشفين ، وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. انظر التفاصيل : حتامله ، **الأندلس** ، ص٥٢٨ وما بعدها.

٢. المقري، **نفح الطيب** ، ج١، ص١٩٠

٣. ابن حيان ، حيان بن خلف (ت. ٤٦٩هـ)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، (تحقيق محمود علي مكي)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، التعليقات : ٥٨٥-٥٨٦؛ ابن الأبار ، **الحلة السيراء** ، ج٢ ، ص١٧٧، الحاشية ٣؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٦٧٦.

٤. حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٨٧٧.

٥. السمعاني ، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت. ٥٦٢هـ)،**الأنساب** ،(تقديم وتعليق عبالله عمر البارودي)،ط١، دار الجنان ، بيروت،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٣، ص٣٩.

(قلعة رباح) كما فعلت المصادر الأخرى ، وذكر أن رباح " بفتح أوله ، وآخره حاء مهملة ؛ الربح والربح (بفتح الراء المهملة والباء) مثل شبه وشبه: اسم ما ربحه التاجر، وكذلك الرباح بالفتح ؛ والرباح : دويبة كالسنور ، ورباح في قول الشاعر:

هذا مقام قدمي رباح

فهو اسم ساق (الذي يسقي) ، وأما المقصود ههنا فهو قلعة رباح "[١].

وقد رجح بعض المؤرخين تسمية قلعة رباح باسم التابعي أبي عبدالله علي بن رباح اللخمي ،[٢] وأرى أن هذا الترجيح في التسمية يرتفع إلى درجة اليقين، ذلك أن تسمية بعض القلاع والحصون والمدن بأسماء الأشخاص ذوي الشأن والأهمية في المجال الديني أو العسكري أو الإجتماعي ، وخاصة أولئك الذين شاركوا في فتح الأندلس إنما كان أمرا دارجا ، فقد سميت مدينة طريف (Tarifa) [٣] باسم طريف بن مالك المعافري ، المكنى بأبي زرعة ، وهو قائد مسلم وجهه موسى بن نصير[٤]على رأس حملة استطلاعية لاستكشاف إمكانية فتح الأندلس سنة٩٠هـ/

---

١. ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج٣، ص٢٣.

٢. ابن الأبار ، **الحلة السيراء**،ج٢،ص١٧٧،الحاشية٣؛ حسين ، حمدي عبدالمنعم محمد، **ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨ـ ٣١٦هـ/٧٥٦ـ ٩٢٨م)** ، مؤسسة شباب الجامعة ، اسكندرية ، ١٩٩٣م، ص٤٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٣.

٣. طريف: تقع في المكان الذي نزل فيه طريف بن مالك المعافري ، وهو رأس ينحدر من جبل طارق في أقصى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة الأيبيرية ، ولم تكن تلك المدينة موجودة قبل طريف، وهي مدينة صغيرة ، وجزيرة صغيرة في البحر أصبحت تسمى أيضا جزيرة طريف .انظر: مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ، مطبع ريدنير ، مجريط، ١٨٦٧م،ص١٦؛ مؤنس ، حسين، **فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١ـ٧٥٦م)**، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٦٧؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٦٧١ـ ٦٧٢.

٤. هو موسى بن نصير اللخمي، ولاه عبدالعزيز بن مروان والي مصر على إفريقية سنة ٨٦أو ٨٩هـ/٧٠٥أو٧٠٧م حسب اختلاف الروايات ،وقد كان من أقدر رجال الدولة الأموية .انظر:ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج١،ص٣٩؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب(ت . ٧٣٣هـ) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، (تحقيق أحمد كمال زكي ، مراجعة محمد مصطفى زيادة)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٨٠م ، ج٢٤، ص٣٨؛المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٢٦٩.

٧١٠م، وشن من طريف سلسلة من الغارات على السواحل الجنوبية للأندلس [١]

وقد ذكر ابن الكردبوس أن طريفا حل بعد اجتيازه البحر "في جزيرة ، فسميت طريفا ، فثبت لها هذا الإسم إلى اليوم"[٢]

وسمي جبل طارق(Gibraltar)[٣] باسم طارق بن زياد الذي وجهه موسى بن نصير سنة ٩٢هـ/٧١١م على رأس جيش لفتح الأندلس. وكان هذا الجبل قبل ذلك يسمى : أعمدة هرقل ، أو Monte Calpe وهو اسم فينيقي يعني التجويف.[٤]

---

١. الحميري ، **الروض المعطار** ، ص٣٩٢؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٢٢٩ـ ٢٣٠؛مجهول ، **أخبار مجموعة** ، ص١٦ـ ١٧؛ ابن الكردبوس ، أبو مروان عبدالملك (ت . بعد٥٧٣هـ) ، **تاريخ الأندلس** ، (تحقيق أحمد مختار العبادي) ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م،ص٤٥.

٢. ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص٤٥.

٣. جبل طارق: يقع في العدوة الأندلسية ، ولا يفصله عن الشاطيء الإفريقي سوى مضيق يبلغ عرضه في أضيق جهاته خمسة عشر كيلومترا.وهو جبل صعب المرتقى ، حصنه المسلمون بعد فتح الأندلس ، وشحنوه بالأسلحة ، وأصبح بوابة لدخول الجيوش الإسلامية المتعاقبة إلى الأندلس، وقد اتخذه الموحدون قاعدة عسكرية لتثبيت سلطانهم في الأندلس، وقد أطلق عليه أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ـ ٥٥٨هـ/ ١١٢٩ـ ١١٦٢م) اسم: جبل الفتح، وأمر ببناء مدينة عليه سميت : مدينة الفتح. انظر: ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس** (تحقيق أحمد مختار العبادي)، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م،ص٢٢، الحاشية٢؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٨٢؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٤٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٣٥٩ـ٣٦٢.

٤. ابن عذاري ، **البيان المغرب** ،ج٢،ص٦؛ المقري، المصدر السابق، ج١،ص٢٣٣؛ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٤٦؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٣٥٩.

وسميت قلعة أيوب(Calatayud)[١] باسم أيوب بن حبيب اللخمي، وهو تابعي ولي الأندلس خلال الفترة (رجب ـ ذو الحجة ٩٧هـ/٧١٦م ، ويرى بعض المؤرخين أن موقعها كان حصنا رومانيا قديما يسمى(Bilbilis)[٢]

وسميت مدينة سالم (Medinaceli)[٣] باسم: سالم بن ورعمال المصمودي ، وكان اسمها في العصر الروماني (Ocilis) ، ويرجح أن من سميت باسمه إنما أعاد تعميرها ، وهو زعيم مغربي من قبيلة مصمودة من البربر ، يحتمل أن يكون من الرعيل الأول الذي فتح الأندلس. [٤]

وسميت قلعة يحصب(Alacala La Real)[٥] باسم بني يحصب الذين سكنوها ، وهم جماعة من حمير ، وتسمى أيضا قلعة بني سعيد ، حيث سكنتها أيضا جماعة من بني سعيد الذين ينتمون نسبا إلى

---

١. قلعة أيوب: تقع إلى الشمال الشرقي من طليطلة. انظر: العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك** (تحقيق عبدالعزيزالأهواني)، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥م، ص٤٩؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٦١، ٨٦٥.

٢. ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس** ، ص١١١، الحاشية ٨؛ ياقوت ، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٩٠؛ مؤنس، المرجع السابق، ص٢٤٤.

٣. مدينة سالم: تقع شمال مدريد على الطريق بينها وبين سرقسطة ، وتبعد عن مدريد نحو مائة وثلاثة وخمسين كيلومترا،وهي قريبة من قلعة أيوب ، وقد كانت عاصمة الثغر الأوسط قبل طليطلة. انظر: ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس** ، ص٦٠؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٢، ص٢١٣ـ٢١٤،ج٣، ١٠٤وما بعدها؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص١٠٢١ـ ١٠٢٧.

٤. ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٦٠، الحاشية ١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج٢، ص٢١٣ـ٢١٤ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص١٠٢٦ـ١٠٢٧؛ سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، ص١٢٥.

٥. قلعة يحصب: تقع هذه القلعة إلى الشمال الغربي من غرناطة على الطريق بينها وبين قرطبة ، وتبعد عن غرناطة اثنين وخمسين كيلومترا ، وتبعد عن جيان ستة وخمسين كيلومترا. انظر: ابن سعيد ، **المغرب في حلي المغرب** ، ج٢،ص١٦٠؛ العذري، **نصوص عن الأندلس** ، ص٨٩؛ مؤنس، حسين، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م، ٤٦٦ـ٤٦٧.

الصحابي الجليل عمار بن ياسر.[(١)]

وسميت قسطلة دراج (Castarra Daray)[(٢)] باسم دراج، وهو من رجالات البربر، من قبيلة صنهاجة ، وقد تداول هو وبنوه رياستها، وينتسب إلى بني دراج هؤلاء الشاعر الأندلسي الشهير: ابن دراج القسطلي.[(٣)]

---

١. ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج٢، ص١٦٠-١٦١؛المقري، **نفح الطيب** ، ج١،ص٢٩٧؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، **جمهرة أنساب العرب**، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣، ص٤٠٥-٤٠٦؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٨٧٩-٨٨١ ، مؤنس، المرجع السابق ، ص٤٦٦.

٢. قسطلة دراج: يلفظ اسمها بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الطاء، وتشديد اللام، وهاء. وهي قرية اختلفت المصار والمراجع في تحديد موقعها، فذكر بعضهم أنها في غربي الأندلس، في البرتغال حاليا، وتعرف باسم قسطلة الغرب. وذكر آخرون أنها من عمل جيان في وسط الأندلس، وذكر غيرهم أنها تقع في أقصى جنوبي الأندلس قرب الجزيرة الخضراء. وسبب اختلاف المؤرخين في تحديد الموقع هو وجود ثلاث قرى باسم: قسطلة، وقسطلة دراج المقصودة هنا هي تلك الواقعة قرب جيان، وتعد من عملها، وتبعد عنها شمالا نحو عشرين ميلا، انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٤٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٥؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٦٠؛ ابن دراج القسطلي،(ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) **ديوان ابن دراج القسطلي** (تحقيق محمود علي مكي)، ط١، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م، ص٢٨- ٣٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١١٣، ج٢، ص٨٣٧- ٨٣٩.

٣. ابن دراج القسطلي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دراج، وصفته المصادر بانه شاعر عظيم، وأنه متنبي الأندلس، وقد ولد في شهر المحرم من سنة ٣٤٧هـ/ آذار ٩٥٨م، في أواخر عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر لدين الله(٣٠٠- ٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م. ومن شعر ابن دراج القسطلي:

لك الفوز من صوم زكي ومن فطر ... وصلتهما بالبر شهرا إلى شهر

فناطق صدق عنك بالصدق والنهى ... وشاهد عدل فيك بالعدل والبر

فهذا بما استقبلت من صائب الندى ... وهذا بما زودت من وافر الذخر

انظر: ابن دراج القسطلي، **الديوان**، ص٢١ وما بعدها؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٦٠- ٦١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٣٧- ٨٣٩.

وإذا كانت تلك المواقع من مدن وقلاع وغيرها قد سميت بأسماء أشخاص كانت لهم أهميتهم وتأثيرهم في الحياة العسكرية أو الدينية أو الأدبية أو الإجتماعية ، فمن هو علي بن رباح حتى تسمى القلعة باسمه ؟

لقد كان علي بن رباح بن قصير اللخمي واحدا من التابعين الذين رووا الحديث الشريف عن جماعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء : عائشة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبدالله بن عمرو ، وغيرهم كثيرون.(١) وكان قد ولد عام ١٥هـ/٦٣٦م ، واشترك في معركة ذات السواري (الصواري) بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح التي وقعت في البحر الأبيض المتوسط بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٣٤هـ/٦٥٦م، وقد أصيب في تلك المعركة ، حيث فقد إحدى عينيه.(٢)

ويشير المقري إلى المنزلة الرفيعة التي بلغها علي بن رباح اللخمي بين اليمانية في مصر حيث كانوا يوفدونه إلى الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (٦٥ -٨٦ هـ/٦٨٥-٧٠٥م) لقضاء حاجاتهم عنده . وكانت له منزلة رفيعة أيضا عند والي مصر عبدالعزيز بن مروان ، فهو ، أي علي بن رباح ، الذي زف بنت عبدالعزيز بن مروان إلى الوليد بن عبدالملك.(٣)

ويروي المالكي أن علي بن رباح اللخمي " قدم إفريقية غازيا مجاهدا ،وسكن القيروان ، واختط بها دارا ومسجدا ، ومسجده عند باب نافع على يمين الخارج قبل أن يخرج ، وانتفع به وتفقه على يديه أهل القيروان".(٤)

---

١. المالكي ، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت. ٤٥٣هـ) ، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ، (تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي)، ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ج١، ص١١٩؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١ ، ص٢٧٨- ٢٧٩،ج٣، ص٨.
٢. المقري، المصدر السابق ، ج٣، ص٨.
٣. المصدر نفسه ، ج٣، ص٨.
٤. المالكي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١٩؛ المقري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨.

وكان علي بن رباح اللخمي أحد التابعين الذين شاركوا في فتح الأندلس ، وقد دخلها مع جيش موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١٢م[١] الذي ضم عددا من كبار التابعين ،رضي الله عنهم ، فقد ذكر بن رباح اللخمي ، وحنش بن عبدالله الصنعاني .[٢] وقد رافق هؤلاء التابعون موسى بن نصير في مساره لفتح ما لم يفتحه طارق بن زياد من الأندلس ، وبعد فتحه مدينة ماردة (Merida)[٣] سنة ٩٤هـ/٧١٣م ،[٤] التقى بطارق بن زياد في موقع بين ماردة وطليطلة قريب من طلبيرة (Talavera)[٥][٦]

---

١. المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٢٦٩؛ وانظر: ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس** ، ص٤٩؛ابن القوطية القرطبي ، أبو بكر محمد بن عمر(ت .٣٦٧ هـ/٩٧٧م)،**تاريخ افتتاح الأندلس** ، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع) ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧م ، ص٣٥؛ حسين ، **ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية** ، ص٤٤، الحاشية ٢؛ حتامله، محمد عبده ، **الأندلس** ، ص٨١

٢. المقري ، المصدر السابق، ج١ ، ص٢٧٧- ٢٧٨؛ وانظر ابن حبيب ، عبدالملك ، (ت. ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م)، **كتاب التأريخ** ، (دراسة وتحقيق خوري أغوادي) ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، ١٩٩١م ، ص١٠٧.

٣. ماردة : لفظ اسمها مؤنث مارد، وهي مدينة قديمة تم تأسيسها عام ٢٤ق.م، وتقع ما بين الغرب والشمال من مدينة قرطبة ، وتبعد عنها خمسة أيام للراكب ، وعشرة للماشي، وهي إلى الشرق من بطليوس على بعد عشرين ميلا . انظر: ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج٥، ص٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٧١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٩٨٧؛ سالم، السيد عبد العزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص٧٩؛ سحرسالم، السيد عبدالعزيز، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١م، ج١، ص٢١٢.

٤. ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٢ ، ص١٥؛ ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن واحد الشيباني (ت . ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ،ج٤، ص١٢٣.

٥. طلبيرة : يلفظ اسمها بفتح أوله وثانيه، وكسر الباء الموحدة ثم ياء ساكنة مثناة من تحت، وراء مهملة، وهي مدينة قديمة تنتشر فيها الآثار، وتقع إلى الشمال الغربي من مدينة طليطلة على بعد مائة وخمسين كيلومترا منها. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٧؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٦٨١-٦٨٢.

٦. المقري، المصدر السابق ، ج١، ص٢٧١؛ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٢،ص١٦؛مجهول، **أخبار مجموعة** ، ص٢٦-٢٧؛حتامله ، **الأندلس**، ص٨٨.

وهكذا يلاحظ أن التابعين بمن فيهم علي بن رباح وحنش بن عبدالله الصنعاني لم يفارقوا موسى بن نصير في تحركاته العسكرية ، وقد كانا معه عندما فتح سرقسطة ، وعندما توغل شمالا مؤملا أن يفتح روما، يدل على ذلك موقف حنش عندما سمع تذمر المسلمين، وشعر بمدى الضنك الذي لحق بهم لكثرة المشاق التي تحملوها ، حيث قال لموسى:" أين تذهب؟ تريد أن تخرج من الدنيا ؟ أوتلتمس أكثر وأعظم مما آتاك الله عز وجل ، وأعرض مما فتح الله عليك ، ودوخ لك؟ إني سمعت من الناس ما لم تسمع.."[١]

وقد كانت لعلي بن رباح منزلة رفيعة ، وتأثير كبير ، وكان حاضرا دائما في وجدان موسى بن نصير ، ويحظى بمنزلة رفيعة عنده ، ولا أدل على ذلك من الموقف الذي رواه المالكي ، وهو موقف يظهر مدى التقدير الذي يظهره موسى لعلي، ومدى التأثير الذي يتركه علي في موسى ، فبعد وصوله إلى القيروان ، وهو في طريقه عائدا إلى دمشق بناء على أمر الخليفة الوليد بن عبدالملك سنة ٩٥هـ/٧١٤م [٢] " قعد يوما في مجلسه ، فجاءه العرب يسلمون عليه ، فلما احتفل المجلس قال : إنه قد صحبتني ثلاث نعم : أما واحدة فإن أمير المؤمنين كتب إلي يهنئني في كتابه ..وأما الثانية فإن كتاب ابني (عبدالعزيز وكان قد تركه واليا على الأندلس) قدم علي بأنه فتح له فتح عظيم ، أما الثالثة فما صحبتني في مقدمي هذا من الأموال والسبي من الأندلس ، فهنيء بذلك ،وعلي بن رباح اللخمي التابعي ساكت ، وكان علي راوية ابن عباس وأبي هريرة ، فقال له موسى : مالك يا علي لا تتكلم ؟ فقال : أنا أقول، وأنا أنصح القائلين لك، إنه ما من دار امتلأت حبرة (أي سرورا) إلا امتلأت عبرة ، وما انتهى شيء إلا رجع ، فارجع قبل أن يرجع بك . قال: فانكسر موسى بن نصير وخشع . ثم التفت ففرق جواري عدة . فكان موسى بعد ذلك إذا مر بخربة عادية ، أو مدينة من مدائن الأولين ، نزل وركع ركعتين ومشى فيها وفكر في معالمها وفي آثارها ثم بكى بكاء كثيرا.."[٣].

---

١. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، **الإمامة والسياسة** ، دار الفكر ، بيروت، ١٩٧٠م،ج٢،ص٨٠ـ٨١؛حتامله، **الأندلس**، ص٩٢.

٢. ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٢ ، ص١٨ـ١٩؛ مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ، مطبع ريدنير ، مجريط ، ١٨٦٧، ص٢٦ـ٢٧؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١ ، ٢٧٧.

٣. المالكي، **رياض النفوس** ، ج١ ، ص١١٩ـ١٢٠.

وهكذا يلاحظ كم كانت عبارات ابن رباح مؤثرة في موسى بن نصير، فقد قلبت حياته من مزهو بالنصر ، وبما أفاء الله عليه من سبي ومال جعله مقبلا على الدنيا ، إلى زاهد لا يرجو غير حسن الختام. وهذا التأثير الكبير الذي كان لعلي بن رباح اللخمي جعله جديرا بأن تحمل قلعة رباح اسمه ، مثلما حملت قلاع ومدن أخرى أسماء قادة وتابعين آخرين، وخاصة أن مساهمته كانت فعالة في فتح الأندلس ، فبعد مغادرة موسى وطارق الأندلس سنة ٩٥هـ/٧١٤م،(١) استمر هو وحنش الصنعاني بجند المسلمين نحو الشمال لمتابعة عملية الفتح.(٢) وقد توفي ابن رباح عن مائة وأربع عشرة سنة ،(٣) وكانت وفاته هو وحنش الصنعاني في مدينة سرقسطة " وقبراهما بها معروفان بمقبرة باب القبلة ".(٤)

ثالثا - تطور مدينة قلعة رباح

تبعد قلعة رباح نفسها قليلا عن المدينة المسماة باسمها (مدينة قلعة رباح)، وهي - كما يبدو من وصف عنان لها وقد زارها - قلعة قديمة متهدمة، إذ ذكر أنها عبارة عن مجموعة ضخمة من الأطلال الدارسة ، تقع فوق ربوة قليلة الإرتفاع ، وسط بسيط كبير تظلله الجبال الشاهقة ، ويستند من الشمال إلى نهر وادي يانه. وتنقسم هذه الأطلال إلى مجموعتين ؛ في إحداهما وهي اليمنى يوجد جدار برج عال ، ومن تحته عضادة تظلل عقدا كبيرا كاملا ، وفي الوسط يقوم جدار ضخم من عقد سابق. والمجموعة الأخرى يفصلها عن المجموعة الأولى فراغ كبير تتخلله الأنقاض والخرائب ، يبلغ طوله نحو ثمانين مترا، وهي عبارة عن كتلة كبيرة ، يبدو أنها كانت قاعدة لعدة أبراج ضخمة. وتمتد الأطلال من الناحية الأخرى إلى مدى يبلغ نحو مائة وخمسين مترا ، ويغمر هذه الأطلال الضخمة

---

١. المقري، **نفح الطيب**،ج١،ص٢٧٧؛ ابن عذاري، البيان **المغرب**،ج٢،ص١٩.
٢. مؤنس، حسين، **فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(٧١١-٧٥٦م)**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٧٠.
٣. المقري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٨.
٤. المصدر نفسه ، ج٣، ص٨.

العالية ، والمكان كله جو من الرهبة والوحشة.[١]

ويدل وصف أطلال قلعة رباح بما تشتمل عليه من كتل كبيرة كانت أساسا لأبراج ضخمة على أنها قديمة قدم طليطلة نفسها التي أشار ابن حيان إلى أن من بناها وزمانه غير معروفين،[٢] وقد كانت موجودة قبل الفتح، وفتحها طارق بن زياد بفتحه طليطلة ، حيث تقع في مسار الفتح الذي سلكه سنة ٩٢هـ/٧١٢م ،[٣] وربما كانت القلعة معروفة باسم آخر أغفله المؤرخون ، وتدل تسميتها بقلعة رباح على وجودها منذ بدايات الفتح الإسلامي ، حيث كان علي بن رباح اللخمي الذي سميت باسمه يرافق موسى بن نصير ويشاركه في الفتح . ومع أنها في حينه كانت عبارة عن قلعة متهدمة إلا أن موقعها أغرى الناس بالسكن قربها فاستوطنوه ،وأصبح آهلا بالسكان، ومنهم بعض بني جذام ،وهم من القبائل اليمنية، وبعض الأنصار من الخزرج[٤]

لقد كانت الأرض حول قلعة رباح أرضا معطاء ، شديدة الخصوبة " تطيب مزارعها ، ويزكو طعامها ، وتحسن الماشية في مسارحها ، ولألبانها فضل على غيرها" [٥]،ولذلك كانت جذابة للناس فكثروا فيها ، وخاصة بعد أن خربت أوريط (Oreto)[٦] القريبة من طليطلة ، وتكونت بمرور الزمن

---

١. عنان ، محمد عبدالله ، **دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الثالث ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** ، ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٢١٥.

٢. ابن حيان ، أبو مروان القرطبي (ت . ٤٦٩هـ) ، **المقتبس** ، ج٥ ، (نشر : ب. شالميتا وف . كورينطي وم. صبح)،المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٧٩م .

٣. المقري ، **نفح الطيب** ، ج١،ص٢٦٠؛ النويري ، **نهاية الأرب** ، ج٢٤، ص٤٨؛ حتامله ، **الأندلس** ،ص٧٨-٧٩.

٤. المقري ، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٦، ابن حزم ، **جمهرة أنساب العرب**، ص٣٤١.

٥. ابن الخراط ، **اختصار اقتباس الأنوار** ، ص١٤١.

٦. أوريط: مدينة قديمة ذكر ياقوت الحموي أنها تقع بين شرق الأندلس وجوفه ، وقد آلت إلى الخراب ، ولم تذكر المصادر سبب خرابها ، ولكن ما يفهم من قول المصادر أن قلعة رباح عمرت بخراب أوريط ، هو أن سكان أوريط هجروها إلى قلعة رباح ، فخربت الأولى وعمرت الثانية . انظر: الحميري، **الروض المعطار** ، ص٤٦٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص١٧٤.

قرية كبرت ونمت ، وأصبحت مدينة، لها حصون ، منها حصن شلبطرة (Salvatierra)[١] " ولها عدة قرى ونواح ، وهذه القرى والنواحي كانت تسمى الأجزاء ، ومنها جزء البكريين وجزء اللخميين" وغيرهما.[٢]

وليس من شك في أن تطور قلعة رباح قد بدأ في عهد ولاة الأندلس الذي امتد من سنة ٩٥حتى سنة ١٣٨هـ/٧١٣ـ ٧٥٥م ، فقد حظيت باهتمامهم بسبب أهميتها كقاعدة عسكرية في طريق الجيوش الزاحفة نحو الشمال ، لفتح ما تبقى من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وغزو بلاد الفرنجة . فقد كان لتلك القاعدة دور استراتيجي مهم في عمليات الإسناد والتموين ، ولذلك لا بد من أنها تطورت وتوسعت في ذلك العهد ،غير أن المصادر أغفلت ذلك ، ولم تتعرض لدورها في عهد الولاة.

وتدل الوقائع والأحداث على أن قلعة رباح ظلت تنمو وتزداد اتساعا ، حتى أصبحت بمرور الزمن مدينة ، إلا أنها تعرضت للخراب على يد ثوار طليطلة ضد حكم الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم (الثاني أو الأوسط) (٢٠٦ـ ٢٣٨هـ/٨٢١ـ ٨٥٢م)[٣] فقد كان أهالي طليطلة يكثرون من

---

١. . شلبطرة: ورد اسمه أيضا بالتاء (شلبترة) وبالسين المهملة (سلبترة)، ويعني هذا الإسم: (الأرض المنقذة)، ويقع هذا الحصن قرب قلعة رباح ، على قمة جبل عال، وليس له مسلك إلا من طريق واحدة وعرة ، وقد كان أقصى الحدود الجنوبية لمملكة قشتالة. انظر: الحميري ، **الروض المعطار** ، ص٣٤٤ـ٣٤٥؛ المراكشي، محي الدين عبدالواحد بن علي (ت. ٦٢٠هـ/١٢٢٤م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب(من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)**،(تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي)، ط١، مطبعة الإستقامة ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٢٢٩؛الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،(تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري)، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٦م، ج٢،ص٢٢١؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٥٧١ـ٥٧٥.

٢. ياقوت، **معجم البلدان**،ج٣، ص٢٣.

٣. ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج٥، ص٢٠٣؛ ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**(ضبط خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، ج٤ ، ص١٦٣ـ١٦٤؛ حتامله ، **الأندلس** ، ص٢٤٩.

الإغارة على قلعة رباح المجاورة حتى خربوا أسوارها ، واضطروا أهلها إلى هجرها فأقفرت منهم.[١]

ولم يطل خراب مدينة قلعة رباح ، فقد أمر الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٢٣٨ـ٢٧٣هـ/٨٥٢ـ٨٨٦م)[٢] سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م بتحصين المدينة ، والزيادة في مبانيها، ونقل الناس إليها.[٣] ولما تمت إعادة إعمارها شحنها " رتب فيها الفرسان " [٤] وأصبح لقلعة رباح دور عسكري بالغ الأهمية سيتم تفصيله في الفصول التالية.

وكان لقلعة رباح إضافة إلى دورها العسكري أدوار أخرى في الحياة العامة ، فقد استطاعت بإشراف عمالها المتعاقبين تخريج العديدين من الفقهاء والقضاة والمحدثين والأدباء وغيرهم، وخاصة في عهد الدولة الأموية .

عمال قلعة رباح

لا تسعفنا المصادر بمعلومات كاملة عن العمال الذين تعاقبوا على قلعة رباح ولا عن تسلسلهم الزمني الدقيق ، غير أن ما يمكن استخلاصه من تلك المصادر يعطي فكرة عنهم ، فقد ذكرت أن الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم (٢٠٦ـ ٢٣٨هـ/٨٢١ـ ٨٥٢م) ولى عليها أحد رجاله ، ويدعى أبا الشماخ [٥]، غير أن المصادر لم تذكر شيئا عنه.

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٢،ص٩٤؛ ابن خلدون ، **تاريخ**، ج٤ ، ص١٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٧١.
٢. ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج٢،ص٩٤؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٣٥٠؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٤، ص١٦٧.
٣. ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج٤، ص١٦٧؛ الحميري ،**الروض المعطار** ، ص٤٦٩؛ حسين ، **ثورات البربر**، ص٤٤.
٤. ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٥.
٥. المصدر نفسه ، ج٢، ص٨٤.

وولي قلعة رباح سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م حارث بن بزيع ، الذي كان من قبل عاملا للأمويين على طليطلة ، وذلك في عهد الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨ـ ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ـ ٨٨٦م)[١] أما في عهد الأمير ثم الخليفة الأموي عبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله(٣٠٠ـ ٣٥٠هـ/٩١٢ـ٩٦٠م) [٢] الذي يعتبر عصره أقوى العصورالأموية في الأندلس فقد تعاقب على قلعة رباح عدد كبير من العمال، حيث كان كل منهم ما إن يمضي فترة قصيرة حتى يستبدل به غيره ، وأرى أن ذلك يرجع لأحد أمرين أو كليهما، الأول: اكتشاف أن العامل ضعيف الشخصية والإرادة لا يستطيع السيطرة على الأوضاع ، والثاني أن يكون قويا قد يمكنه طول البقاء من حشد الأنصار والأشياع والأنصار ، فيزين له ذلك التمرد والإنتزاء على المدينة والإستقلال بها ، وخاصة أن التمرد على سلطة الدولة في الأندلس ،وفي عهد الدولة الأموية بشكل خاص ، كان أمرا شائعا كثير الحدوث.

والعمال الذين أمدتنا المصادر بأسمائهم ممن تعاقبوا على قلعة رباح في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله:

- عبد الله بن فهر ، وقد كان واليا على قلعة رباح سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م.[٣]
- شبيب بن أحمد ، سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م.[٤]
- عبدالله بن عبدالملك ، سنة٣١٨هـ/٩٣٠م.[٥]
- محمد بن حمدون بن بسيل ، سنة٣٢١هـ/٩٣٣م.[٦]
- عبد الملك بن عبدالله ،سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤م.[٧]

---

١. ابن حيان ، **المقتبس** ، تحقيق محمود مكي ، ٢٩٢ـ٢٩٣؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٢،ص٩٥.
٢. هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل ، ولد سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م ، ولي إمارة الأندلس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وأعلن نفسه خليفة بلقب (أمير المؤمنين) سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م.انظر: ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج٦،ص١٤٣؛ المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٣٥٣؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٢، ص١٥٦،١٩٨ـ ١٩٩.
٣. ابن حيان ، **المقتبس** ، نشر شالميتا ، ج٥، ص٥٣ـ٥٤.
٤. المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٥٤.
٥. المصدر نفسه ، ج٥، ص٢٨٥.
٦. المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٣١.
٧. المصدر نفسه ، ج٥، ص٣٥٥.

- أحمد بن محمد وعبدالله بن محمد بن مبشر، (وليا قلعة رباح وطليطلة معا) سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م.[١]
- عبدالعزيز بن دري ، سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م.[٢]
- قاسم بن رحيق،سنة٣٢٧ـ٣٢٨هـ/٩٣٧ـ٩٣٩م.[٣]
- هشام بن جهور،سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م.[٤]
- عيسى وسليمان ابنا محمد بن عيسى،سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م (وليا قلعة رباح وطليطلة معا)[٥]
- إلياس بن سليمان، سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م[٦]

وعندما بدأت الدولـة الأموية في الأندلس بالإنهيار استولى علي بن حمود الحسني ، وهو هاشمي ، يرجع بنسبه إلى علي بن أبي طالب ،على قرطبة [٧]، ودعا الناس إلى بيعته سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م، ولقب نفسه أمير المؤمنين [٨]، غير أنه قتل بعد سنة واحدة ، وتولى مكانه أخوه القاسم ، حيث بويع له في ذي القعدة سـنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م [٩] وقد أقطـع القاسـم ولاية جيـان وقلعة رباح لزهير العامري، أحد الفتيان العامريين[١٠].

---

١. ابن حيان ، **المقتبس** ، نشر شالميتا ، ج٥، ص٤٢٩.
٢. المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.
٣. المصدر نفسه ،ج٥، ص٤٦٢.
٤. المصدر نفسه ، ج٥، ص٤٧٢.
٥. المصدر نفسه ، ج٥، ص٤٨٩.
٦. المصدر نفسه ، ج٥، ٤٨٩.
٧. ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص٢٨٤؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٣، ص١١٩؛ حتامله ، **الأندلس** ، ص٤٣٩،٤٤١.
٨. ابن خلدون، **تاريخ** ، ج٤،ص١٩٥؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج٣، ص١٢٠.
٩. المقري ، **نفح الطيب** ، ج١، ص٤٣١؛ المراكشي ، **المعجب** ، ص٢٨.
١٠. ينسب الفتيان العامريون إلى المنصور محمد بن أبي عامر الذي استأثر بالحكم في أواخر عهد الدولة الأموية، وينتمي هؤلاء الفتيان إلى جنس الصقالبة ، وقد كانوا في الأصل من سبي الشعوب السلافية الذين بيعوا في الأندلس، وكان هؤلاء الصقالبة قد جلب معظمهم أطفالا ، وربي الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية ، ثم أسندت إليهم وظائف عديدة معظمها في المجال العسكري. انظر: حتامله ، المرجع السابق ، ص٤٦٦وما بعدها؛ العبادي ، أحمد مختار ،**في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر، ١٩٨٦م ، ص٢٧٦ـ٢٧٧.

وآلت قلعة رباح مع طليطلة في عهد ملوك الطوائف إلى بني ذي النون ، وقد تولى حكمها في عهدهم حريز بن حكم بن عكاشة ، الذي نال حظوة كبيرة لديهم، وخاصة يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر الذي ولاه حكم القلعة .[١] وقد قتل حريز سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م بالقرب من قلعة رباح.[٢] وكان حريز فارسا لا يبارى في فروسيته وشجاعته [٣]، كما كان شاعرا مطبوعا.[٤]

وولي قلعة رباح بعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م القائد أبو الحسن علي بن فتح ، الذي قدم إليها من قرطبة ، وقد ذكر ابن سعيد أن ولاة قلعة رباح "كانت تتردد عليها من طليطلة ، ثم أخذت طليطلة فصارت تتردد عليها من قرطبة"[٥].

وآلت قلعة رباح إلى المرابطين سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[٦] ،ولا تذكر المصادر عمالهم عليها ، مع أنهم ظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م حيث احتلها النصارى .[٧] ومكثت في أيدي النصارى حتى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م ، ففي هذه السنة تمكن الموحدون من تحرير قلعة رباح ، وكان عاملهم عليها القائد الأندلسي أبو الحجاج يوسف بن قادس.[٨]

---

١. المقري، **نفح الطيب** ، ج٣، ص٣٥٨.
٢. ابن الأبار ، **الحلة السيراء** ، ج٢، ص١٧٦-١٧٧.
٣. ابن عاصم الغرناطي ، أبو يحيى محمد (ت.٨٥٧هـ)، **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**،(تحقيق صلاح جرار)،دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٩م،ص٢٥٦-٢٥٨.
٤. المقري، المصدر السابق ، ج٣،ص٥٥٨-٥٦١.
٥. ابن سعيد، **المغرب في حلي المغرب**،ص٣٩.
٦. الناصري ، **الاستقصا**، ج٢، ص٥٤؛ابن أبي زرع الفاسي ، أبو الحسن علي بن عبدالله (ت ٧٤١هـ)،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٦٢م ، ص١٠٠.
٧. حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢،ص٨٧٧.
٨. الناصري ، المصدر السابق ، ج٢،ص١٩٢؛حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢،ص٨٧٧.

أعلام قلعة رباح

نبغ من أهل مدينة قلعة رباح عدد كبير في العلوم والمعارف المختلفة ،فقد نسب إليها محدثون وفقهاء وقضاة وأدباء ولغويون ، كما نبغ فيها بعض من استوطنها قادما إليها من طليطلة وغيرها ،وأصبح من أعلامها ، وفيما يلي أبرز هؤلاء الأعلام:

- ❖ علي بن رباح اللخمي ، وهو الذي سميت مدينة قلعة رباح باسمه، وقد ذكرناه بشيء من التفصيل عند تناول تسميتها.وكان من فقهاء التابعين ، وكان له ابن يدعى موسى ذكر ابن الفرضي أنه من أصحاب الليث بن سعد.(١)

- ❖ محمد بن يحيى بن عبدالسلام الأزدي النحوي الرباحي ، أصله من جيان ،كان رجلا صالحا متدينا، وقد كان عالما موسوعيا ، حيث تفنن في علوم مختلفة ، منها علم الكلام ، والفلك ، والطب ، وكان كما يذكر الزبيدي - يناظر أهل الطب والتنجيم في دقائق معانيهم وفنونهم ، فيتفوق عليهم ، ذلك أنه كان له جلد على دراسة العلوم واعتنائه بها، وخاصة أنه كان ذا ذكاء وفطنة وبراعة في المناظرة.(٢) وإضافة إلى إتقانه العلوم المشار إليها كان الرباحي المذكور محدثا ، إذ يذكر ابن الفرضي أنه سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ وغيره ، ورحل إلى المشرق ، فسمع بمكة من ابن الأعرابي ، وبمصر من أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس وعلان بن الحسن وغيرهما، وكان فقيها إماما موثوقا ، وكانت العربية علمه الغالب عليه ، فقد أخذ كتاب سيبويه رواية عن ابن النحاس، وكان جيد النظر ، دقيق الإستنباط ، حاذقا بالقياس. وذكر الرشاطي أنه ينتمي إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وأن جده انتقل إلى

---

١. ابن الفرضي ،أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ) **تاريخ علماء الأندلس** ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م،ص٣١١.

٢. الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين** (تحقيق محمد أبي الفضل)،ط٣، دار المعارف ، ص٣١٠؛ الرشاطي، **الأندلس في اقتباس الأنوار** ، ص١٤١.

قلعـة ربـاح فسكنها. وقد كـان مؤدبـا للمغيرة ابن الخليفـة الأمـوي عبـدالرحمن الناصـر ،[١]وقد توفي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م.[٢]

- ❖ مسعود بن خلصـة الكلبـي : ذكـر الحميدي أنـه ينسب إلـى قلعـة ربـاح، مـن بـلاد الأنـدلس ، وهو محدث.[٣]

- ❖ محمـد بـن سـعد الربـاحي : ينسـب أيضـا إلـى جيـان فيقـال لـه الجيـاني، ويـذكر الحميـدي أن أصله من جيان ، وسكن قلعة رباح.[٤] وهو صاحب نحو ولغة وشعر.[٥]

- ❖ قاسم بن الشـارب الربـاحي : ذكـر الضبي ويـاقوت أنـه فقيـه محدث ، وأورده يـاقوت ضـمن من ينسبون إلى مدينة قلعة رباح ، ولكن باسم مصحف هو (قاسم بن الشارح).[٦]

- ❖ يوسف بن سليمان بن مروان ، أبـو عمـر الأنصـاري الأندلسـي المعروف بالربـاحي ، أصـله مـن قلعـة ربـاح ، ذكـر الـذهبي أنـه كـان فقيهـا إمامـا ورعـا زاهـدا ، جماعـة للعلـم ، نحويـا عروضيا ، شاعرا، نسـابة . وكان مجـاب الـدعوة ، بصيرا بالحجاج والاسـتنباط. وقد ترك

---

١. ابن الفرضي ، **تاريخ علماء الأندلس** ، ص٦٩؛ الرشاطي، **الأندلس في اقتباس الأنوار**، ص١٤١.

٢. الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) ، **بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس** ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م ، ج١، ص١٨٦.

٣. الحميدي ، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي(ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** (تحقيق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط٣، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م،ج٢، ص٥٥٨.

٤. الحميدي ، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦، ص٥٩.

٥. المصدر نفسه ، ص٥٩؛ ياقوت ، **معجم البلدان** ، ج٣،ص٢٣؛ السمعاني ،**الأنساب** ، ج٣، ص٣٩.

٦. الضبي ، **بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس**، ج١، ص٤٤٩؛ ياقوت ، المصدر السابق، ج٣،ص٢٣؛ السمعاني ،المصدر السابق ، ج٣، ص٣٩.

قلعة رباح وسكن إشبيلية (Sevilla)[١] وتوفي في مرسية (Murcia)[٢] في آخر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م.[٣]

❖ محمد بن وهب بن بكير ،أبو عبدالله الكتاني الأندلسي : كان عالما بالفقه ،عارفا بالأحكام ، وقد تولى القضاء في مدينة قلعة رباح ، وكان عادلا طاهر النفس ، موصوفا بالتضحية والإخلاص للناس. وكان ينصر المذهب المالكي. وقد آثر في آخر حياته الإستيطان في طليطلة ، حيث توفي سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م.[٤]

---

١. إشبيلية : يلفظ اسمها بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام، وياء خفيفة، وهي مدينة موغلة في القدم، تقع على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من قرطبة، وقد جعل لها هذا الموقع ميزة فريدة استراتيجيا وتجاريا، حيث تعد ميناء نهريا وبحريا تصل إليه السفن الصغيرة والكبيرة على الرغم من بعد إشبيلية عن مصب النهر في المحيط الأطلسي نحو ستين ميلا. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص١٩٥؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٨؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٣٨- ١٣٩؛ الزهري، **كتاب الجعرافية**، ص٨٨؛ المقري، **نفح الطيب** ، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧؛ ابن خلدون ، **تاريخ** ، ج٤، ص٢٠٠-٢٠٤؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص١١٥؛ حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٧٠- ٨٥.

٢. مرسية: تقع في جنوب شرقي الأندلس على بعد على بعد أربعة وستين كيلومترا عن البحر الأبيض المتوسط ،وقد استولى عليها في أواخر عهد الدولة الأموية أحد الفتيان العامريين ، وهو خيران العامري ،وأنشأ فيها إمارة ، وذلك سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م،واستقل بحكمها في أواخر عهد الموحدين محمد بن يوسف بن هود (المتوكل) ،وظل بنو هود يحكمونها حتى سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م حيث احتلها النصارى.انظر:ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس** ، ص٩٧؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب** ، ج٣، ص١٧١؛حتامله ، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص١٠٤١-١٠٤٢.

٣. الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (تحقيق بشار عواد معروف)،ط١،دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م،ج٩، ص٧٢٠.

٤. الذهبي، المصدر السابق ، ج١٠، ص١٥٩؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ)، **الصلة**، ط١، ٣أجزاء في مجلد واحد، (تحقيق ابراهيم الأبياري) دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ج٣، ص٧٩٧.

❖ محمد بن أحمد بن حزم بن تمام: وهو محدث ، من سلالة الصحابي محمد بن مسلمة الأنصاري. وقد توفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[١]

❖ أبو الحسن علي بن فتح: سبق ذكره ، فقد كان أحد عمال مدينة قلعة رباح ، وكان علما من أعلامها ، فقد كان شاعرا ، وذكر ابن سعيد أن له شعرا "يستعبد الشعراء إحسانه " [٢] ومن شعره:

أقول لها لو كان ينفع عندها   مقال ونار الوجد تقدح في صدري
إلى كم تعين الدهر وهو مسلط   علينا بطول العتب والصد والهجر[٣]

❖ أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام: كان "شاعر القلعة الذي نوه بقدرها ، ورفع من رأس فخرها"[٤] وقد " تعلم الحجامة فأتقنها ، ثم تعلق بالأدب حتى صار آية"[٥] وقد ربي في مدينة قلعة رباح في عهد ملوك الطوائف.[٦] ومن شعره قوله يصف ثريا الجامع:

تحكي الثريا الثريا في تألقها   وقد عراها نسيم فهي تتقد
كأنها لذوي الإيمان أفئدة   من التخشع جوف الليل ترتعد[٧]

ومن شعره أيضا [٨] .

---

١. ابن حزم ، **جمهرة أنساب العرب** ، ص٣٤١.
٢. ابن سعيد ، **المغرب في حلي المغرب** ، ص٣٩.
٣. المصدر نفسه ،ص٤٠.
٤. المصدر نفسه ، ص٤٠.
٥. المقري ، **نفح الطيب** ، ج٣،ص٤١٥.
٦. ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص٤٠؛المقري ، المصدر السابق ، ج٣،ص٤١٥.
٧. المقري، المصدر السابق، ج٣،ص٤١٥-٤١٦.
٨. ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص٤٠-٤١؛أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، **رايات المبرزين وغايات المميزين** (تحقيق محمد رضوان الداية)،ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٧٨م، ص١٤٣-١٤٤.

صغار الناس أكثرهم فسادا وليس لهم لصالحة نهوض
الم تر في طباع الطير سرا تسالمنا ويأكلنا البعوض

وقوله:

لي صاحب لا كان من صاحب كأنه في كبدي جرحه
يحكي إذا أبصر لي زلة ذبابة تضرب في قرحه

وقوله:

فما للملك ليس يرى مكاني وقد كحلت ناظره بنوري
كما المسواك مطرحا مهانا وقد أبقى جلاء في الثغور

❖ عبدالله بن سعيد ابن أبي عوف الرباحي: محدث فقيه ، كان على اتصال مع علماء الأندلس عامة ، ومع علماء طليطلة بشكل خاص، ويطلب العلم على أيديهم ، ومن هؤلاء العلماء الطليطليين : أحمد بن سعيد بن كوثر (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)، ويذكر عبدالله الرباحي أنه كان يأتي مجلس العلامة ابن كوثر الذي كان يعقده في منزله بطليطلة ، قادما من قلعة رباح ، وكان غيره يأتي المجلس من المشرق ، وكان عدد من يضمهم المجلس أربعين تلميذا ، وأحيانا أكثر ، وكان المجلس أثناء شهور الشتاء يفرش بالبسط المبطنة بالصوف وعليها الوسائد الصوفية، بينما كانت الحيطان مبطنة باللبود ، ومع كل هذه الوسائل التي كان عبدالله الرباحي يحرص على توفيرها لتلاميذه، كان يحرص أيضا على إشعال الفحم في كانون كبير. " فإذا فرغ الحديث أمسكهم جميعا ، وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب ، وأيام ثرائد اللبن بالسمن والزبد ، فنأكل تلك الثرائد حتى نشبع منها ..فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ، ولا نتعشى حتى نصبح إلى ذلك الطعام الثلاثة الأشهر ، فكان ذلك كرما وجودا وفخرا لم يسبقه أحد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة"[١]

---

١. الحميدي ، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، ص٣٦٧.

وقد استقر العلامة عبدالله الرباحي في طليطلة ، وقام برحلة إلى المشرق أدى خلالها فريضة الحج ، والتقى بعدد من العلماء . وكان موصوفا بالتقى والورع ورقة القلب ، وكثيرا ما كان يبكي من خشية الله. وكان إلى جانب علمه يحرص على الجهاد في سبيل الله ، إذ كان يرابط في أحد الحصون المجاورة لطليطلة شهر رمضان من كل عام. وقد توفي رحمه الله سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. (١)

❖ يوسف بن محمد بن وهب بن بكير الكتاني الأندلسي : هو ابن قاضي قلعة رباح المتقدم ذكره ، وقد أخذ العلوم عن والده وعن عدد من علماء الأندلس والمشرق، واشتهر بالذكاء والمعرفة بالفقه والحديث والفرائض ، وكان موصوفا بالعدل والإحسان وحسن الهيئة والسيرة.(٢)

❖ علي بن محمد بن السيد النحوي من أهل بطليوس ؛ يكنى أبا الحسن ، ويعرف بالخيطال: استوطن قلعة رباح ،وكان واسع العلم في اللغة وحفظها ، غزير المعرفة في فنون الأدب، وهو أستاذ أخيه أبي محمد عبدالله بن السيد النحوي الذي أخذ عنه كثيرا من كتب الآداب وغيرها ، وألف العديد من الكتب لعل أشهرها :(الإقتضاب في شرح أدب الكتاب) و (التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة) و(الحدائق). ويبدو أن علي بن محمد البطليوسي التحق بخدمة حريز بن عكاشة الذي سبق ذكره، والذي ولاه يحيى بن ذي النون الملقب ب(القادر) قلعة رباح، وقد استمر في خدمته فترة ، ثم مالبث أن اتهمه بمداخلة ملك بطليوس المتوكل بن الأفطس (٣) وإغرائه

---

١. ابن بشكوال ،**الصلة** ، ج٢، ص٤١٢.

٢. المصدر نفسه ، ج٣، ص٩٧٦.

٣. المتوكل ابن الأفطس: أحد ملوك بطليوس في عهد الطوائف ، وقد تولى حكمها سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م،وهو ينتسب إلى إحدى قبائل مكناسة من البربر،وكان شاعرا وأديبا ، حاول توحيد الأندلس لمواجهة النصارى إلا أنه فشل ، وهو الأمر الذي استدعى دخول المرابطين الأندلس.انظر:ابن الكردبوس ، **تاريخ الأندلس** ، ص٧٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص٢٣٥؛ج٤، ص١٢٢؛الحميري ، **الروض المعطار** ، ص٣٦؛ حتامله ، **الأندلس** ، ص٥٢٦.

بالإستيلاء على قلعة رباح ، وبسبب ذلك ألقى القبض عليه ، وحبسه في بيت ضيق ،ومنع عنه الطعام إلا رغيفا واحدا في اليوم لا شيء معه، وأدى الحبس مع الجوع إلى هزاله ثم وفاته، وذلك سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م.ويذكر ياقوت أن علي بن محمد بن السيد النحوي البطليوسي " روى عن أبي بكر بن الغراب ،وأبي عبدالله محمد ابن يونس وغيرهما "، ويدل ذلك على أنه اشتغل بالحديث أيضا ، إضافة إلى اشتغاله باللغة والنحو.[١]

❖ حريز بن عكاشة : ورد ذكره سابقا عند الحديث عن عمال قلعة رباح ، حيث كان أحد عمالها في عهد ملوك الطوائف ، وهو إلى جانب ذلك كان علما من أعلامها ، وهو من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم،[٢] وقد كان شاعرا مطبوعا ، يدل على ذلك أن بعض علماء الأندلس ، وهو أبو المطرف ابن المثنى ،وهو وزير القادر بن ذي النون ، خرج من قرطبة إلى طليطلة ،فاجتاز بقلعة رباح ،ونزل بخارجها في بعض جنباتها ، وكتب إلى حريز بن عكاشة :

يا فريـدا دون ثـان وهلالا في العيـان
عدم الراح فصارت مثل دهن البيلسان

فبعث حريز إليه راحا(خمرة) ، وكتب له:

يـا فـريدا دون ثـان وهـلالا في العيـان
جاء من شعرك روض جـاده صـوب البيـان
فبعثنـاها سـلافـا كسجاياك الحسـان[٣]

---

١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم الأدباء** ،ط٣، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ، ج١٥،ص٥٦.

٢. المقري ، **نفح الطيب** ، ج٣، ص٥٥٨.

٣. المصدر نفسه ، ج٣، ص٣٥٨،٥٥٨؛ ابن خاقان(ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م) ، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس** (دراسة وتحقيق محمد علي الشوابكة) ،ط١، دار عمار، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٢١-٢٢٢.

وكان حريز بن عكاشة مشهورا بفروسته وشجاعته ـ كما سبقت الإشارة ـ وهناك حكاية تدل على ذلك أوردها كل من المقري[١] ، وابن عاصم الغرناطي [٢]، وغيرهما بروايات مختلفة ، وخلاصتها أنه قدم على ملك قشتالة ألفونسو السادس ، قومس(كونت) من بلاد الإفرنج زعم أنه بحث في البلاد ونقب في الأصقاع عن فارس يثبت له في المبارزة ، فلم يجد ، وكان ألفونسو السادس قد سمع بفروسية حريز وبسالته ، فذكره للقومس الإفرنجي ، فأبدى رغبته في مبارزة حريز ، وكان بين حريز وألفونسو صلح ومهادنة ، وقد سار ألفونسو السادس على رأس قوة من جيشه وبصحبته الفارس الإفرنجي إلى قلعة رباح، ولما علم حريز بالأمر ظن أن ألفونسو غدر ونقض الصلح ، ولكن شكوكه تبددت عندما علم من ألفونسو السادس سبب مجيئه .وكان حريز آنذاك يعاني من وعكة ألمت به، فأبدى بعض أصحابه رغبتهم في مبارزة الفارس الإفرنجي بدلا منه ، إلا أن ذلك الفارس أبى أن يكون مبارزه غير حريز، وعندما علم حريز بما فعل أصحابه عتب عليهم لأنهم جروا عليه ما غض منه ، وعزم على مبارزة القومس بنفسه ، وخرجا للمبارزة ، وكان مع القومس ثلاثمائة من صحبه بينما كان مع حريز مائة فقد. وحمل الرجلان ، فتجاولا والموت ثالثهما ، وطال العراك بينهما ، ثم تمكن حريز من طعن القومس طعنة في صدره ، أدخلت في جوفه حلق درعه ، فخر على وجهه. ثم نزل حريز ، وخلص على القومس بقطع رأسه بالسيف. وقد هم أصحاب القومس بمهاجمة حريز وصحبه إلا أن ألفونسو منعهم.[٣] وعندئذ أقبل حريز مسلما على ألفونسو ، ثم هيأ تابوتا للقومس ، ودفعه إلى صحبه.[٤]

وتختلف رواية المقري لهذه القصة اختلافا واضحا ،حيث يروي الحكاية ويجعلها دليلا على قوة أهل الأندلس وشجاعتهم ، ويدلل على ذلك بأن ألفونسو السادس هاجم بلاد

---

١. المقري، **نفح الطيب** ، ج٣، ص٥٥٨ـ ٥٦١.
٢. ابن عاصم الغرناطي ، **جنة الرضا** ، ج٢، ص٢٥٧.
٣. المصدر نفسه ،ج٢،ص٢٥٧.
٤. المصدر نفسه ،ج٢،ص٢٥٧

المسلمين، وبدأ بخراب الضياع وقطع الشجر ،" فكتب إليه حريز :ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك ، ولو كان الملك في عشرة أمثال عددي لم ينزل لي بساحة ، ولا تمكن منها براحة، فلما وصلته الرسالة عف ، وأمر بالكف."[١]

وبعث ألفونسو السادس إلى حريز يعلمه برغبته في الإجتماع به، " ولما صاروا بالمدينة البيضاء - وهي قلعة رباح غربي طليطلة - خرج حريز لابسا لأمة حربه"[٢] وقد لاحظ النصارى أن حريزا شخص أوتي بسطة في الجسم والبسالة ، وراحوا يتعجبون من آلات حربه ، ويتحدثون بشجاعته.وعندما وصل حريز دعاه ألفونسو السادس إلى مبارزة عظيم أبطالهم ، فما كان من حريز إلا أن ركز رمحه في الأرض قائلا : من يتمكن من اقتلاع رمحي سواء كان واحدا أم عشرة بارزته" فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه، ثم فعل ذلك مرارا، فقال له الملك: أرني ياحريز كيف تقلعه، فركب وأشار بيده واقتلعه، فعجب القوم.."[٣]

ولم يكن حريز فارسا شجاعا وشاعرا مطبوعا فحسب ، وإنما كان كاتبا بليغا، فصيح اللسان ، فقد كان له كاتب مغفل يدعى : عبدالحميد بن لاطون ، فأمره حريز بأن يكتب إلى ملك طليطلة يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون (٤٣٥هـ ـ٤٦٧هـ/١٠٤٣ـ ١٠٧٤م) يخبره بشأن حصن احتله النصارى ،فكتب"..وقد بلغني أن الحصن الفلاني دخله النصارى إن شاء الله تعالى ، فهذه الواقعة التي ذكرها الله تعالى في القرآن ، بل هي الحادثة الشاهدة بأشراط الزمان ، فإنا لله على هذه المصيبة التي هدت قواعد المسلمين، وأبقت في قلوبهم حسرة إلى يوم الدين "[٤]

---

١. المقري ، **نفح الطيب** ، ج٣، ص٥٥٨.
٢. المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٥٨-٥٥٩.
٣. المصدر نفسه ، ج٣،ص٥٥٩.
٤. المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٦٠.

وعندما وصل الكتاب إلى المأمون كتب إلى حريز بن عكاشة يعاتبه على إسناد الكتابة إلى هذا الكاتب الأبله ،فرد حريز مجيبا :" ..إن المذكور ممن له حرمة قديمة ، تغنيه عن أن يمت بسواها ، وخدمة محمود أولاها وأخراها ، ولسنا ممن اتسعت مملكته ، وعظمت حضرته ، فنحتاج إلى انتقاء الكتاب ، والتحفظ في الخطاب، وإنما نحن أحلاس ثغور ، وكتاب كتائب لا سطور، وإذا كان الكاتب المذكور لا يحسن فيما يلقيه على القلم ، فإنه يحسن كيف يصنع في مواطن الكرم.."[١]

- أحمد بن محمد بن عافية الرباحي : علم من أعلام مدينة قلعة رباح في مجال الحديث ، أخذ العلم عن أهل بلده ثم رحل إلى المشرق ، حيث لقي عددا من العلماء فأخذ عنهم وأخذوا عنه.[٢]

وهكذا يلاحظ أن مدينة قلعة رباح أنجبت عبر تاريخها حشدا من الأعلام ، واستوطنها آخرون قادمين إليها من خارجها ،وخاصة من طليطلة .وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أنها تطورت من قرية صغيرة في عهد الولاة إلى مدينة كبيرة في بعض المراحل التاريخية التالية.غير أن تطور مدينة قلعة رباح ونموها واتساعها لم يكن تراكميا مستمرا ، فقد كانت تتعرض للخراب والتدمير وهجر السكان ، ومن ثم للتعمير وجذب السكان وحشدهم فيها ، وذلك حسب التقلبات السياسية والعسكرية.

وكانت الأوضاع السياسية والعسكرية لمدينة قلعة رباح ترتبط بالأوضاع السياسية والعسكرية لمدينة طليطلة وتتأثر بها، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الإرتباط في عهد الولاة ، حيث كانت تحظى باهتمامهم باعتبارها قاعدة عسكرية تزود الجيوش الإسلامية الزاحفة شمالا بالمؤن والإسناد.

---

١. المقري ، **نفح الطيب**، ج٣، ص٥٦٠-٥٦١.
٢. ابن بشكوال ، **الصلة** ،ج١، ص٧٢.

واهتم الأمويون وخاصة الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط (٢٣٨ـ٢٧٣هـ/٨٥٢ـ ٨٨٦م)بما في منطقة الثغر الأوسط من قلاع وحصون بما فيها قلعة رباح لما لها من أهمية عسكرية في إقرار الأحوال السياسية والعسكرية لطليطلة عاصمة الثغر،وذلك لحمايتها من غارات النصارى من جهة،ولأن طليطلة نفسها كانت موطن ثورات متلاحقة ضد الأمويين من ناحية أخرى ،تلك الثورات التي أدت إلى تخريب قلعة رباح ، فأعادوا إعمارها لتظل قادرة على القيام بدورها العسكري. وقد كان الأمير محمد يستطلع منطقة الثغر الأوسط باستمرار بإرسال من يخبره بأحوالها ، كما كان يرسل إليها من يرعى مصالحها.[١]

واستمر الإهتمام بمنطقة الثغر الأوسط بما فيها قلعة رباح في عهد الخلافة الأموية أيضا ،حيث دعم الخليفة الأموي الناصر ومن جاء بعده القوة الدفاعية للثغر ، فأصبحت أكثر منعة وأشد خطورة على النصارى . وهو ما ستتناوله الفصول التالية من هذه الدراسة.[٢]

---

١. أبو مصطفى، كمال السيد ، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**،مركز الإسكندرية للكتاب ،١٩٩٧م، ص١١٣ـ١١٤.

٢. المرجع نفسه، ص١٢٠ـ١٢١.

الفصـــل الثاني

تاريخ قلعة رباح في عهد الدولة الأموية

قلعة رباح في عهد الإمارة الأموية

بدأ عهد الإمارة الأموية في الأندلس بعد عهد الولاة الذي استمر منذ استقرار المسلمين فيها حتى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م،ففي هذه السنة دخلها عبدالرحمن بن معاوية الملقب ب(الداخل)(١) وتغلب على آخر ولاة الأندلس يوسف بن عبدالرحمن الفهري (١٢٩ـ١٣٨هـ/٧٤٧ـ٧٥٥م) في معركة المسارة (أو المصارة)(٢)، في ذي الحجة سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م.(٣)

ويشار هنا إلى أن المصادر التاريخية لم تسعفني بأي معلومات تتعلق بقلعة رباح في عهد الولاة، ولكن ما يمكن استنتاجه من مسار الفتوحات الإسلامية في ذلك العهد الذي امتد نحو اثنتين وأربعين سنة (٩٥ ـ١٣٨هـ/٧١٣ـ ٧٥٥م) أن القلعة حظيت مثل غيرها من القلاع والحصون بعناية ولاة الأندلس ،وذلك لسببين: أولهما : أهميتها في استقرار الأحوال السياسية في وسط المناطق التي تم فتحها ، والثاني: أهميتها كقاعدة عسكرية تتزود منها الجيوش الإسلامية المتقدمة شمالا بالتموين ، وتوفر لها الإسناد اللازم. ففي هذا العهد وقعت فتن كثيرة بين العرب والبربر منها على سبيل المثال ما وقع في عهد الوالي عبدالملك بن قطن الفهري سنة ١٢٣هـ/٧٤١م حيث اقتتل العرب والبربر

---

١. عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، كنيته (أبو المطرف)، ولد في دمشق سنة ١١٣هـ/٧٣١م، وهرب من وجه العباسيين عندما تغلبوا على بني أمية في المشرق، وقتلوا آخر خلفائهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وتوجه إلى المغرب حيث نزل القيروان، وتخفى متنقلا بين البربر في شمالي أفريقية ، وبعد نحو خمس سنوات تمكن من دخول الأندلس وذلك في ربيع الآخر من سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م ، وكان قد بلغ حينئذ خمسا وعشرين سنة ، فلقب ب(الداخل)، مجهول، **أخبار مجموعة**،ص٤٦، ٥٥ ؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٥٤؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٤٦؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٢٧ـ ٣٢٨؛ ابن عذاري ، **البيان المغرب**، ج٢،ص ٤٠،٤٧ـ٤٨.

٢. المسارة أو المصارة: حي من أحياء قرطبة، التي تقع على نهر الوادي الكبير الذي تسميه بعض المصادر(نهر قرطبة). انظر: ابن عذاري، المصدر السابق،ج٢،ص٤٦؛مجهول، **أخبار مجموعة**،٨٦.

٣. مجهول، المصدر السابق، ص٨٥ـ٨٦؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**،ص٥٦؛ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٥٥.

في معركة وادي سليط (Guazalete) قرب طليطلة.[١]

أما تقدم الجيوش شمالا في عهد الولاة لأغراض استكمال الفتح ، وكسر شوكة النصارى فكان أمرا مستمرا،فقد وجه الوالي أيوب بن حبيب اللخمي سنة ٩٧هـ/٧١٦م سراياه إلى المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقي من طليطلة ، حيث بنى القلعة المعروفة باسمه (قلعة أيوب) ،[٢] وفعل مثل ذلك الوالي السمح بن مالك الخولاني(١٠٠ـ١٠٢هـ/٧١٩ـ٧٢١م)الذي وصل على رأس جيشه إلى مناطق تقع في جنوب شرق فرنسا حيث استشهد في ساحات القتال مع النصارى.[٣] وعبد الرحمن الغافقي(١١٢ـ ١١٤هـ/٧٣٠ـ ٧٣٢م) الذي رسم خطة لفتح بلاد غالة(فرنسا حاليا)للتوسع فيها، وتثبيت قدم المسلمين خلف جبال البرت، وقد تمكن من فتح مدينة بواتيه(Poitiers) ثم واصل زحفه شمالا نحو مدينة تور(Tours) ، غير أنه استشهد في معركة بلاط الشهداء التي خاضها ضد النصارى بقيادة شارل مارتل(Charles Martel) في أواخر شعبان سنة ١١٤هـ/منتصف تشرين الأول ٧٣٢م.[٤]

والواقع أن معظم ولاة الأندلس قادوا جيوشهم شمالا مارين ـ على الأغلب ـ بقلعة رباح أو قربها، وهو الأمر الذي يستدعي جاهزيتها تموينا وأسلحة باستمرار، دعما لتلك الجيوش.

وليس من شك في أن أهمية قلعة رباح العسكرية قد ازدادت في عهد الإمارة الأموية ، وهو العهد الذي بدأ عام ١٣٨هـ/٧٥٥م على يد عبد الرحمن الداخل حتى عام ٣١٦هـ/٩٢٨م حيث أعلنت

---

١. المقري، **نفح الطيب**،ج٣، ص٢١؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**،ج٢، ص٣١؛ مؤنس، **فجر الأندلس**، ص٢٥٩.

٢. ابن خلدون ، **تاريخ**، ج٤،ص١٥١ـ١٥٢؛ حتامله،**الأندلس**،ص١٠٨ـ١٠٩.

٣. ابن خلدون، المصدر السابق،ج٤، ص١٥٢؛ المقري، المصدر السابق ، ج٣، ص١٥؛حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٨.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٨؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص١٩٤؛ مؤنس، المرجع السابق، ص٢٧٤ـ ٢٧٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص١٢٠ـ ١٢٥.

الخلافة الأموية في الأندلس على يد عبدالرحمن الناصر لدين الله كما سيأتي.[١]

وقد شهد عهد الإمارة منذ بدايته كثيرا من الحركات الثورية ضد الأمراء الأمويين،وكانت طليطلة مركز الإنطلاق لمعظم تلك الحركات،ولما كانت قلعة رباح هي القاعدة العسكرية الأقرب لطليطلة، فقد اهتم الأمراء الأمويون بأن تكون جاهزيتها عالية باستمرار لإقرار الأحوال السياسية والعسكرية في طليطلة وجوارها،حيث عملوا على تحصينها ، وحشد القوات بها لتكون مستعدة دائما لمد العون لولاة طليطلة ، وعمالهم في نواحيها. ويلاحظ من دراسة تاريخ مدينة قلعة رباح أن بعض المعارك التي وقعت بين جيوش الأمراء الأمويين وقوات الثوار إنما وقعت قربها، ويبدو من ذلك أن الثوار كانوا عندما يحزبهم الأمر وهم في طليطلة، يحاولون اللجوء إلى قلعة رباح للاحتماء بها إلا أنهم نادرا ما كانوا ينجحون في ذلك، ففي ربيع الأول من عام ١٦٨هـ/٧٨٤م طارد الأمير عبد الرحمن الداخل أبا الأسود محمد بن يوسف الفهري الذي رفع لواء الثورة في طليطلة ، فاتجه أبو الأسود إلى قلعة رباح، غير أن قوات الأمير أدركته قبل دخولها ، ومزقت جيشه كل ممزق. [٢]

وكان أبو الأسود الفهري سجينا لدى الأمير عبد الرحمن الداخل، غير أنه تمكن من الهرب بحيلة دبرها، حيث ادعى بأنه أعمى[٣] ، فأهمل الحراس حراسته ،وتمكن من قطع نهر الوادي الكبير سباحة ، ولحق بطليطلة، فالتف حوله كثيرون قادهم لحرب الأمير عبد الرحمن [٤]، ودارت بين الطرفين معركة طاحنة قرب قلعة رباح ، وعلى الرغم من الخسائر الهائلة التي منيت بها قوات أبي الأسود ، إلا أنه لم يخضع ولم تلن عزيمته ، وقد تمكن من الهرب إلى قورية (Coria) القريبة من

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٢، ص١٩٨-١٩٩؛ابن حيان، **المقتبس**(تحقيق شالميتا)، ص٢٤٢؛ حتامله، **الأندلس**، ص٣٣٧-٣٣٨.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الأول، القسم الأول(من الفتح إلى بداية عهد الناصر)** ، ط٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م،ص١٩٠.
٣. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ج٥،ص٧٠.
٤. المصدر نفسه،ج٥، ص٧٠.

ماردة [١]. وقد بسط أبو الأسود سلطانه في نواحي قورية، فلحق به الأمير عبدالرحمن الداخل، ففر الأسود إلى بعض قرى طليطلة، ثم مالبث أن توفي وحيدا في جبالها.[٢]

وقامت على الأمير الأموي الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م)[٣] في طليطلة عدة ثورات كان من أخطرها ثورة هاشم الضراب الذي كان في طليطلة أيام وقعة الحفرة،[٤] تلك الوقعة التي كان للقيادة العسكرية في قلعة رباح دور كبير في إنهائها ومحو آثارها، وقد كان هاشم الضراب أيامها في طليطلة ، وأخذه الحكم إلى قرطبة ضمن عدد كبير من الرهائن، واشتغل فيها

---

١. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢،ص٨٩٨.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**،ج٢،ص٥٧-٥٨؛ حتامله، **موسوعة الديار لأندلسية**، ج٢، ص٩٠١؛عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول**، ص١٩٠؛ محمود، منى حسن، **المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة**، دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٨٦،ص٦٤.

٣. هو الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، كنيته: أبو العاصي ،ومن ألقابه: المنتصر والربضي، وقد ولد سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م، وبويع بعد موت أبيه بليلة وهو ابن ست وعشرين سنة، وحكم ستا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا. وكان جميل السيرة في رعيته، متخيرا لحكامه وعماله، كما كان طاغيا مسرفا في طغيانه، وهو أول من استكثر من المماليك بالأندلس. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٨؛ المراكشي، **المعجب**، ص١١؛ ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٢٧.

٤. وقعة الحفرة: كان هاشم الضراب زعيما من العامة في طليطلة سنة ١٨١هـ/٧٩٧م عندما أوقع الحكم بأهلها فيما عرف بوقعة الحفرة، وتتلخص أسباب تلك الوقعة في أن بعض المولدين شعروا بأن حقوقهم مهضومة، وقد أجج أحقادهم وبث الحماس في نفوسهم شاعر من طليطلة يدعى(غربيب الطليطلي)، وبعد وفاة غربيب ثار في طليطلة عبيدة بن حميد سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، وقد فكر الحكم في القضاء على هذه الثورات قضاء مبرما، فكتب إلى عامله على طلبيرة ،وهو من المولدين أيضا، يدعى عمروس بن يوسف، بأن يقضي على تمرد طليطلة، فلم يتمكن، وعندئذ قرر الحكم أن يأخذهم بالحيلة، حيث ولى عمروس عليها، وكتب إلى أهلها مطمئنا بأنه اختار لهم رجلا منهم ليحكمهم، غير أنهم لم يتقبلوا عمروس ، لأنه كان منذ زمن ليس ببعيد يقاتلهم ويضيق عليهم، إلا أنهم عدلوا عن هذا الموقف بعد محاولات بذلها عمروس لاسترضائهم ،وكانت نتيجة ذلك أن قاموا على الثائر بطليطلة عبيدة بن حميد وقتلوه، وظل عمروس يلاطف أهل طليطلة حتى أدخلوه المدينة، وعندئذ أخبر عمروس الحكم بما آل إليه الأمر، فعمل الحكم على تنفيذ خطة كان قد أعدها بترتيب مع عمروس للإيقاع بأهل طليطلة. وخلاصتها بناء قصر في وسط طليطلة، يؤخذ التراب المستخدم في بنائه من حفرة في وسطه، ثم دخل الحكم طليطلة ،وأعد وليمة كبيرة في القصر دعا إليها وجهاء المدينة، وقد لبوا دعوته، ولكنه نفذ فيهم الجزء الأخير من الخطة ، حيث أمر السيافين بقطع رؤوسهم وإلقائهم =

حدادا يضرب الحديد فعرف بالضراب[1] ثم غادر قرطبة في عهد الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم (الثاني أو الأوسط)(٢٠٦- ٢٣٨هـ/٨٢١- ٨٥٢م) عائدا إلى طليطلة، وذلك سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م" فاستدعى أهل الشر والفساد.فتألب إليه منهم نفر ، فخرجوا يغيرون على العرب والبربر ، وتسامع أهل الشر به، فقطعوا إليه، حتى اجتمع له منهم جمع عظيم، وخلق كثير، فعلا ذكره، وانتشر صيته."[2] وعندما انضمت إليه هذه الحشود الكثيرة ، أخذ يهاجم المدن والقرى ومنها شنتبرية(Santaver)[3] ، وكان يستهدف البربر ، حيث يذكر ابن الأثير أن وقعات كثيرة كانت بينه وبينهم.[4]

وقد وجه الأمير عبدالرحمن سنة ٢١٦هـ/٨٣١م جيشا لقتال هاشم الضراب بقيادة عامله على الثغر الأدنى محمد بن رستم " فتقدم ابن رستم، والتقى مع هاشم الضراب، فوقعت بينهم حرب شديدة أياما، ثم انهزم هاشم، وقتل هو ومن كان معه، وكانوا آلافا"[5] واستمر من بقي من أتباعه في خلع الطاعة وإثارة القلاقل في طليطلة.[6]

= في الحفرة دون أن يعلم أي منهم بما حل بغيره. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٢؛حتامله، **تاريخ الأندلس** ص٢٣١-٢٣٥.

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٨٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٥، ٢١٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول - القسم الأول**، ص٢٥٨؛ زيتون، محمد محمد، **المسلمون في المغرب والأندلس**،١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص٢١٣.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٣.

٣. شنتبرية: تكتب أيضا مفصولة(شنت برية)،وتلفظ بفتح فسكون، وهي مدينة تقع إلى الشرق من مدينة قرطبة، وقد كانت بعد الفتح من منازل البربر. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٦٦؛ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٤٩٨- ٥٠٠؛ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٣؛ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٩٧- ٦٠٠.

٤. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص٢١٩؛عنان، المرجع السابق، ص٢٥٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٥٤.

٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٣.

٦. زيتون، المرجع السابق، ص٢٩٣؛ نعنعي، عبدالمجيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس - التاريخ السياسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص٢٠٨- ٢٠٩.

وقد كان لقلعة رباح كموقع عسكري قريب من طليطلة دور مؤثر في أوضاعها ومتأثر بأحداثها، ففي سنة ٢١٩هـ/٨٣٤م وجه الأمير عبدالرحمن الأوسط إلى طليطلة جيشا بقيادة ابنه حسب بعض الروايات[١] أو أخيه حسب روايات أخرى هي المرجحة[٢]: أمية بن الحكم لحصارها، فحاصرها مدة يبدو أنها قصيرة، قام خلالها بإتلاف زروعها، وقطع ثمارها، ولكن ذلك لم يؤثر في معنويات سكانها الذين اعتصموا وراء أسوارهم العالية والمنيعة. وعندئذ لم يجد القائد الأموي فائدة من الحصار الذي تطلب جلدا وصبرا لم يحتمله، فغادر المنطقة، وترك أحد قادته، ويدعى ميسرة الفتى، في قلعة رباح القريبة من طليطلة، وكلفه بمتابعة استنزافها حتى الاستسلام. [٣]

وتختلف المصادر التاريخية في رواية ما جرى بين أهالي طليطلة وميسرة الفتى بعد عودة القائد أمية بن الحكم إلى قرطبة، فقد ذكر ابن عذاري أنهم ، أي أهالي طليطلة الثائرون عندما علموا بمغادرة أمية خرجوا من طليطلة لسحق ميسرة وقواته التي استضعفوها في قلعة رباح، يقول ابن عذاري: " فخرج جمع عظيم من طليطلة يريدون قلعة رباح، فبلغه خبرهم، فجمع الجموع، وكمن الكمائن، فلما قربوا منها، وفرقوا خيلهم في الغارة، خرجت عليهم الكمائن، فقتلوا، وحزت رؤوسهم، فجمعت بين يدي ميسرة، واجتمعت منها جملة عظيمة، فلما رأى ذلك ارتاع وداخله الندم، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا حتى مات ندما وأسفا"[٤] وقد أخذ بهذه الرواية كثيرون من المؤرخين ، منهم عنان الذي يذكر أن أهل طليطلة خرجوا بعد مغادرة القائد أمية لقتال ميسرة " فظهر عليهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فارتدوا إلى داخل المدينة ، وعادوا إلى الإعتصام بأسوارها المنيعة"[٥].

ومنهم زيتون الذي يؤكد أن أهل طليطلة عندما أبعد جيش أمية خرج جمع كثير منهم "لعلهم يجدون فرصة وغفلة من ميسرة فيتغلبوا عليه، وعلم ميسرة بالخبر فجعل لهم كمائن في مواضع عدة

---

١. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٤؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٣، ص٣٧٩.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٨٤.
٣. ابن خلدون ، المصدر السابق، ج٤، ص١٦٤- ١٦٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٣.
٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤.
٥. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ـ القسم الأول، ص٢٥٩.

وعندما وصل أهل طليطلة إلى القلعة للغارة عليها خرجت عليهم الكمائن ، ووضعت فيهم السيف فقتل كثير منهم وفر الباقون إلى طليطلة فاعتصموا بها"[١]

أما ابن خلدون فلم يرد اسم ميسرة الفتى في روايته للخبر نفسه، وإنما ذكر أن الذي نزل قلعة رباح هو أمية نفسه، وأن أمية بعث عسكرا للإغارة على طليطلة، وكان أهلها"قد خرجوا في اتباعه إلى قلعة رباح ، فكمن لهم ، فأوقعوا به ، فاغتم لذلك ، وهلك لأيام قليلة"[٢]

وأما حتامله فقد أورد روايتي ابن خلدون وابن عذاري للخبر، ولم يعلق عليهما أو يرجح إحداهما على الأخرى.[٣]

وأرى أن رواية ابن خلدون هي الأصوب، إذ إن ميسرة الفتى لو كان فعلا هو الذي أوقع بأهل طليطلة تلك الوقعة التي كثر فيها قتلاهم كثرة جعلت قلبه يرق ، ويشعر بالندم لكثرة من قتل منهم ، ثم يموت كمدا بسبب ذلك ، لو كان فعل بهم ما ذكرته رواية ابن عذاري ومن تبعه، لما قامت لأهل طليطلة قائمة لسنوات قادمة. ثم كيف يرق قلبه ، ويموت حسرة لأنه قتل أعداءه، مع أنه إنما استهدف بتوجيه من قائده وأميره قتلهم، وسحق ثورة طليطلة التي كانت بثوراتها المتتالية شوكة حادة في خاصرة الدولة الأموية؟

إن ما يؤكده منطق الأحداث وتلسلسها هو أن أتباع هاشم الضراب من أهل طليطلة هم الذين أوقعوا بجيش أمية بن الحكم، فاغتم أمية لذلك ، ومات حسرة، والدليل على ذلك هو أن شوكة أتباع الضراب لم تنكسر، وأن طليطلة لم تخضع، مما اضطر الأمير عبدالرحمن إلى تسيير جيش لقتالهم ومحاصرة مدينتهم في السنة التالية ٢٢٠هـ/٨٣٥م.[٤]

---

١. زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، ص٢٩٤.
٢. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٥.
٣. حتامله، **الأندلس**، ص٢٥٥.
٤. ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٣٧؛ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٦٥.

ولم يتمكن هذا الجيش الذي أرسله الأمير عبدالرحمن من إنهاء الثورة أو التمرد في طليطلة، بل إن هـذا الجيش كما يـذكر بعض المؤرخين إنما كان بقيادة الأميـر عبدالرحمن نفســه،[١] وأنــه حاول إخضاع المدينة الثائرة فثبتت في وجهه، وعندئذ ترك بعض جنده في قلعة رباح ، ليشنوا الغارة عليها كلما سنحت الفرصة. [٢] أما هو فقد سار إلى أحواز ماردة لمطاردة شخص يدعى سليمان بن مرتين ،كان قد تزعم ثورة البربر في تلك الأنحاء، فحاصره الأمير،وقد عجل القدر بهذا الزعيم ، حيث سقط عن جواده ومات، "فانفضت جموعه، وخبت ثورته"[٣]

وقد ولى الأمير عبدالرحمن على قلعة رباح سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م قائدا يدعى أبا الشماخ اليماني، وزوده بالخيل والرجال لتمكينه من الإغارة على طليطلة وإضعاف مقاومتها.[٤]

وسير الأمير عبدالرحمن جيشا لإخضاع طليطلة سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م، وفي الوقت الذي اقترب فيه هذا الجيش من أعتابها كان المـدافعون عنها قد خـرجوا لقتال القـوات الأموية في قلعة رباح، وقد استغل الجيش خروجهم فحاصر طليطلة حتى أتعبها الحصار، إلا أنه ـ كما يبدوـ لم يتمكن من اقتحامها.[٥]

أما الطليطليون الذين خرجوا إلى قلعة رباح فقد حاصروها وضيقوا عليها وعلى أهلها الخناق، وقد استمر حصارهم للقلعة طوال الوقت الذي حاصر الجيش الأموي خلاله مدينة طليطلة ، مما أنهك المدينتين معا.[٦]

ويشير بعض الباحثين إلى أن جماعة موالية للأمويين خرجت من طليطلة عام ٢٢١هـ/٨٣٦م إلى

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ـ القسم الأول**، ص٢٥٩.
٢. ابن خلدون،المصدر السابق ، ج٤، ص١٦٥.
٣. عنان، المرجع السابق ، ص٢٩٥.
٤. ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٨٤
٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٤، ص١٤٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤؛ حتامله، الأندلس، ص٢٥٥.
٦. حتامله، موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص٦٩٨.

قلعة رباح، وانضمت إلى القوات الأموية فيها،[١]وقد شجع ذلك الأمير عبدالرحمن على إرسال قوة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم عام ٢٢٢هـ/٨٣٧م إلى طليطلة انضمت إلى الجيش الأموي الذي كان يحاصرها، وكان أهلها قد " أشرفوا على الهلكة، وضعفوا عن المدافعة"[٢] وعندما بلغ الجهد منهم كل مبلغ ،هاجمها الوليد، واقتحم أسوارها، ودخلها يوم السبت الثامن من رجب من ذلك العام.[٣] وأقام فيها حتى آخر شعبان من سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م حيث استقرت أمورها، وعاد أهلها إلى الهدوء والطاعة.[٤]

وكان لمدينة قلعة رباح دور مؤثر في القضاء على ثورة طليطلة في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم ، فقد كانت القوات المتمركزة فيها تغير على طليطلة بين حين وآخر طوال السنوات الأربع المتتالية (٢١٩-٢٢٢هـ/٨٣٤-٨٣٧م) التي توجهت الجيوش الأموية خلالها لإخضاعها، فقد أدى ذلك إلى إفقادها القدرة على المقاومة، مما اضطرها إلى الإستسلام.[٥]

ويستنتج من يستقريء تاريخ قلعة رباح خلال الفترة الممتدة بين إخضاع طليطلة سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م ووفاة الأمير الأموي عبدالرحمن بن الحكم سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م أن علاقة المد والجزر بين المدينتين لم تهدأ تماما، فأهالي طليطلة الموتورون بسبب ما فعلته القوات الأموية في قلعة رباح بهم، جعلتهم يتربصون بها، ويشنون عليها الغارات كلما سنحت لهم الفرصة. وقد ضاق أهالي قلعة رباح بهذا الوضع ولم يحتملوه، وأخذوا يتسربون من المدينة إلى أماكن أخرى، فخلت من سكانها تدريجيا، إلا من أسر الجنود المرابطين فيها.

---

١. زيتون، **المسلمون في المغرب والأندلس**، ص٢٩٤.
٢. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٥.
٣. المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٥، ص٢٤٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٥٥- ٢٥٦؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس،العصر الأول - القسم الأول**، ص٢٥٩؛ زيتون، **المرجع السابق**، ص٢٩٤.
٤. زيتون، المرجع السابق، ص٢٩٤.
٥. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢،ص٨٧٤.

لقد كانت الفترة المشار إليها ومدتها نحو ستة عشر عاما قاسية على قلعة رباح، إذ أصبحت في نهايتها خالية من السكان..يقول ابن عذاري في تناولـه لأحداث سنة (٢٣٩هـ/٨٥٣م)"...وكانت قلعة رباح قد أقفرت خوفا من أهل طليطلة"[١] ويؤكد ابن خلدون حقيقة إقفارها وخرابها على يد أهل طليطلة بقوله:" وكان أهل طليطلة خربوها"[٢]

وكان إصلاح ما أفسده ثوار طليطلة في قلعة رباح من أولى المهام التي نهض بها الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)[٣] ففي السنة التالية لتوليه الإمارة (٢٣٩هـ/٨٥٣م) أرسل أخاه الحكم على رأس جيش إلى قلعة رباح ، وأمره بإصلاحها، "فاحتلها الحكم ، وأمر ببنيان سورها، واسترجاع من فر من أهلها إليها"[٤] وقد استمرت عملية إعمارها نحو عامين، حيث استكملت تلك العملية سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م ،وبعد أن تم تحصينها وزيادة مبانيها، أمر الأمير محمد بشحنها بالحشم، ونقل الناس إليها، ورتب فيها الفرسان.[٥]

لقد أعاد الأمير محمد قلعة رباح إلى مدينة تضج بالحياة ، بعد أن كانت خرابا، ونظرا لأن إعادة البناء هذه كانت شاملة ، وطالت كل شيء بما في ذلك الأسوار والتحصينات، ظن بعض المؤرخين أنها لم تكن موجودة من قبل، وأن الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذي أوجدها من العدم، فصاحب (ذكر بلاد الأندلس) لم يشر إلى إعادة البناء، وإنما قال: "وقلعة رباح بناها الإمام ابن عبدالرحمن وسكنها بالناس في سنة ٢٤١"[٦]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٩٤.
٢. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٧
٣. ولد الأمير محمد في ذي القعدة من سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، ويكنى أبا عبدالله، وقد تمت مبايعته بعد وفاة والده عبدالرحمن بن الحكم، وذلك يوم الخميس ٤ ربيع الآخر ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٣؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٥٠؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج٤، ص١٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٠.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٩٤.
٥. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٦٣؛ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٩٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٤؛ مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص٥٠.
٦. مجهول، المصدر السابق، ص٥٠.

ولم يكتف الأمير محمد بن عبدالرحمن بإعادة بناء مدينة قلعة رباح وتحصينها ، وإنما سعى أيضا إلى حمايتها ممن خربوها سابقا، وسيظلون يهددونها بالخراب دائما وهم ثوار طليطلة، ففي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م التي بدأ فيها إعمار قلعة رباح وجه الأمير اثنين من قادته إلى طليطلة للقضاء على ثورة أهلها، وهم "أهل شقاق ونفاق ومخالفة على الملوك، وبها يهود كثيرة"[١] والقائدان هما: قاسم بن العباس، وتمام بن أبي العطاف، اللذان تمكنا من الوصول إلى حصن أندوجر (Andujar)[٢]القريب من طليطلة، غير أنهما فوجئا بانقضاض كمائن أهل طليطلة عليهما، وقد وقعت بين الفريقين في شوال من السنة المذكورة معركة طاحنة كانت نتيجتها وبالا على القائدين ، حيث كثر القتل في قواتهما، فانهزما.[٣]

وقاد الأمير محمد نفسه جيشا لإخضاع طليطلة عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م،وحقق انتصارا كبيرا عليهم وعلى من استعانوا بهم من النصارى،إذ يشير ابن عذاري إلى أنه خدعهم بإظهار عدد قليل من جيشه الكبير، بينما كمن الآخرون بانتظار اللحظة المواتية، وعندما حانت تلك اللحظة" خرجت الكمائن عن يمين وشمال، وتواترت الخيل أرسالا على أرسال، حتى غشي الأعداء منهم ظلل كالجبال، فانهزم المشركون وأهل طليطلة..فقتل الله عامتهم، وأباد جماعتهم"[٤]

وكانت قلعة رباح ـ بعد تحصينها وشحنها بالرجال ـ منطلقا لبعض الجيوش الأموية المتجهة نحو طليطلة، ومنها جيش انطلق منها سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م بقيادة منذر ابن الأمير محمد ،وقد حاصر هذا الجيش طليطلة " وأقام عليها ينسف معائشها"[٥]

---

١. مجهول، **ذكر بلاد الأندلس** ، ص٥٠.
٢. أندوجر: ورد اسمه في معجم البلدان (أندوشر)، وضبطه ياقوت بالضم ثم السكون، والشين معجمة. ويقع هذا الحصن إلى الشمال الشرقي من قرطبة على نهر الوادي الكبير. وقد تطور هذا الحصن بمرور الزمن إلى مدينة صغيرة أسست في بسيط من الأرض، وتحيط بها أشجار الزيتون، ولها قنطرة متقنة على الوادي الكبير،في وسطها برج. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٦٤؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٥١١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٦٩ـ١٧١.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٩٤.
٤. المصدر نفسه ، ج٢، ص٩٥؛ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٧.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٢، ص٩٦.

وخرج الأمير محمد بنفسه مرة أخرى إلى طليطلة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م حسب رواية ابن خلدون [١] أو سنة ٢٤٤هـ/٨٥٨م حسب رواية ابن عذاري، وكان الثوار في طليطلة قد قل عددهم، لكثرة ما تعرضوا له من هجمات شنتها عليهم القوات الأموية انطلاقا من قلعة رباح، وقرطبة، وأعد الأمير محمد في غزوته تلك خطة محكمة للإيقاع بثوار طليطلة، فقد أمر المهندسين والبنائين بنقب قنطرة طليطلة على نهر الوادي الكبير في غفلة من أهلها، وبعد تنفيذ هذا الجزء من الخطة، استدرج الأمير الثوار للقتال فوق القنطرة، فانهارت بهم، فسقطوا في النهر حيث غرقوا. وعندما حلت هذه الكارثة بأهل طليطلة اضطر من بقي منهم على قيد الحياة إلى طلب الأمان، فعقده لهم الأمير سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م.[٢]

وظلت قلعة رباح تتعرض لنتائج المد الأموي وانحساره في خضم الصراع المرير بينهم وبين أهالي طليطلة، وقد كان إعطاء الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن الأمان لأهالي طليطلة بعد إنزال تلك الكارثة بهم حالة من المد الأموي، وهي حالة لم تدم طويلا، فما إن استعادوا توازنهم حتى عادوا إلى سيرتهم الأولى ،ويستنتج من يتتبع أحوال قلعة رباح أنها تعرضت للتخريب مرة أخرى ، ولذلك أمر الأمير محمد سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م ببناء ما تهدم منها ، وإعادة من نزح منها إليها.[٣] وقد أصدر هذا الأمر وهو متقدم في السنة نفسها على رأس الجيش إلى طليطلة لإخضاع أهلها وإعادتهم إلى الطاعة. ويؤكد ابن عذاري أنه أرغمهم على الرضوخ لسلطته، وفرض عليهم ضريبة يؤدونها للعاصمة قرطبة كل عام. ولم يكتف بذلك ، وإنما عمل على ضمان عدم عودتهم إلى المخالفة، وإلزامهم بطاعته، وذلك بأخذ رهائن منهم. وبعد أن اطمأن لهذه الإجراءات عقد لهم الأمان ، وذلك للمرة الثانية.[٤]

ويلاحظ أن الأمراء الأمويين كانوا يولون قلعة رباح عناية خاصة، فقد أعادوا بناءها أكثر من مرة، وكانوا يحرصون دائما على أن تكون مستقرة عامرة، ويكمن سر هذا الإهتمام في أمرين هما: أولا قربها من بؤر التوتر وخاصة طليطلة التي ما إن تهدأ ثورتها حتى تتأجج مرة أخرى، وهذا

---

١. ابن خلدون، **تاريخ** ،ج٤، ص١٦٧.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٢، ص٩٦.
٣. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق محمود مكي، ص٣٣٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٠١.

ما أشارت إليه الدراسة. أما الأمر الثاني فهو أن أهالي قلعة رباح كانوا متمرسين على الحرب والقتال، وكانت تقدم عددا كبيرا من الفرسان ، وخاصة في عهد الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن، للاشتراك مع جيوشه في حرب النصارى، أو في قمع الثائرين على الدولة .[١]

ويذكر في هذا المجال أن قلعة رباح كان لها دور في إخضاع بعض من تمردوا على الحكم الأموي في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن من غير أهل طليطلة، ومن هؤلاء ابن يامين البربري الذي تمرد وامتنع في الجبال، فقد أمر قائد طلبيرة مسعود بن عبدالله العريف عامله على قلعة رباح بإنهاء تمرده ،وإلقاء القبض عليه، وتسليمه للأمير، وقد فعل، حيث قبض عليه، وعندما سلمه للأمير محمد أمر بصلبه وأصحابه على سور طليطلة.[٢]

وارتخت قبضة الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن على الأندلس في أواخر عهده، فعمتها الفوضى، وكثر المتنافسون الطامعون بالملك، الراغبون في الاستقلال عن سلطة الدولة، وذلك باقتطاع جزء من البلاد وبسط سيطرته عليه، معتبرا ذلك الجزء غنيمة له. ولم تسلم قلعة رباح من طمع هؤلاء الطامعين ،إذ امتدت أيدي بعضهم إليها، وتمكن منها، فوقعت تحت نفوذه، ومن هؤلاء المتمردين سوار بن حمدون القيسي، الذي امتدت رياسته في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي حتى قلعة رباح.[٣] وفيما يلي توضيح للأحداث التي وقعت في أواخر عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن، وخاصة ما يتعلق منها بموضوع هذه الدراسة.

لقد اشتعلت في الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبدالرحمن - إضافة إلى ثورة طليطلة - ثورات أخرى في غربي الأندلس وجنوبيها، ففي الغرب ثار أحد المولدين[٤] هو عبد الرحمن بن مروان بن

---

١. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق محمود مكي ، ص٢٧٢.
٢. حسين، **ثورات البربر في الأندلس**، ص٤٤.
٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول** ، ص٣٢٨.
٤. المولدون: هم المولودون لآباء مسلمين وأمهات إسبانيات، ونشأوا على الإسلام. فدمهم خليط من دم أهل البلاد السابقين ودم العرب والبربر الذين تدفقوا على شبه الجزيرة الأيبيرية أثناء عمليات فتح الأندلس وبعدها، فقد استقر كثيرون من هؤلاء مع أهل البلاد، واختلطوا بهم وتزوجوا منهم. وإضافة إلى ما نتج عن زواج المصاهرة هذا من بنين، نتج ذلك أيضا عن ملك اليمين، فقد أنجب المسلمون كثيرين من أمهات نصرانيات ملكتهن =

يونس، الذي عرف بابن الجليقي، أو الجليقي في ماردة[١] وأيده في ثورته مولدي آخر هو سعدون السرنباقي.[٢] وقد خرج لحربهم الأمير محمد بن عبدالرحمن، وتمكن من السيطرة على ثورة المولدين، والقبض على زعمائهم ونقلهم إلى قرطبة، وذلك سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م.[٣]

وقد تمكن ابن الجليقي وغيره من زعماء ماردة من الهرب سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م،وبدأوا سنة ٢٦٣هـ/٨٧٥م بإثارة المشكلات مرة أخرى، فطاردتهم جيوش الأمير محمد بن عبدالرحمن وأصابت قواتهم بالشلل ، إلا أنهم عادوا إلى التمرد سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م.وتمكن ابن الجليقي من السيطرة على مدينة بطليوس مهددا بإحراقها إذا اقتربت منه قوات الأمير، فتركه وشأنه .[٤]

=أيمانهم من السبايا خلال الحروب الطويلة التي خاضوها ضد أعدائهم منذ بداية الفتح. ومن المولدين أيضا أبناء الجواري اللواتي كان يتم شراؤهن من تجار الرقيق، وكن في غالب الأحيان من بنات الصقالبة اللواتي كن يقعن في أسر الفرنجة، ثم يتم بيعهن في أسواق الرقيق. وهناك في أخرى من المولدين تتمثل في أبناء من أسلموا من أبناء النصارى في شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد عرف هؤلاء باسم المسالمة، وأنجبوا أبناء تربوا على الدين الإسلامي، وظلوا يعرفون بالمولدين حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد ازداد عدد هؤلاء بمرور الزمن، وشكلوا طبقة اجتماعية أصبحت تشكل غالبية سكان الأندلس، وقد كانوا يتبعون العادات العربية، ويتكلمون اللغة العربية إلى جانب اللغة الإسبانية التي أتقنها كثيرون منهم. ومارس هؤلاء مهنا مختلفة ، حيث اشتغلوا بالزراعة والتجارة ، وبرز منهم الأدباء والفقهاء وغيرهم. حتامله، الأندلس، ص٢٣١؛ حتامله، محمد عبده، **جيل المولدين في المغرب والأندلس - دورهم في الفتح وأثرهم في الحياة العامة**، ط١، عمان/ الأردن، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٠٤- ١٠٥.

١. ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١٠٧؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٥.
٢. ابن القوطية، المصدر السابق، ص١٠٧.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٠٠؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٥، ص٣٣٩؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٥.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٣-١٠٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص٣٣٩، ج٦، ص٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٥-٢٧٨.

وثار في جنوبي الأندلس مولدي آخر هو عمر بن حفصون[١] وكانت ثورته الأشد خطورة، والأطول زمنا ، حيث استغرقت منذ بدئها عام ٢٧١هـ/٨٨٤م حتى انتهائها عام ٣١٦هـ/٩١٢م أكثر من نصف قرن.[٢] وقد بدأ ابن حفصون ثورته في حصن ببشتر(Bobastro) [٣] الواقع على قمة جبل عال بين مدينتي رنـــدة(Ronda)[٤] ومالقة (Malaga)[٥] وكان صعب المراس، وقد حاول الأمير محمد بن عبدالرحمن قمع ثورته، إذ وجه لحربه جيشا بقيادة ابنه المنذر سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م،غير أنه فشل في القضاء عليه.[٦]

وحفزت ثورات المولدين في غربي الأندلس وجنوبيها بعض العرب على الثورة أيضا، وكان

---

١. عمر بن حفصون: من مسالمة أهل الذمة، وهو سليل أسرة من المولدين ترجع إلى أصل نصراني قوطي؛ ويرجع نسبه إلى شخص نصراني يدعى فرغلوش بن إذفونش (ألفونسو). ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص١٧٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٩٩- ٢٠٠؛ حتامله، **جيل المولدين في المغرب والأندلس**، ص١٢٥.

٢. حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٩.

٣. ببشتر : وصفه الحميري بقوله:"..وهو حصن تزل عنه الأبصار فكيف الأقدام، على صخرة صماء منقطعة لها بابان، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة ذات مياه كثيرة..".الحميري، **الروض المعطار**، ص٧٩. ويقع هذا الحصن قرب مالقة جنوبي الأندلس. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٣٣٣؛ حتامله، ، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٩٨.

٤. رندة: يلفظ اسمها بفتح أوله وسكون ثانيه ،وهي مدينة قديمة تقع إلى الغرب من مالقة ، وتعد من أعمال قرطبة. وقد بنيت على ربوة عالية ، فموقعها استراتيجي، ولذلك كانت من أهم القواعد العسكرية في الأندلس. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٧٣؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٥؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٧٣، ٢٠٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣١٣- ٣١٤؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٥٣- ١٥٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٤٥٤- ٤٦٣؛

٥. مالقة : يلفظ اسمها بفتح اللام والقاف، وهي مدينة قديمة حصينة تقع على شاطيء البحر الأبيض المتوسط. انظر ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٤٣؛ الحميري، المصدر السابق، ص٥١٧- ٥١٨؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٥١- ١٥٢، ١٥٧؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٩٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٩٦- ١٠٠٧؛ أرسلان، الأمير شكيب، **خلاصة تاريخ الأندلس**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢١٣- ٢١٦.

٦. ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٠- ١١١؛حتامله، **الأندلس**، ص٢٧٩- ٢٨٢.

سبب ثورتهم ذلك الحقد الذي كمن في نفوسهم زمنا على بني أمية، لأنهم اتبعوا سياسة رأت فيها القبائل العربية امتهانا لكرامتها، وغمطا لحقها في السيادة، وتتلخص تلك السياسة في قيام الأمويين في الأندلس منذ بداية أمرهم باصطفاء الموالي وتقريبهم، ومنحهم الكثير من السلطات التي رأى العرب أنهم الأولى بتوليها. وعندما اضطرمت الفتنة على أيدي المولدين في أكثر من مكان في الأندلس وجدت القبائل العربية الفرصة مواتية، وخاصة بعد وفاة الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م للانتصاف لعصبيتها وكرامتها.[١]

لقد تزعم ثورة العرب متنفذ من القيسية هو يحيى بن صقالة القيسي، وقد ثار في كورة إلبيرة (Elvira)[٢] سنة ٢٧٥هـ/٨٨٩م، والتفت حوله البيوتات العربية، وأخذ يطارد المولدين والنصارى، وقد قتل في إحدى معاركه معهم.[٣]

وتزعم ثورة العرب بعد يحيى القيسي أحد أبناء عمومته، وهو سوار بن حمدون القيسي الذي سبقت الإشارة إليه. وكان سوار ذا شجاعة وبأس، وقد استأنف سيرة سابقه في حرب المولدين والنصارى، حيث كان يغير على حصونهم في كورة إلبيرة، وتمكن من الإستيلاء على كثير منها، وامتد نفوذه نحو الشمال الشرقي، وكانت قلعة رباح من بين المدن والمواقع التي خضعت له.[٤]

ولم يلبث سوار بن حمدون القيسي أن قتل على يد قوات ابن حفصون، فخلفه في تزعم العرب الثائرين سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، زعيم قبيلة هوازن، وكان مثل سوار بطولة وفروسية،

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول**، ص٣٢٨.

٢. إلبيرة: مدينة وكورة وحصن ،تقع بين القبلة والشرق من قرطبة ، وتبعد عنها نحو تسعين ميلا، وإلبيرة المدينة رومانية قديمة، أصبحت في عهد بني أمية مدينة عظيمة، وخاصة في عهد الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن الذي بنى فيها مسجدا جامعا كان يجتمع ببابه كثيرون من الأشراف. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٤٤؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٨؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج١، ص٩١- ٩٣؛ ابن سعيد، **المغرب في حلي المغرب**،ج٢، ص٩٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١١٣- ١١٦.

٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول** ، ص٣٢٨.

٤. المرجع نفسه ، ص٣٢٨.

وقد اشتدت وطأته على المولدين وزعيمهم عمر بن حفصون، غير أن ابن حفصون تمكن من أسره في إحدى وقائعه معهم، ثم أطلق سراحه مقابل فدية كبيرة. وعاد سيرته في مقارعة المولدين، ولما رأى الأمير عبدالله غلبة العرب بقيادته على كورة ألبيرة أقر سعيدا واليا عليها، وظل يحكمها باسم الأمير إلى أن اغتيل في أواخر سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م.(١)

وخلف سعيدا في كورة إلبيرة محمد بن أضحى الهمذاني الذي تصدى لابن حفصون في مواقع عديدة، وظل يحكمها باسم الأمويين إلى أن تولى أمرهم عبدالرحمن الناصر، حيث استولى في بداية عهده على كثير من النواحي الثائرة بما فيها كورة إلبيرة.(٢)

وقد توفي الأمير محمد بن عبدالرحمن سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م، وخلفه ابنه المنذر في الثامن من ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ/آب ٨٨٦م، (٣) وانشغل خلال فترة حكمه بمحاولات إخضاع الثوار، وخاصة عمر ابن حفصون الذي استفحل خطره، وتمكن من السيطرة على كثير من المناطق، واقترب من جيان التي تعد قلعة رباح عملا من أعمالها.(٤)

وبرز في أيام المنذر في طليطلة بنو ذي النون ، ويرجع وجودهم فيها إلى أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن الذي أقر جدهم ذا النون بن سليمان الهواري عليها،(٥) وقد استقام على الطاعة حتى وفاته، وخلفه ابنه موسى الذي خلع طاعة الأمويين، وانتظم في سلك الثائرين عليهم، وغزا طليطلة

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول** ، ص٣٢٩.
٢. المرجع نفسه، ص٣٢٩.
٣. ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص١١٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١١٣؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٩؛ عنان، المرجع السابق، ص٣١٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٨٩.
٤. عنان، المرجع السابق ، ص٣٢٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٢٩١-٢٩٢.
٥. ذو النون بن سليمان الهواري: كان زعيما لشنتبرية في عهد الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن، وقد صادف ان مر الأمير محمد بشنتبرية في بعض غزواته، وقد مرض أحد خصيانه من أكابر فتيانه الصقالبة، فتركه عند ذي النون ليرعاه ويعالجه، فقام برعايته وبالغ في ذلك إلى أن شفاه الله، ثم اصطحبه إلى قرطبة، فكافأه الأمير محمد بأن أقره على شنتبرية. حسين، **ثورات البربر في الأندلس**، ص٥٥- ٥٦.

في أواخر أيام المنذر، وذلك سنة ٢٧٤هـ/٨٨٨م،[١] واستولى عليها. وعندما توفي سار ابنه مظفر على نهجه، وأصبح بنو ذي النون من زعماء الفتنة في الثغر الأوسط منذ ذلك العهد.[٢]

وتولى الإمارة بعد وفاة المنذر بن محمد سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م[٣] أخوه عبدالله بن محمد(٢٧٥ ـ ٣٠٠هـ/٨٨٨ـ ٩١٢م)[٤] وفي عهد الأمير عبدالله امتد حكم بني ذي النون إلى المناطق الواقعة شرق طليطلة بما فيها قلعة رباح.[٥]

قلعة رباح في عهد الخلافة الأموية

بلغت الدولة الأموية في الأندلس أوج قوتها في عهد الأمير الأموي عبدالرحمن الثالث ابن محمد(٣٠٠ـ٣٥٠هـ/٩١٢ـ٩٦١م) الذي تلقب بالناصر لدين الله[٦]، فقد أحكم قبضته على الأندلس، بعد أن كانت" مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنيران المتغلبين"[٧] وكان من أعتى هؤلاء المتغلبين عمر بن حفصون الذي وصفه بعض المؤرخين بأنه "جرثومة النفاق، وإمام الضلالة، وكهف الخلاف، وموقد نار الفتنة، وملجأ أهل العصبية[٨]،وقد امتدت ثورته بعد وفاته سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م[٩] على يد

---

١. حسين، **ثورات البربر في الأندلس** ، ص٥٧.

٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول** ، ص٣٠٧،٣٣٩.

٣. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٦، ص٦٥؛ ابن خلدون، **تاريخ** ، ج٤، ص١٧٠.

٤. مجهول، **أخبار مجموعة**، ، ص١٥٠؛ ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٢، ص١٢١.

٥. عنان، المرجع السابق ، ص٣٤٠.

٦. هو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، وقد ولي الإمارة وعمره ثلاث وعشرون سنة، وتلقب بالناصر لدين الله، وأعلن نفسه خليفة في ذي الحجة من سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م،وأصدر مرسوما بأن يدعى له على المنابر في خطب الجمعة بلقب (أمير المؤمنين) .ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ١٩٨ـ ١٩٩؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٨ـ ٢٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٦، ص١٤٣؛ابن خلدون، المصدر السابق ، ج٤، ص١٧٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص٣١٦.

٧. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٥٣.

٨. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا، ص١٣٨.

٩. المصدر نفسه، ص١٣٨.

إخوته وأبنائه حتى سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م حيث تمكن الأمير عبدالرحمن من القضاء نهائيا عليها[١] وقد توج هذا الإنجاز الكبير بإعلان نفسه خليفة في السنة نفسها.[٢]

أما قلعة رباح فقد ظلت في أيدي بني ذي النون المخالفين حتى سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، ففي تلك السنة التي تولى فيها الأمير ثم الخليفة عبدالرحمن الناصر الإمارة توجه إلى قلعة رباح جيش بقيادة الوزير عباس بن عبدالعزيز القرشي" وكان قد ثار بها الفتح بن موسى بن ذي النون من زعماء البربر، ومعه حليفه الرباحي المعروف بأرذليش، فوقعت بين الأمير وبين العصاة معارك شديدة، هزم فيها الفتح، وارتد مغلولا إلى معاقله...وطهرت قلعة رباح وأحوازها من الثورة ".[٣]

واتبع الناصر سياسة محكمة تجاه قلعة رباح ، وهي تغيير عمالها باستمرار حتى لا يستقر أحدهم فيستقطب الأشياع والأنصار مما قد يزين له التمرد على السلطة والإستقلال بها، وخاصة عندما تكون إدارتها مرتبطة بإدارة طليطلة، حيثا كانتا تضمان أحيانا إلى بعضهما من الناحية الإدارية.[٤] وبهذه السياسة ضمن عبدالرحمن الناصر استمرار الإستقرار السياسي والعسكري طوال عهده.

واستمر استقرار الأوضاع السياسية والعسكرية في قلعة رباح في عهد الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) [٥]. وقد استقبل الحكم في سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م الحسن بن قنون[٦] وأسرته التي

---

١. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق شالميتا ، ص٢١٢-٢١٣.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢،ص١٩٨؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص٢٤١.

٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني**، ص٣٧٥ ؛ أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، ص٦٦. ويذكر ابن عذاري أن تطهير قلعة رباح تم في عهد الأمير عبدالله سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م على يد حملة بقيادة الوزير عباس بن عبدالعزيز. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧.

٤. ابن حيان، المصدر السابق ، ص٤٦٢، ٤٧٢.

٥. الحكم المستنصر: هو الحكم بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل، ولد سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، وقد بويع بالخلافة في اليوم التالي لوفاة ابيه عبدالرحمن ، واتخذ لقب (المستنصر بالله).ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٦، ص٣٦٠؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٤١.

٦. الحسن بن قنون (كنون) : من أبناء القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس، والقاسم اسمه قنون أو كنون ، وهو=

كان لها نفوذ واسع في المغرب،[١] وأحسن وفادتهم، حيث استقبلهم استقبالا حافلا حضره أركان دولته، بمن فيهم ولاة كور الأندلس، وممثلون لأهالي طليطلة وقلعة رباح.[٢] وهو الأمر الذي يدل على أن قلعة رباح أصبحت في عهد الحكم المستنصر مدينة كبيرة لها شأنها.

وكادت قلعة رباح وغيرها من الثغور الأندلسية[٣] أن تتعرض لهجمة نصرانية حالما توفي الحكم المستنصر في الثالث من رمضان ٣٦٦هـ/٩٧٦م[٤] إذ يذكر المقري أن النصرانية جاشت بموت الحكم، "وخرجوا على أهل الثغور ، فوصلوا إلى باب قرطبة"[٥].وقد دفع الخوف من الإجتياح النصراني أهالي الثغور إلى طلب النجدة من أبي الحسن جعفر بن عثمان المصحفي[٦]، الذي كان

=الذي ضم بقايا دولة الأدارسة، بعد أن شتت شملها العبيديون الفاطميون الذين تمكنوا من إنشاء دولة شيعية في المغرب أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، واحتلوا مدينة فاس. واستطاع قنون إنشاء دويلة للأدارسة في المغرب ، وكانت هذه الدويلة تخضع أحيانا للأمويين في الأندلس، وأحيانا أخرى للعبيديين. وبعد وفاة القاسم تزعم الحسن بن قنون الأدارسه، وقد أرسل له الحكم المستنصر أحد قادته، وأخذه وجميع أهله إلى قرطبة حيث أكرمه الحكم، وبعد مدة اختلف معه وأخرجه إلى المشرق حيث نزل على العزيز بالله الفاطمي في مصر، فسيره في جيش إلى المغرب سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م.وعندما تولى السلطة في الأندلس المنصور محمد بن أبي عامر أرسل جيشا إلى المغرب لقتال الحسن بن قنون ، وتمكن هذا الجيش من اضطراره إلى الإستسلام، ثم قتله المنصور سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م.ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٢٦- ٢٢٧؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٨١.

١. ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، ص٥٠.
٢. الثغور الأندلسية: هي المدن والقلاع والحصون الحدودية بين ممالك النصارى والأراضي الإسلامية. انظر: العمايرة، محمد نايف جريوان، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٢٦- ٢٨.
٣. ابن حيان ، **المقتبس** (تحقيق عبدالرحمن الحجي)، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م، ص٢٠١.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٣؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٩٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٣؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٨٨.
٥. المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٨٧.
٦. جعفر بن عثمان المصحفي: هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبدالله بن كسيلة من بربر بلنسية. كان أبوه عثمان مؤدبا للحكم المستنصر في صباه، ولما أفضت الخلافة إليه، قلده خطة الوزارة، وعندما تولى هشام الخلافة قلده الحجابة، وكان جعفر مقدما في صناعة الكتابة، كما كان شاعرا مجيدا، =

يتقلد منصب الحجابة للخليفة هشام بن الحكم(المؤيد بالله)(٣٦٦- ٤٠٣هـ/٩٧٦- ١٠٢١م)[1] الذي خلف والده الحكم المستنصر، وكان بإمكان المصحفي " مع وفور الجيوش ، وجموم الأموال "[2] أن يسير الجيوش لنجدة أهالي الثغور، غير أنه بدل أن يفعل ذلك أمر أهالي قلعة رباح بنقب سد كانوا قد بنوه على نهرهم (نهر وادي يانه)، ظنا منه بأن في ذلك النجاة من العدو، حيث لن يتمكن بعد ارتفاع منسوب المياه في النهر من اجتيازه، والتقدم نحو قلعة رباح أو غيرها.[3]

وكان أمر جعفر بنقب السد سقطة من سقطاته، وقد اعتبر المنصور محمد بن أبي عامر[4] تلك

= ومن شعره

" سألت نجوم الليل: هل ينقضي الدجى؟ فخطت جوابا بالثريا كخط " لا

وكنت أرى أني بآخر ليلة فأطرق حتى خلته عاد أولا

وما عن هوى سامرتها ، غير أنني أنافسها المجرى إلى رتب العلى

وقد ظل المصحفي الرجل الأقوى في الدولة الأموية إلى أن تغلب المنصور محمد بن أبي عامر على أمره، وعلى أمر الخليفة هشام نفسه، وعندئذ سلبه ابن عامر جاهه وسؤدده. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٥٧- ٢٥٩؛ المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٨٧- ٩٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٦؛ حتامله، الأندلس، ص٣٩٨.

١. هشام بن الحكم: هو هشام بن الحكم بن عبدالرحمن الناصر، يلقب ب:(هشام الثاني)، والأول هو هشام بن عبدالرحمن الداخل(هشام المرتضى)،وقد كان هشام الثاني(المؤيد بالله) عندما تولى الخلافة يتراوح عمره بين تسع سنوات واثنتي عشرة سنة حسب اختلاف الروايات، وقد تغلب على مقاليد الأمور في الأندلس في عهده المنصور محمد بن أبي عامر ، وفي عهد هشام المؤيد أيضا بدأ انهيار الدولة الأموية . المراكشي، **المعجب**، ص١٤؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٥٣؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٦٨.

٢. المقري، **نفح الطيب**، ، ج٣، ص٨٧.

٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٨٧.

٤. محمد بن أبي عامر: هو أبو عامر محمد بن أبي حفص عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن عامر المعافري القحطاني، طلب العلم والأدب وسمع الحديث في قرطبة، واتصل بالحكم المستنصر عن طريق جعفر بن عثمان المصحفي، وظل يترقى حتى أصبح قائد الشرطة الوسطى سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، وقد بدأ تخطيطه للإستيلاء على السلطة في الأندلس منذ دخوله البلاط الأموي، وخاصة أنه كان ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب.وقد تآمر مع مؤيديه ضد عم هشام المؤيد: المغيرة بن عبدالرحمن الناصر، إذ اغتالوه، ثم أشاعوا أنه شنق نفسه، ثم تمكن ابن ابي عامر الذي تلقب بالمنصور من تقلد قيادة =

السقطة "دنية" [١] أنف منها، وأشار على جعفر بتجريد الجيش للجهاد مخوفا إياه من سوء عاقبة تركه. وقد استجاب جعفر بعد إجماع الوزراء على ضرورة الجهاد، وقاد المنصور الجيش ، وخرج لحرب النصارى في الثالث من رجب سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، " فنازل حصن الحامة من جليقية، فحاصره وأخذ بربضه، وغنم وسبى، وقفل بالسبي والغنائم إلى قرطبة".[٢]

وضبط الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر الأحوال العامة في الأندلس إضافة إلى ضبطه الثغور، وإخافته النصارى بغزواته المتلاحقة لبلادهم،[٣] وظل الوضع مستقرا في مدينة قلعة رباح وغيرها من مدن الأندلس إلى أن توفي في إحدى غزواته وذلك ليلة الإثنين لثلاث بقين من رمضان سنة ٣٩٢هـ/١١آب١٠٠٢م[٤]

وولي الحجابة بعد وفاة المنصور ابنه عبدالملك الذي تلقب ب(المظفر) و(سيف الدولة)[٥]. وقد سار على نهج أبيه في جهاد العدو مع أنه كما يقول ابن الكردبوس " لم يسد مسده، ولم يحل موضعه، وكان يزاحم بغير عود"[٦]. وقد استمر استقرار أوضاع الأندلس في عهده، ولم يقع في قلعة رباح أو غيرها حادث يذكر.

وتوفي الحاجب عبدالملك المظفر ابن المنصور ليلة الجمعة ٤ صفر ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م[٧] فولي

=الجيش الأندلسي، وأصبح هو الحاجب الآمر الناهي فيه. ابن الأبار، المصدر السابق، ج١، ص٢٦٨؛ المراكشي، المصدر السابق ، ص١٤؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٢، ص٢٥٦-٢٦١؛ حتامله، الأندلس، ص٣٩٩- ٤٠٢.

١. المقري، المصدر السابق، ج٣،ص٨٧.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٢، ص٢٦٤.
٣. المراكشي، **المعجب**، ص٢١.
٤. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٠٢؛ المراكشي، المصدر السابق، ص٢١؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٠١.
٥. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٦٥- ٦٦؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٣؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٢٣.
٦. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٦٦.
٧. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٣؛ المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٥٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤١٨.

الحجابة بعده أخوه عبد الرحمن الملقب ب(شنجول)[١] وقد وضع الخليفة الأموي المؤيد بالله ، أي هشام بن الحكم وشنجول الدولة الأموية على طريق الإنهيار، وكانت مدينة قلعة رباح محطة من محطاتهما على هذه الطريق.

لقد كان عبدالرحمن شنجول ماجنا ، مسرفا في الإقبال على الملذات، وشرب الخمور،[٢] وكان كثير التزلف للخليفة هشام المؤيد الذي كان كما يقول ابن الخطيب " قد عدم الولد ضعفا ومهانة" [٣] وقد تمكن شنجول لكثرة ما تهافت على مرضاة الخليفة، والإقبال على خدمته، وتوفير كل ما يسره، تمكن بذلك من استمالته.[٤] لدرجة جعلت الخليفة يمنح عبدالرحمن شنجول لقبا سلطانيا هو: ناصر الدولة.[٥]

وكان عبدالرحمن شنجول يخطط ـ كما يبدو ـ للإستيلاء على منصب الخلافة، يقول ابن الخطيب " وسولت لعبدالرحمن نفسه أن يلتمس ولاية عهد هشام، والقيام بأمر المسلمين من بعده"[٦] فقد استغل المكانة التي احتلها في قلب الخليفة هشام المؤيد، وطلب منه أن يسميه وليا لعهد المسلمين، " ففعل ذلك هشام معه لضعفه وسوء نظره ، ونقصان فطرته، فولاه عهده"[٧] وأعلن ذلك في ربيع الأول من

---

١. عبد الرحمن شنجول: هو عبدالرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر، وقد غلب عليه لقب شنجول الذي يذكر ابن الكردبوس أن معناه(الأحمق)، بينما يذكر ابن عذاري أن أمه أطلقت عليه هذا الاسم لتظل تتذكر به اسم أبيها، فهي :عبدة بنت سانشو غرسية الثاني(Sancho Garces II)التي اعتنقت الإسلام ، وتزوجها المنصور، فأنجبت منه ولدها عبدالرحمن، واسم أبيها : سانشيلو(Sanchuelo)، وهذا الإسم إنما هو تصغير لسانشو اسم أبيها الذي أطلقته أمه على عبدالرحمن محرفا إلى شنجول. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٦٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤١٩.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق ،ج٣، ص٣٩؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص٨٤.

٣. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٩٠.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٣٩.

٥. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠.

٦. ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٩٠.

٧. ابن الأثير، المصدر السابق ،ج٧، ص٨٤.

سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[1].

وقد انهمك عبدالرحمن شنجول بعد حصوله على ولاية العهد في غيه وملذاته، ونشر الخبر على الملأ متباهيا بالوصول إلى سدة الخلافة، متناسيا ما قد يثيره ذلك لدى الأمويين.

لقد ثارت ثائرة الأمويين بسبب انتقال ولاية العهد إلى شخص غير أموي، وحقدوا على عبدالرحمن شنجول ، وبدأوا التخطيط للتخلص منه، إذ يذكر المقري أن الأمويين والقرشيين كانوا أسرع الناس كراهة لمنح ولاية العهد لشنجول " فاجتمعوا لشأنهم، وتمشت من بعض إلى بعض رجالاتهم، وأجمعوا أمرهم في غيبة من المذكور ببلاد الجلالقة (أي جليقية)[2] في غزاة من صوائفه.."[3]

وكان في مقدمة الأمويين الثائرين ضد عبد الرحمن شنجول، وضد من منحه ولاية العهد أيضا هشام المؤيد: محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر، وكان عبدالرحمن شنجول في تلك

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٨، وقد أورد ابن عذاري نص ولاية العهد كاملا في: ج٣، ص٤٤-٤٦؛ وانظر النص في: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٩١- ٩٢؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٠-١٩١؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٤- ٤٢٥.

٢. يطلق المؤرخون المسلمون اسم جليقية على مقاطعات أشتوريس وجليقية وكنتبرية ، وقد أصبحت جليقية تعرف باسم مملكة ليون، ويعتبر ألفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي، هو المؤسس الحقيقي لهذه المملكة التي اتسعت في عهد الولاة على حساب الأراضي الأسلامية. أبا الخيل، محمد بن إبراهيم، **الأندلس في الربع الأخير من القلان الثالث الهجري ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م** ، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض ، ١٤١٦هـ، ص٢٦؛ الدليمي ،إنتصار محمد صالح، **التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/ ٩١٢-٩٧٦م)**، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ،٢٠٠٥م ،ص٦٢؛ سويلم، سائدة عبدالفتاح أنيس، **علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٥-٩١٢م)**،رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠١م ، ص٥٣.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٢- ٤٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٢.

الأثناء - كما ذكر المقري - يقود غزوة ضد النصارى في جليقية،[١] أما الخليفة هشام المؤيد فكان في قصره بقرطبة.[٢] حيث تسارعت الأحداث ، وهاجم ابن عبدالجبار قصر الخليفة وتمكن من دخوله، وما لبث أن أعلن نفسه خليفة في جمادى الآخرة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وتلقب ب(المهدي).[٣]

وبينما كانت تلك التطورات المتسارعة تحدث في قرطبة، كان عبدالرحمن شنجول قد سار بجيشه باتجاه طليطلة في طريقه إلى جليقية، ثم اخترق حدود مملكة ليون[٤] ودخل مقاطعة جليقية غير أن الظروف الطبيعية حينئذ حالت دون تقدمه أكثر، فقد كان الفصل شتاء، وكانت الأمطار تنهمر بغزارة ، وكذلك البرد والثلوج، فعاد أدراجه، وما كاد يصل إلى طليطلة حتى وافته الأنباء بما حدث في قرطبة، تلك الأنباء التي تسربت أيضا إلى جنده، فوقع الإضطرب في الجيش. واضطر عبدالرحمن شنجول تحت وطأة هذه الظروف التي تكاتفت ضده إلى أن يسير بجيشه إلى قلعة رباح، في طريقه إلى قرطبة.[٥]

وكانت أنباء ما يجري في قرطبة تتوارد تباعا إلى أسماع عبدالرحمن شنجول أثناء نزوله في قلعة رباح، وأبرز تلك الأنباء - إضافة إلى تولي محمد بن هشام بن عبد الجبار(المهدي) الخلافة - تغلب الثوار الأمويين ومؤيديهم في قرطبة على مدينة الزاهرة [٦] ونهب أموالها ، ونقل

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٦.
٢. المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٤.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٥٦.
٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٠٩- ١١٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٦٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٤- ٤٢٥.
٥. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول**، ص٦٢٩- ٦٣٠.
٦. الزاهرة: مدينة بناها المنصور محمد بن أبي عامر على نهر الوادي الكبير شمال شرق قرطبة، وتتصل مباني المدينتين، وقد حشد المنصور لبنائها عددا كبيرا من العمال والصناع، واستقدم ما يحتاج إليه البناء من أدوات وآلات، وبدأ البناء سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، وبعد اكتمال البنيان أحاط المدينة بأسوار عالية، وانتقل إليها سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٥٧٨- ٥٨٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٦٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٩٨- ٢٩٩.

جميع ما فيها إلى قرطبة، وقد استصفى المهدي سائر ما في الزاهرة من الخزائن والأموال الطائلة، واستطالت الأيدي إلى كل نفيس من مرمر قصورها وطرائفها، ولم تمض سوى أيام قلائل على هذا السيل المدمر الذي تعرضت له الزاهرة حتى اختفت صروحها، وغدت أطلالا دارسة، وخرائب موحشة.[١]

لقد أصابت الأنباء الواردة من قرطبة، والتخريب الهائل الذي أصاب الزاهرة، أصابت عبدالرحمن شنجول بالذهول، وأمضى أربعة أيام في قلعة رباح وهو مضطرب لا يدري ماذا يفعل، ثم دخل المسجد الجامع في قلعة رباح، ودخل معه القادة العسكريون وغيرهم، وجعل يحلفهم عند المنبر " أن يقاتلوا معه أهل قرطبة، وكتب لهم صكوكا بالإنزال في دورهم وضياعهم، وقدم جميعهم على الخطط، وهو مع ذلك لا ينتهي عن شرب الخمر واللواط وأعمال الشر"[٢]

ونقل ابن عذاري أكثر من رواية عن عبدالرحمن شنجول ، وعن موقف من حوله منه، وكذلك عن موقف الخليفة الجديد محمد بن عبدالجبار (المهدي) منه ومن الخليفة هشام المؤيد بالله، وذلك أثناء وجود شنجول في مدينة قلعة رباح، فعن ابن عون الله أن شنجول عندما وافاه الخبر باستيلاء ابن عبدالجبار على قرطبة، ودخوله الزاهرة "..إختلط لحينه، فصارت حاله في استيلاء الجزع عليه كما كانت حاله في شدة إقدامه على بوائقه، ونزل منزله الأشأم بقلعة رباح في قومه حائرا في أمره، مغترا بجمعه، ودعا أهل العسكر إلى مبايعته على حرب أهل قرطبة، ونصر الخليفة المظلوم هشام بن الحكم، فلم يمتنعوا عليه، وأقبلوا يحلفون له أياما متوالية وهم يخبطونه العشواء"[٣]

وذكر ابن عذاري أن عبدالرحمن عندما قام على منبر قلعة رباح يستحلف الجند على نصرته وعدم خذلانه أكدوا له ، وكان ثملا من شرابه ، أنهم "تحت بيعة تقدمت في أعناقنا فما بال

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص٤٩؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول** ص٦٣٥.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٩.
٣. المصدر نفسه ج٣، ص٦٦.

تكريرها، فإن كانت لا تنفعه إلا بتجديد إيمان آخر فليست بالإيمان الآخر تنفعه إلا بتجديد مثلها هذا إلى ما لا نهاية له"[١]

ونقل عن ابن عون الله أيضا "أنه انتهى تحصيله (أي شنجول) لما عقد في تلك الأيام من الصكاك في الإنهاض والتقويم والزيادة والتسويغ إلى خمسة آلاف صك وزيادة حتى لقد عدم الرق جملة، واستعملت أجناس الأدم بدلا من الصحف، فكانت قصة فاحشة خلفها مثلا في الناس تعرف إلى اليوم بالرباحية (نسبة إلى قلعة رباح)"[٢]

وأشار ابن عذاري إلى أن "أول شيء صنعه شنجول حين نزل بقلعة رباح أن تبرأ من ولاية العهد، واقتصر على الحجابة، وأحال في ادعاء العهد على خليفته هشام، وأنفذ كتابه في الرجوع عنه إلى أهل طليطلة ومن خلفه من أهل الثغور، يستصلحهم باعترافه، وينشدهم الله في الخليفة المظلوم(هشام المؤيد)، ويمسكهم بطاعته"[٣]

وما يمكن استنتاجه من روايات ابن عذاري:

أولا. أن شنجول كان مغرقا في الفواحش والعادات السيئة، منكبا عليها، ملازما لها لدرجة أصبحت معها جزءا من شخصيته، وطبيعية فيه، حتى أنه لم يتمكن من التخلص منها، أو التوقف عن ممارستها حتى في أحلك الظروف التي أحاطت به.

ثانيا. أن أولئك الذين ظن شنجول أنهم موالون له، كانوا بسبب سوء خلقه قد نفروا منه، وعندما بايعوه على الوقوف معه في حربه ضد أهل قرطبة إنما كانوا يضمرون خلاف ما يبطنون، فقد أقبلوا يحلفون له أياما متوالية وهم يخبطونه العشواء.

ثالثا. ان قلعة رباح ، عندما دخلها شنجول، كانت مدينة كبيرة، فقد استوعبت خمسة آلاف شخص،

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص٦٦ـ ٦٧.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٩.
٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٩.

هم أولئك الذين وجد رقا لكتابة الصكوك عليه لهم، واستوعبت كثيرين غيرهم لم يجد شنجول ما يكتب عليه الصكوك لهم.

رابعا. لم تكن إشارة ابن عذاري إلى تخلي شنجول عن ولاية العهد وهو في مدينة قلعة رباح صحيحة، فقد تخلى عنها بعد وصوله إلى قرطبة ، وانفضاض الناس وخاصة البربر من حوله.

لقد حاول شنجول حث جنده وغيرهم ممن توهم أنهم سينصرونه، وخاصة البربر، حاول كسبهم إلى جانبه، بتقديم الإغراءات والوعود لهم، وقد أوهموه بدورهم أنهم معه، وأنهم مستعدون للتضحية من أجله، فسار بهم من قلعة رباح متوجها إلى قرطبة ، وقد وصلها بعد سبعة عشر يوما [١] حيث انتهى إلى قصر له قريب من قرطبة يدعى(منزل هاني)، " فلما نزل وبات نزع عنه عامة البربر ليلا إلى قرطبة...فلم يبق مع عبدالرحمن إلا غلمانه"[٢]

ولم يبق أمام عبد الرحمن شنجول عندما وجد نفسه وحيدا غير محاولة الهرب إلى بلاد النصارى طلبا للنجاة بنفسه، إلا أن محاولته انكشفت، وأرسل المهدي وراءه من قبض عليه وقتله، وحملت جثته إلى قرطبة حيث صلب على أحد أبوابها تشفيا به.[٣]

وهكذا انطلقت بداية النهاية للدولة العامرية التي أنشأها المنصور محمد بن أبي عامر في عهد الحكم المستنصر من قلعة رباح، فقد انتهت بمقتل عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٩م[٤]، وبمقتله لفت الأندلس دوامة من الفتن والحروب الأهلية التي كثر خلالها سفك الدماء، فقد تخلص المهدي من الخليفة المخلوع هشام المؤيد بسجنه بعيدا عن الأعين وأوهم الناس بأنه قد مات.[٥]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٤٩.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨ـ ٦٩.
٣. المصدر نفسه ، ج٣، ص٦٩ـ ٧٢؛ المراكشي، **المعجب**، ص٢٢؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٤.
٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٩٦ـ ٩٧.
٥. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٦٨؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٧٧؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج٧، ص٨٤.

ويبدو أن المهدي طغى وبغى إلى درجة لم يعد أحد يطيقه معها، فقد سجن منافسيه من الأمويين وغيرهم، [١] وأهان زعماء البربر،وارتكب في عامتهم الفظائع، ودبر العديد من المكائد لقتلهم وخاصة في قرطبة.[٢] وتخلصا من هذا الطغيان سعى الناس إلى تغيير المهدي بمن يمكنه وقف شروره، وظنوا أن الشخص المناسب لهذه المهمة هو هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، فبايعوه، في أواخر شوال من سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وبذلك أصبح في الأندلس خليفتان:المهدي وهشام بن سليمان الذي تلقب ب(الرشيد)، وعمل الناس بمن فيهم البربر على التخلص من المهدي، حيث تجمعوا وساروا مع الرشيد إلى قصر المهدي للقضاء عليه، إلا أنه تمكن من إلحاق الهزيمة بهم، وتشتيت شملهم، وقتل منافسه الرشيد.[٣]

واستمرت مؤامرات أحفاد عبدالرحمن الناصر ضد بعضهم بعضا ، وكان آخر من تولى الخلافة منهم سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر (المستعين)الذي حكم بلادا مشتتة بين البربر والعامريين وغيرهم حتى سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م حيث قتل على يد شخص ينتسب إلى علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه، وقد قدم هذا الشخص وهو: علي بن حمود الحسني من المغرب إلى الأندلس، ودعا لنفسه، فأيده البربر والعامريون ، وبايعوه بالخلافة، غير أن حكمه لم يدم سوى سنة واحدة، فقد قتل وتولى مكانه أخوه القاسم . واسترضاء لمنافسيه وخاصة العامريين وفي مقدمتهم زهير العامري أقطعه القاسم ـ كما ذكرت سابقا ـ ولاية جيان وقلعة رباح.[٤]

ودخلت قلعة رباح بسقوط آخر الخلفاء الأمويين عصرا جديدا هو عصر ملوك الطوائف موضوع الفصل التالي من هذه الدراسة.

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٧٨.
٢. المصدر نفسه، ج٣، ص٧٨،٨١؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٧.
٣. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٤؛ المقري،المصدر السابق، ج١، ص٤٢٧؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص٨٣.
٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤،ص١٩٣ـ ١٩٥؛ المقري، المصدر السابق ، ج١، ص٤٢٨ـ٤٣٠؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٩ـ ٤٣٦،٤٣٩ـ٤٤٤ ؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الأول**، ص٦٦٢.

الفصـــل الثالث

تاريخ قلعة رباح في عهد ملوك الطوائف

كان لمدينة قلعة رباح حضور قوي في الأحداث التي تلت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، وفي أوائل عهد ملوك الطوائف، الذين سماهم ابن عذاري ملوك الفتنة.[١] فقد شهدت قصة كان لها أثرها على مسار الأحداث، وهي قصة ظهور الخليفة الأموي هشام بن الحكم المستنصر(المؤيد بالله) بعد اختفائه أكثر من عشرين سنة، تلك القصة التي تضاربت المصادر التاريخية في رواية أحداثها.

وكمدخل لدراسة تاريخ قلعة رباح في عهد ملوك الطوائف لا بد من استجلاء الحقيقة بشأن هشام المؤيد، ودور مدينة قلعة رباح التي كانت مسرحا لبعض الأحداث المتعلقة بقصته، لابد من تتبع مسيرته كما ذكرها المؤرخون، لمعرفة ما إذا كانت تلك القصة حقيقية أم أنها مجرد أسطورة من نسج الخيال لتحقيق مآرب سياسية.

قلعة رباح والخليفة الأموي هشام المؤيد

سبقت الإشارة في الفصل السابق إلى الإضطراب الشديد الذي شهدته الأندلس في أواخر عهد الخلافة الأموية، فبعد سيطرة محمد بن هشام بن عبدالجبار(المهدي) على قرطبة، وتوليه الخلافة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م،[٢] أمر الخليفة المخلوع هشام المؤيد أتباعه بإغلاق باب قصره عليه، ثم ارتقى إلى السطح، وأشار إلى العامة الذين تجمعوا في ساحة القصر تحته بأن يسكنوا،" فصاحوا به: لا حاجة لنا بك، وليس الملك من شأنك، وهذا أولى به منك(يعنون المهدي)، فلما سمع ذلك منهم ولى منصرفا إلى داره.."[٣]

وعندما وجد هشام المؤيد نفسه وحيدا استسلم لقدره، وراسل المهدي عارضا عليه أن يكف عنه، في مقابل إقصاء بني عامر، ومنح ولاية العهد له. غير أن المهدي رفض هذا العرض، واقتحم قصر

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٨٧.
٢. المراكشي، **المعجب**، ص٢٢؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٦١-٦٢.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٥٦.

هشام المؤيد الذي اضطر إلى إخلائه، واضطر أيضا إلى التخلي عن الخلافة. ويذكر ابن عذاري أن المهدي لم يسيء له، وإنما أوكل حفظه لابن عمه محمد بن المغيرة .[١]

وقد بدأت الفتنة في الأندلس على يد المهدي، ففي بداية عهده سر أهل قرطبة سرورا عظيما وأقاموا الأفراح مرحبين بتوليه الخلافة،[٢] غير أنه خيب آمالهم، إذ أصدر أمرا بأن " لا يركبوا، ولا يتسلحوا، وردوا في بعض الأيام من باب القصر"[٣] " واتفق أن ركب زاوي بن زيري(أحد زعماء البربر) في جماعة معه فردوا عن باب القصر، وانصرفوا على غاية الذل، وانثال حينئذ جند من السفال على دور البربر"[٤] فثار البربر لكرامتهم، وهبوا للدفاع عن أموالهم وممتلكاتهم، وبذلك بدأت الفتنة البربرية.[٥]

وما أود التأكيد عليه هنا هو أن هشاما المؤيد كان عندما ثارت هذه الفتنة ما زال حيا، إذ كان المهدي ـ كما سبق القول ـ قد أسكن هشاما " في دار الحسن بن حيي، وشخص بمثله رجلا نصرانيا وقيل يهوديا ميتا كان يشبه المؤيد، وأدخل الوزراء والخدمة عليه، فعاينوه ميتا، ولم يشكوا أنه المؤيد"[٦]

وقد اندفع البربر بقوة نحو التخلص من المهدي، فبايعوا هشام بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر (الرشيد)، وحاولوا اقتحام قصر المهدي، غير أنه تغلب عليهم ، وقتل الرشيد، فتوجهت فلولهم إلى شقندة(Secunda)[٧] حيث كان يقيم سليمان بن الحكم، فبايعوه ولقبوه المستعين بالله.[٨] وقد

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٣، ص٥٧- ٦٠.
٢. المصدر نفسه ، ج٣،ص٧٤.
٣. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٣.
٤. ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج٣، ص٧٥- ٧٦.
٥. حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٧.
٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٧٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٦٨.
٧. شقندة: تلفظ بضم الشين المعجمة وضم القاف، وسكون النون، وبالدال المهملة، وتقع على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير مقابل قصر قرطبة. انظر: الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**،ص١٠٤؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق ، ص١٧٤.
٨. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٨؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٤٨.

هاجـم المستعين ومـن معـه مـن البربـر وغيرهم قـوات المهدي، وانتصـروا عليـه، فلجـأ المهـدي إلـى قصره بقرطبة ، وعندما حاول المستعين اقتحام القصر أظهر المهدي هشـاما المؤيد، فـي محاولـة منـه لإقناع المستعين بالكف عن حربه، وإعادة الخلافة إلى صاحبها الشرعي هشام.[١]

ولم تنجح محاولة المهدي أمام إصرار المستعين الذي بويع بالخلافة، وأخذ يمارس سلطاته كخليفة للمسلمين في الأندلس، حيث فرق العمال ، وولـى الولايات وأمر ونـهى.[٢]

وهرب المهدي في تلك الأثناء إلى طليطلة التي كانت موالية له، وحاول المستعين اللحاق به والقضاء عليه، إلا أنه لم يستطع، حيث حالت الظروف الطبيعية المتمثلة بشدة البرد وسقوط الثلوج، وكذلك قلة الميرة دون ذلك، ورجع إلى قرطبة.[٣]

واستغل المهدي فرصة عودة المستعين إلى قرطبة، فحشد أنصاره، ومن بينهم واضح العامري، قائد الثغر الأعلـى، كما استعان بالنصارى ، وزحـف الجميع إلى قـرطبة، بينمـا فـر المسـتعين إلى شاطبة(Jativa)[٤] وكان المهدي يتوقع من المستعين أن يحشد البربر ويأتي بهم لمحاصرة قرطبة، وقد حدث ما توقعه.[٥]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب،** ج٣، ص٩٠؛ ابن خلدون، **تاريخ،** ج٤، ص١٩٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، ج٧، ص٨٥.
٢. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٩٢.
٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٩٢- ٩٣؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٧، ص٨٥؛ المراكشي، **المعجب،** ص٢٣؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٣؛ حتامله، **الأندلس،** ص٤٣١.
٤. شاطبة: مدينة قديمة يلفظ اسمها بالطاء المهملة، والباء الموحدة، وهي من أعمال بلنسية، وتقع في شرقي الأندلس إلى الشرق من قرطبة. وتبعد شاطبة عن بلنسية إلى الجنوب الغربي منها خمسة وستين كيلومترا، وهي مدينة كبيرة، اشتهرت في العصر الإسلامي بصناعة الورق المعروف باسم الشاطبي. انظر: ياقوت، **معجم البلدان،** ج٣، ص٣٠٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية،** ج١، ص٥٢٢- ٥٢٧؛ السامرائي، خليل ابراهيم صالح، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية،** الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات(٣٧٧)، ١٩٨٥م، ص١٧٤، ١٨٥؛ أبو رميلة، هشام، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس،** ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ٨٢- ٨٣.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٣، ص٩٥- ٩٦.

وبينما كانت الإستعدادات جارية لمواجهة المستعين ومعه البربر غدر العامريون وفي مقدمتهم واضح العامري بالمهدي وقتلوه" واجتمعت الكافة على تجديد البيعة لهشام المؤيد ليعتصموا به من معرة البرابرة، وما يسومونهم به ملوكهم من سوء العذاب، وعاد هشام إلى خلافته، وأقام واضح العامري لحجابته، وهو من موالي المنصور بن ابي عامر"(١)

ودعا هشام المؤيد المستعين ومن معه من البربر إلى الدخول في طاعته إلا أنه أبى، وشدد الحصار على قرطبة ، ثم هاجمها وتمكن من دخولها في شوال سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م(٢) ثم دخل القصر وخلع هشام المؤيد، وأخذ مكانه على كرسي الخلافة، ثم قتله سرا **!!**(٣)

ويذكر ابن عذاري فيما يتعلق بهشام المؤيد أن خبره غاب عن الناس " فاختلف في أمره، فقيل إنه (أي المستعين) قضى عليه عند دخوله القصر، وقيل إنه فر بين يديه"(٤)

ويصف ابن خلدون هذا الحدث وما تبعه من أحداث بقوله" ثم اتصل الحصار بمخنق البلد، وصدق البرابرة القتال فاقتحموها عنوة سنة ثلاث وأربعمائة، وفتكوا بهشام المؤيد، ...وظن المستعين أن قد استحكم أمره، وتوثبت البرابرة والعبيد على الأعمال فولوا المدن العظيمة، وتقلدوا الأعمال الواسعة، مثل باديس بن حبوس في غرناطة، ومحمد بن عبدالله البرزالي في قرمونة...وصار الملك طوائف في آخرين من أهل الدولة، مثل ابن عباد بإشبيلية، وابن الأفطس ببطليوس، وابن ذي النون بطليطلة، وابن أبي عامر ببلنسية ومرسية، وابن هود بسرقسطة، ومجاهد العامري بدانية والجزائر منذ عهد هذه الفتنة"(٥)

---

١. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٩٤.

٢. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٢٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٤؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٠٦- ١١٢.

٣. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٤٩.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١١٣

٥. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص١٩٤.

وتدعو رواية ابن عذاري ورواية ابن خلدون فيما يتعلق بمصير هشام المؤيد إلى كثير من التأمل والتفكير، وخاصة أن لمدينة قلعة رباح علاقة بهذا المصير ، فابن عذاري لم يجزم بأن هشاما قتل، وإنما ذكر أنه " فر بين يديه" وهذا يعني أنه تمكن من الهرب. أما رواية ابن خلدون فلم تذكر صراحة بأن المستعين قضى على هشام المؤيد، فعبارته" وصدق البرابرة القتال فاقتحموها عنوة سنة ثلاث وأربعمائة، وفتكوا بهشام المؤيد.." لاتعني أنهم قتلوه، وإنما تعني أنهم انتصروا على الموالين له، وقتلوا الكثيرين منهم، وليس من شك في أن بعضهم نجا، وقد يكون هو أحد الناجين أيضا.

ويؤيد ما ذهبت إليه أن علي بن حمود الحسني عندما دخل قصر الخلافة في قرطبة بحثا عن هشام المؤيد لم يجده، وكان يعتقد أنه سجين في القصر، فظن أنه قتل، وثأر له بقتل المستعين وأخيه وأبيهما" ثم جعلت رؤوسهم في طست وأخرجت ينادى عليها : هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد"[١]

وكان هشام المؤيد قد ظهر سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م في قلعة رباح ، إذ يذكر ابن عذاري في أخبار تلك السنة أن القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد[٢] أظهر "المؤيد هشام بن الحكم، واستجلبه من قرية كان بها، وقام به، وبايع له، ودعا للناس إلى الدخول في طاعته، واستحجبه ابنه إسماعيل بن محمد، ولهج بعض رؤساء الأندلس بذلك"[٣] ثم يذكر ابن عذاري أن القرية التي أظهر منها هشام المؤيد إنما هي قلعة رباح، حيث يذكر قصة وصوله إليها فيقول:" واختلف في هذا المؤيد اختلافا كثيرا، وهل هو

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١١٣.

٢. القاضي اسماعيل بن محمد بن عباد: هو القاضي الكبير، أمير إشبيلية ومدبرها وحاكمها، أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد بن قريش، اللخمي، من ذرية أمير الحيرة النعمان بن المنذر، اصله من (العريش) في بلاد الشام، وقد دخل أبوه الأندلس حيث نشأ أبو القاسم ، فبرع في العلم، وتنقلت به الأحوال، وولي قضاء إشبيلية في عهد بني حمود العلويين، وقد ساس إشبيلية بالعدل، وأعجب به الناس. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) **سير أعلام النبلاء** (تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٧، ص٥٢٧- ٥٢٨؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٣٤-٣٥.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٩٠.

أم لا؟ والأكثرون أنه مشبه له، وأن ابن عباد أوقفه لينال به مراده، وآخرون ذكروا أنه المؤيد بعينه واسمه، فذكر ـ والله أعلم ـ أنه كان مختفيا بمالقة حين توثب علي بن حمود على الخلافة بقرطبة،وخفي أمره، ثم مر من مالقة إلى ألمرية(Al-Mariyyat)[١] رغبة في الإختفاء إلى أن أنهي خبره إلى صاحبها زهير الفتى فأمر بإخراجه من ألمرية، فخرج منها وآوى إلى قلعة رباح.." [٢]

ويذكر ابن خلكان عن الخليفة هشام المؤيد أنه "كان قد انقطع خبره مدة نيف وعشرين سنة، وجرت أحوال مختلفة في هذه المدة، ثم قيل للقاضي محمد المذكور(القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد) بعد تملكه واستيلائه على البلاد : إن هشام بن الحكم في مسجد بقلعة رباح، فأرسل إليه من أحضره، وفوض الأمر إليه، وجعل نفسه كالوزير بين يديه"[٣]

ويعلق عنان على موضوع اختفاء الخليفة هشام المؤيد ثم ظهوره في قلعة رباح واصفا قصته بالأسطورة فيقول :" ونحن نعرف مما تقدم أن سليمان المستعين حينما دخل قصر قرطبة في أواخر سنة ٤٠٣هـ، قبض على هشام المؤيد وأخفاه. وأن الرواية تختلف بعد ذلك في مصيره، فيقال إنه قتل بعد ذلك بيد محمد بن سليمان، ويقال من جهة أخرى إنه فر من محبسه، وعاش حينا في ألمرية حتى توفي"[٤].

---

١. ألمرية: تلفظ بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء. وهي مدينة تقع على الساحل الشرقي للأندلس على حافة البحر الأبيض المتوسط، وقد بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، وأصبحت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أشهر مراسي الأندلس، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الأسطول الأموي، وكانت فيها دار لصناعة السفن تنتج السفن الحربية بأعداد كبيرة. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١١٩؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٤٢؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٩؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص٨٦؛ الزهري، **الجعرافية**، ص١٠١؛ الرشاطي، **الأندلس في اقتباس الأنوار**، ص٥٩-٦٠؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٥٦؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٢٢؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص٢٨٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٢٤- ١٣٦.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٩٠
٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر، بيروت، ج٥، ص٢٢.
٤. عنان، محمد عبدالله، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**، ط٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٧.

ويذكر الذهبي أن قصة القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد مشهورة "مع الشخص الذي زعم أنه المؤيد بالله المرواني، وكان خبر المرواني قد انقطع من عشرين سنة، وجرت فتن صعبة في هذه السنين، فقيل لابن عباد: إن المؤيد حي بقلعة رباح في مسجد، فطلبه، واحترمه، وبايعه بالخلافة، وصير نفسه كوزير له"(١)

ثم ينقل الذهبي خبرا عن المؤيد يؤكد أنه، هرب من قرطبة عام أربعمائة متنكرا "حتى قدم مكة ومعه كيس جواهر، فشعر به حرامية مكة، فأخذوه منه، وبقي يومين لم يطعم، ثم عمل في الطين وتقوت، ثم توصل إلى القدس، فتعلم نسج الحصر، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٢٤(٤٢٤ هـ).(٢)

وهنا لا بد من التوقف عند مسألة تعلم هشام نسج الحصر، إذ يسرد كيلاني هذه الواقعة مترجمة عن دوزي فيذكر أن هناك أفرادا من الشعب " كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته (حياة هشام المؤيد) بآسيا، وقد أشاع بعض أولئك أنه رحل أولا إلى مكة ومعه خريطة مملوءة بالنقود والنفائس، فسلبه الزنوج الذين كانوا يرافقونه كل ما معه، وزعموا أنه استمر يومين لا يتذوق طعاما ولا شرابا، إلى أن رآه صانع فخار فرق له ورثى لحاله، فعرض عليه أن يعجن له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهما ورغيفا، فرجا صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا، إذ قد مضى عليه يومان لم يذق فيهما طعاما، وبعد لأي استطاع هشام ـ على عجزه عن العمل ـ أن يكسب قوت يومه."(٣)

ويضيف دوزي أن هشاما أنف من العمل بالطين فهرب وسار مع قافلة متجهة إلى فلسطين، وعندما وصل إلى بيت المقدس وقف على باب حصري، ودار بينهما حوار حول صناعة الحصر، وقد انتهى ذلك الحوار بقبول هشام العمل في هذه الصناعة، وبعد بضع سنين عاد إلى الأندلس، وتنقل فيها على النحو الذي سبق ذكره ، وانتهى إلى قلعة رباح حيث ألقى بها عصا الترحال.(٤)

---

١. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص٥٢٨.
٢. المصدر نفسه، ج١٧، ص٥٢٩.
٣. كيلاني، كامل، **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام للعلامة دوزي**، ط١، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، ص٣١ـ ٣٢.
٤. المرجع نفسه، ص٣٢ـ ٣٣.

وتدل رواية الذهبي ورواية دوزي على أن هشاما المؤيد تعلم ـ بعد أن أملق وضاقت به السبل ـ صناعة الحصر في القدس، ثم عاد إلى الأندلس، واستقر في قلعة رباح، ومارس هذه الصناعة، ولكن باسم مستعار هو (خلف)، وأصبح معروفا باسم (خلف الحصري)،إذ ليس معقولا أن يمارسها باسم هشام المؤيد وهو الخليفة ابن الخلفاء، وذلك لأسباب معروفة بعضها سياسي.

وأرى ـ في ضوء ما تقدم ـ أن خلف الحصري وهشام المؤيد إنما هما شخص واحد، وهذا الشخص هو الذي أقام " نيفا وعشرين سنة، والقاضي محمد بن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه، والأمر إليه، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي (المدعو) هشاما، فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده"[١]

وهكذا شهدت قلعة رباح في أوائل عهد ملوك الطوائف قصة ظهور الخليفة الأموي (المؤيد بالله)، وعندما أظهره القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وأخذ البيعة له، وأعلن خلافته[٢] أصبح في الأندلس أربعة خلفاء في وقت واحد، وهم:" خلف الحصري بإشبيلية أي المؤيد بالله، ومحمد بن القاسم الإدريسي بالجزيرة الخضراء(Algeciras)[٣]، ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود بمالقة، وإدريس بن يحيى بن علي بن حمود بشنترين(Santaren) [٤]"[٥]

---

١. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٢٢.
٢. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٦.
٣. الجزيرة الخضراء: تسمى أيضا جزيرة أم حكيم، وهي مدينة مشهورة تقع في أقصى جنوبي الأندلس بجوار جبل طارق، وتقابل مدينة سبتة المغربية. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص١٣٦، ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٠؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص٣٩١.
٤. شنترين: مدينة من أعمال لشبونة، يتكون اسمها من مقطعين: شنت، بالفتح فالسكون، وتعني بلدة أو ناحية، ورين، بكسر الراء، وياء مثناة من تحت، وهي الإسم. وكانت شنترين إحدى ثلاثة أقضية تألفت منها البرتغال في العصر الروماني، وتقع شنترين على جبل شاهق الإرتفاع على نهر تاجه قرب مصبه في المحيط الأطلسي. انظر: الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١١٣؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٥، ص٥٥٠؛ ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٦٦؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٤٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص١٩٨، ج٣، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٦٠٣- ٦٠٧؛ سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج١، ص٢١٥- ٢١٧.
٥. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ص٥٢٩؛ عنان، المرجع السابق، ص٣٨.

وقد استمرت خلافة هشام المؤيد (خلف الحصري) في إشبيلية حتى وفاته سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٥م.[١] وبذلك يكون قد توفي عن نحو سبعين عاما ، حيث ولي الخلافة للمرة الأولى سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، وكان عمره حينئذ ما بين عشر سنوات واثنتي عشرة سنة حسب اختلاف الروايات.[٢]

قلعة رباح وملوك الطوائف

يشير ابن عذاري إلى أن عهد ملوك الطوائف بدأ سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م،" فمن هذا التاريخ كثرت الفتنة، وتمادى وانتزى كل أحد في موضعه، واستبد رؤساء الأندلس وثوارها فيما بين أيديهم من البلاد والمعاقل، وبغى بعضهم على بعض.."[٣]

وكانت قلعة رباح قد خضعت منذ سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، لحكم بني ذي النون، وهم من البربر من قبائل هوارة[٤]، الذين تولوا ملك طليطلة[٥] ويرجع تاريخ وجود بني ذي النون في طليطلة ـ كما ذكر سابقا ـ إلى أيام الأمير الأموي محمد بن عبدالرحمن(٢٣٨ـ ٢٧٣هـ/٨٥٢ـ ٨٨٦م)، الذي أعطى جدهم الأعلى ذا النون بن سليمان سجلا بولايته على ناحيته، وهي مدينة أقليش(Ucles)[٦] من أعمال طليطلة.[٧]، أي أن الأمير أعطاه الشرعية لحكم تلك الناحية وذلك مقابل صنيع قدمه ذو النون للأمير

---

١. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٢٢؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف**، ص٣٧.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٥٣؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٨٨؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٩٦؛ المراكشي، **المعجب**، ص١٤؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٨٣.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص١٥٢.
٤. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦ـ ٢٠٧.
٥. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦ـ ٢٠٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٦.
٦. أقليش: مدينة وحصن، يلفظ اسمها بضم الهمزة، وسكون القاف، وكسر اللام، وياء ساكنة، وشين معجمة، وهي من أعمال طليطلة، وتقع بالقرب من حصن قونقة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٣٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٥١؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١١٤.
٧. ابن الكردبوس،المصدر السابق ، ص١١٤؛حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٠٥.

الأموي.[١] وقد ظل بنو ذي النون موالين للدولة الأموية إلى أيام الأمير محمد بن عبدالرحمن، وفي عهده خرج موسى بن ذي النون عن الطاعة وذلك سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م، وأغار على أهل طليطلة، فواجهوه بقوة كبيرة بلغت نحو عشرين ألفا، غير أنه ألحق بهم الهزيمة.[٢] وفي مستهل عهد الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر(٣٠٠- ٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦١م) ثار ضد الدولة الأموية الفتح بن موسى بن ذي النون في قلعة رباح وما حولها، فبعث إليه الناصر حملة تمكنت من إخضاعه.[٣]

وظل بنو ذي النون ، على الرغم من تلك المحاولات التي بذلوها للظهور كقوة سياسية وعسكرية، ظلوا بشكل عام خاملي الذكر، لا نباهة ولا رياسة لهم.[٤] غير أن حالهم تبدل في عهد المنصور محمد بن ابي عامر، فقد نبه ذكرهم، واشتهروا عندما أوكل إليهم المنصور قيادة الجيوش وولاية الأعمال، وقد برز في عهده اثنان من بني ذي النون هما: عبدالرحمن بن ذي النون وابنه إسماعيل.[٥]

وكان بنو ذي النون يحكمون كورة شنتبرية منذ سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م،[٦]وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله أضيف إلى حكمهم حصن وبذة (Huete)[٧]، أحد الحصون الواقعة على مقربة من طليطلة إلى الشمال الشرقي منها.[٨] كما أضيفت إلى حكمهم أكثر حصون شنتبرية وقراها.[٩]

---

١. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص١١؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني - دول الطوائف**،ص٩٥.
٢. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص١٦٨؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٥، ص٣٧٢؛ عنان، المرجع السابق، ص٩٥- ٩٦.
٣. عنان، المرجع السابق، ص٩٦.
٤. المرجع نفسه، ص٩٦.
٥. المرجع نفسه، ص٩٦.
٦. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٥، ص٣٧٢.
٧. وبذة: حصن يقع إلى الشمال الغربي من مدينة قونقة جنوب مدينة شنتمرية، وهو من الحصون الشمالية الشرقية لمدينة طليطلة. انظر: الحميري، **الروض المعطار**، ص٦٠٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١١٤٣.
٨. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٩٦.
٩. ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق عبدالرحمن الحجي، ص١٥٠.

واستولى إسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون بعد انهيار الدولة الأموية على كثير من الأراضي المجاورة لشنتبرية، وبسط حكم بني ذي النون على الكورة كلها، وعندما عمت الفوضى أثناء الفتنة أعلن عبدالرحمن بن ذي النون والد اسماعيل الإستقلال بهذه الأراضي التي استولى عليها ابنه الذي جبى الأموال، واتسعت أعماله.[١]

وكانت طليطلة عند قيام الفتنة تحت حكم جماعة من رؤسائها ، وأبرز هؤلاء: محمد بن يعيش، وابنه يعيش بن محمد بن يعيش، وأبو عمرو أحمد بن سعيد بن شنظير، وعبدالرحمن بن متيوه.[٢] ويروي ابن عذاري أن الوالي بمدينة طليطلة عند وقوع الفتنة بالأندلس كان عبدالرحمن بن متيوه، ثم ابنه عبدالملك الذي أساء السيرة في أهلها،[٣] فخلعوه وولوا غيره، ثم نقموا على واليهم الجديد وولوا غيره ، إلى أن انتهى أمر طليطلة إلى يعيش بن محمد بن يعيش الذي وليها منذ أول الفتنة حتى وفاته سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م.[٤] وقد اجتهد يعيش بن محمد حتى أصبح الرئيس الفعلي للجماعة التي كانت تحكم طليطلة، ولكن الناس اختلفوا عليه وأخرجوه، واحتاجوا بعد ذلك إلى من يقوم بأمرهم .[٥]

واتجهت أنظار أهل طليطلة بعد وفاة ابن يعيش أو بعد إخراجه من المدينة حسب اختلاف الروايات، اتجهت إلى عبدالرحمن بن ذي النون في شنتمرية، وأرسلوا إليه وفدا يعرض عليه حكم طليطلة، فقبل، وأرسل إليها ابنه إسماعيل، وذلك سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م[٦]" فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة وبلادها(بما فيها قلعة رباح)، فساس أهل مملكته السياسة الحسنة، ورضوا عليها."[٧]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف** ، ص٩٦.
٢. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٣٧.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٦.
٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب)، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٢٥٢.
٥. ابن الأبار، المصدر السابق ، ج٢، ص٣٧.
٦. عنان، المرجع السابق، ص٩٧.
٧. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٦ـ ٢٧٧؛ المراكشي، **المعجب**، ص٤١؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ج٤، ص٢٠٧؛ القلقشندي، المصدر السابق ، ج٥، ص٢٥٢.

وقد اعتمد اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون الذي اتخذ لقبا سلطانيا هو (الظافر)، اعتمد في حكم طليطلة على مشورة شيخ من شيوخها هو أبو بكر بن الحديدي الذي بذل جهودا كبيرة في تثبيت أقدام بني ذي النون في طليطلة.[١] وكان ابن الحديدي يحظى باحترام أهل طليطلة ومحبتهم، ولذلك كان إسماعيل لا يقطع أمرا دونه، وكان يشاوره في كل أمر مهم يعرض له.[٢]

وتوفي اسماعيل بن عبدالرحمن بن ذي النون بعد فترة قصيرة من حكمه، فقد توفي حسب بعض الروايات سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م[٣]،وسنة ٤٣٥هـ/١٠٤٢م حسب روايات أخرى.[٤] وتولى حكم طليطلة بعده ابنه يحيى (المأمون)[٥] الذي " استفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه"[٦] فقد تمكن المأمون ـ كما يذكر ابن عذاري ـ من تضخيم ملكه، [٧] ونظرا لأنه ساس رعيته بالعدل، واستمر في الأخذ بمشورة ابن الحديدي ، فقد عظم سلطانه بين ملوك الطوائف الآخرين.[٨]

وأصبحت مملكة طليطلة واسعة الرقعة، ممتدة الأرجاء، وكانت من أكبر دول الطوائف، ويمكن اعتبار ذلك واحدا من أسباب أهميتها، أما السبب الأهم فهو أنها كانت ذات موقع حربي استراتيجي بالغ الأهمية للأندلس كلها، فهي تقع على مشارف الأندلس الشمالية الوسطى، وتشكل ما عرف بالثغر الأوسط، وحدودها متاخمة للممالك النصرانية، وهي بذلك تعتبر حاجز الجناح الشمالي الأوسط للدولة الإسلامية ضد عدوان النصارى.[٩]

---

١. السحيباني، حمد بن صالح، **الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ـ عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا(دراسة تاريخية تحليلية)**،ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٠٣.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٧.
٣. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧.
٤. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص١٢؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٣، ص٤٤٠.
٥. ابن خلدون، المصدر السابق ، ج٤، ص٢٠٧؛ المراكشي، **المعجب**، ص٤١؛ النويري، المصدر السابق ، ج٢٣، ص٤٤٢؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤٠.
٦. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٧.
٧. ابن عذاري، المصدر السابق ج٣، ص٢٧٧.
٨. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٧٩.
٩. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف**،ص٩٤ـ ٩٥.

لقد شملت مملكة طليطلة رقعة كبيرة في قلب الأندلس، وتمتد هذه الرقعة إلى الشرق من مملكة بطليوس[١] نحو الشمال الشرقي حتى قلعة أيوب وشنتمرية الشرق (Santa Maria de Albarracin)[٢] الواقعتين إلى الجنوب الغربي من مملكة سرقسطة[٣]، أو الثغر الأعلى، وتمتد

---

١. مملكة بطليوس : هي إحدى ممالك الطوائف التي أسست في الأندلس بعد انهيار الدولة الأموية، وقد أسس هذه المملكة بنو الأفطس، وينتمي هؤلاء إلى جدهم ابي محمد عبدالله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، وهو من قبيلة بربرية من قبائل مكناسة، ومع هذا النسب إلى البربر انتسب بنو الأفطس إلى قبيلة تجيب العربية، إحدى قبائل لخم. وتقع مملكة بني الأفطس بين مملكة طليطلة شرقا والمحيط الأطلسي غربا، انظر: ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٥- ٢٣٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٥؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥١٨- ٥٢٧.

٢. شنتمرية الشرق: توجد مدينة أخرى تسمى شنتمرية، تقع في غربي الأندلس، وشنتمرية الشرق تسمى أيضا السهلة لخصبها واتساع أراضيها وكثرة أنهارها، كما تسمى سهلة بني رزين باسم أصحابها في عهد ملوك الطوائف. وتقع هذه المدينة إلى الشمال الشرقي من مدريد على أحد فروع نهر إيبرو.ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٩٥؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٦٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٦١٥.

٣. مملكة سرقسطة: ترجع بدايات تأسيس مملكة سرقسطة إلى عهد الخليفة الأموي المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الناصر، الذي قتله علي بن حمود الحسني سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م متهما إياه بقتل الخليفة هشام المؤيد بالله، فقد كان المستعين ، وقد ضعفت الدولة الأموية في عهده وتمزقت، قد قسم البلاد على رؤساء القبائل، ومنهم منذر بن يحيى التجيبي(المنصور) الذي أعطاه سرقسطة، وقد خلفه بعد وفاته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م ابنه يحيى (المظفر)، الذي توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، فخلفه ابنه المنذر(الحاجب معز الدولة)، وكان صغيرا، وبعد نحو عشر سنوات قتله أحد قواده ، واسمه عبدالله بن حكيم الذي كان يطمع في حكم سرقسطة، وقد تولى حكمها فعلا، إلا أنه كان سيء الخلق، ولذلك ثار عليه أهلها فهرب ، وعندئذ اجتمع رأي أهلها على تولية سليمان بن هود الجذامي الأزدي أمرهم، وكان من كبار الجند في الثغر الأعلى، فبعثوا إليه، وقد نزل دار الإمارة بسرقسطة سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م.وتلقب بـ(المستعين بالله)، وظل يحكم سرقسطة حتى وفاته سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م.وكان قبل وفاته قد قسم مملكته على أولاده الذكور، وهم: أحمد، ويوسف، ومحمد، ولب، والمنذر. وقد احتال أحمد الذي تلقب بالمقتدر على إخوته، وتمكن من استخلاص ما في ايديهم، ولذلك عظمت مملكته، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م.وكان قبيل وفاته قد قسم المملكة بين ابنيه: أبي العامر يوسف(المؤتمن)، والمنذر، اللذين وقعت بينهما حرب أهلية، واستعان كل منهما بالنصارى ضد الآخر، وأخذت مملكة سرقسطة تنحدر وتضعف إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م.ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٩؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٧٥- ١٧٩، ٢٢١- ٢٢٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٠٣- ٥١٧.

نحو الشمال الشرقي إلى ما وراء نهر تاجة (El Rio Tajo)[١]، ونحو الجنوب الغربي حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتي المعدن (Almada)[٢] والمدور (Almodavar)[٣]. وتتوسط هذه المملكة الواسعة عاصمتها طليطلة، ومن أعمالها: مدينة سالم، ووادي الحجارة (Guadalara)[٤]، وقونقة (Cuenca)[٥].

---

١. نهر التاجة: يسمى أيضا نهر طليطلة، ونهر باجة، وهو أطول أنهار الأندلس إذ يبلغ طوله من منبعه بين مدينتي قونقة وطرويل في الشرق حتى مصبه في المحيط الأطلسي نحو ألف وعشرة كيلومترات. ويعبر نهر تاجه ومدينة وادي الحجارة ثم يخترق مدينتي طليطلة وطلبيرة. وقد أقيمت على النهر قنطرة بين مدينتي لشبونة وطلبيرة تسمى قنطرة السيف، وأقيم على ظهرها برج يبلغ ارتفاعه أربعين ذراعا. انظر: الزهري، **الجعرافية**، ص٨٥؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٨٧؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٣٩٣، ٣٩٤؛حتامله، محمد عبده، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٨٥-٨٦.

٢. المعدن: حصن يقابل مدينة لشبونة على ساحل المحيط الأطلسي، وقد سمي بذلك لأن المحيط عند هيجانه كان يقذف بالذهب البكر في موقع الحصن. الحميري، المصدر السابق، ص٦١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١٠٥٢.

٣. المدور: حصن من أعمال قرطبة، يبعد عنها ستة وثلاثين ميلا. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٧٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٦٥؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٢٢٧.

٤. وادي الحجارة: تسمى أيضا مدينة الفرج، نسبة إلى الفرج بن سالم، وهو من البربر من قبيلة مصمودة، وتقع شرق طليطلة على بعد خمسة وستين ميلا منها، وتبعد سبعة وخمسين كيلومترا إلى الشمال الشرقي من مدريد. وهي مدينة حصينة ذات أسوار منيعة. انظر: ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٣٤٣؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٩٣؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ ابن عذارين المصدر السابق، ج٢، ص١٧٥- ١٧٦؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٦- ٢٠٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١١٢٩- ١١٣٥؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٦٥.

٥. قونقة: يلفظ اسمها بالضم وسكون الواو والنون، ويرد رسمها أيضا (قونكة، وكونكة، وكنكة)، وتقع على بعد ثلاثمائة وعشرين كيلومترا إلى الشمال الغربي من مدينة بلنسية، وتحدق بها الأنهار من جهتي الشرق والغرب، وتحيط بها الكروم والأشجار. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤١٥؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٥، ص٥٦٠؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ٢١؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٠٨؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٦- ٢٧٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٠٤- ٩٠٧.

ومـن مـدن مملكـة طليطـة أيضـا: وبـذة، وإقلـيش، ومـورة (Maura)[١]، وطلبيـرة، وترجالـة (Trujillo)[٢] وذلك إضافة إلى قلعة رباح وغيرها.[٣]

وقد تولى حكم مدينة قلعة رباح في عهد بني ذي النون حريز بن حكم بن عكاشة الذي سبق الحديث عنه في الفصل الأول من هذه الدراسة عند تناول عمالها وأعلامها، وقد أدت إلى توليه حكمها تلك الأطماع التي كانت تجيش في نفوس بعض ملوك الطوائف بما في أيدي بعضهم الآخر، وما أدت إليه من فتن وحروب بينهم.

فقد آل حكم قرطبة في عهد ملوك الطوائف إلى بني جهور، الذين يرجعون في نسبهم إلى شخص يدعى بخت بن ابي عبده، وهو فارسي الأصل، كان مولى للخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، وقد دخل ابنه يوسف الأندلس، وأصبح أحد أكبر الموالي بقرطبة.[٤] وكان أول من تولى الحكم من بني جهور في قرطبة في عهد ملوك الطوائف هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور(٤٢٢ـ ٤٣٥هـ/١٠٣٠ـ ١٠٤٣م) الذي أظهر أنه ليس طامعا في الملك، وحرص على التواصل مع الناس كواحد منهم، وأصبحت قرطبة في عهده كما وصفها المراكشي" حرما يأمن فيه كل خائف"[٥]

---

١. مورة: أحد حصون طليطلة، يلفظ اسمه بالضم ثم السكون، وفتح الراء. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢١١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١٠٧٦.
٢. ترجالة: يلفظ اسمها بالضم ثم السكون ، وقد أوردها ياقوت بياء مثناة بعد الجيم (ترجيلة)، وهي مدينة كبيرة تقع غرب طليطلة إلى الشمال الشرقي من بطليوس. ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٧٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج١، ص٣٤٧.
٣. الشطشاط، علي حسين، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٩ـ ٣٠؛ أشباخ، يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،(ترجمه وعلق عليه محمد عبدالله عنان)،ط٢، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٤٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف**، ص٩٥.
٤. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٣٢؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٨٥ـ ١٨٦.
٥. المراكشي، **المعجب**، ص٣٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٠ـ ٤٦١.

وتولى حكم قرطبة بعد وفاة أبي الحزم ابنه أبو الوليد محمد الذي بايعه أهلها ولقبوه (الرشيد)،[١]وكانوا يظنون أنه سيتبع معهم سياسة أبيه، إلا أنه خالفها، فسخطوا عليه. وكان عبد الملك كثير المعاصي والفسوق، وصحب الأرذال، وتسلط على أهل قرطبة.[٢]

ولما لم يحتمل أهل قرطبة مسلك عبد الملك فوض الرشيد تدبير الأمور في قرطبة إلى وزير أبيه: إبراهيم بن السقاء الذي ضبط أوضاعها، وهدأ أحوالها، فكثر حساده، ومن بينهم المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية الذي أوغر صدر عبد الملك ضد الوزير فقتله، وذلك سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م.[٣] وتغلب عبدالملك على قرطبة بعد وفاة أبيه الرشيد سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م[٤] وفي عهده قام المأمون يحيى بن ذي النون بغزو قرطبة قادما من طليطلة، محاولا انتزاعها من يد بني جهور، فاستغاث عبدالملك بملك إشبيلية المعتمد بن عباد، الذي أرسل لنجدته قوة من عسكره تمكنت من دحر ابن ذي النون ، ورده عن قرطبة.[٥] وكان ابن عباد يبيت الإستيلاء عليها، إذ لم يكن هدفه نجدة عبدالملك بن جهور ضد بني ذي النون، وإنما ضم قرطبة إلى مملكة إشبيلية التي ورثها عن أبيه المعتضد أبي عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[٦] وقد رسم خطة سرية لذلك نفذها عندما حانت الفرصة، واستولى على قرطبة بالفعل منهيا دولة بني جهور سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م.[٧] وقد ولى ابن عباد على قرطبة ابنه عباد (سراج الدولة) ، وأبقى معه قائده محمد بن مرتين.[٨]

---

١. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٧، ص٢٩١؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٣٢؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٣.

٢. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢- ٢٣٣؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٦٣- ٤٦٤.

٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٢، ٢٥١؛ حتامله، المرجع السابق، ص٤٦٤.

٤. حتامله، المرجع السابق، ص٤٦٤.

٥. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني - دول الطوائف**، ص١٠٣.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق ج٣، ص٢٠٤؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج٧، ص٢٩١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠١.

٧. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٤؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٩؛ عنان، المرجع السابق ، ص١٠٣.

٨. ابن خلدون، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠٤- ٢٠٥؛ عنان، المرجع السابق ، ص١٠٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٦٥.

وقد أجج استيلاء ابن عباد على قرطبة نيران الحقد والغضب في صدر المأمون يحيى بن ذي النون، وأخذ يتحين الفرص للإنتقام منه، والإستيلاء على قرطبة، ولجأ إلى التآمر والدسائس، إذ اتصل بأحد رجال المعتمد بن عباد يدعى حكم بن عكاشة، وكان حكم مغامرا وافر الجرأة، وتفاهم معه على تدبير مؤامرة على الفتك بالعباديين وأميرهم، والإستيلاء على قرطبة. فرسم ابن عكاشة خطة محكمة، وأخذ يحشد إلى جانبه من استطاع من المغامرين، وعندما أكمل استعداده دخل قرطبة ليلا في جمع من رجاله، وكان له في قرطبة أنصار فتحوا له الأبواب، ولم يشعر سراج الدولة الذي كان مكبا على اللهو والشراب بدخولهم، فاقتحموا داره وقتلوه، ثم داهموا دار القائد ابن مرتين الذي ولى هاربا حالما شعر بقدومهم. وعند الصباح كانت خطة حكم بن عكاشة قد نجحت نجاحا باهرا.(١)

بسط حكم بن عكاشة سيطرته على قرطبة بعد أن انضم إليه كثيرون من الدهماء، ودعا الناس إلى مبايعة المأمون بن ذي النون، فبايعوه، وعندما استوثق حكم من الأمر في قرطبة، أرسل رأس سراج الدولة إلى المأمون، وكان حينئذ في بلنسية(Valencia)(٢) فحضر ، ودخل قرطبة في موكب عظيم في أواخر سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م.(٣)

وقد توفي المأمون يحيى بن ذي النون في أواخر ذي القعدة من السنة نفسها التي تسلم فيها

---

١. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٧٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف** ، ص١٠٣ـ ١٠٤.

٢. بلنسية: تسمى أيضا مدينة التراب، ومطيب الأندلس، وبستان الأندلس، ذلك أنها خصبة التربة، كثيرة الرياحين، كثيرة الأشجار المتنوعة. وتقع هذه المدينة في شرقي الأندلس قرب البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عنه أربعة كيلومترات فقط. وهي شرق قرطبة، وتحدها طليطلة من الغرب. وتتوسط بلنسية سهلا زراعيا خصبا يحاذي ساحل البحر المتوسط. وتعد بلنسية إحدى قواعد الأندلس، حيث تتبعها مدن وأقاليم وحصون أخرى. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٩٠؛ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٢٩٧ـ ٢٩٨؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٧؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٥، ص٥٥٦، ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٤؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**، ص٦٦؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٠١ـ ٣٠٦.

٣. ابن سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٥٧؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج٥، ص٢٥٠؛ عنان ، المرجع السابق١٠٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٢٨.

قرطبة(٤٦٧هـ/١٠٧٥م)، وقيل إن سبب وفاته كان جرعة من السم دست له [١] فخلفه على حكمها حكم بن عكاشة، بينما خلفه على مملكة طليطلة حفيده واسمه أيضا يحيى، وهو يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، الملقب ب(القادر).[٢] وكان القادر عندما تولى الحكم شابا قليل الخبرة، وأصبحت طليطلة في عهده تعاني مما يشبه الفراغ السياسي، ذلك أن القادر انصرف إلى اللهو والعبث، تاركا تدبير شؤون المملكة إلى اثنين من وزرائه هما: ابن المفرج، وأبو بكر الحديدي، وكان القادر أكثر اعتمادا على هذا الأخير، ومع ذلك فتك به بتأثير بعض المغرضين من أعيان طليطلة، وذلك في المحرم من سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م.[٣]

وقد استغل المعتمد بن عباد ، حاكم إشبيلية، ما آلت إليه الأوضاع في طليطلة بعد وفاة المأمون بن ذي النون، فقد كان يتحرق للإنتقام من حكم بن عكاشة قاتل ولده سراج الدولة، واستعادة قرطبة. وساعده في تحقيق مآربه اضطراب الأحوال في طليطلة بشكل عام وفي قرطبة خاصة، ذلك الإضطراب الذي جعل بعض أعيان قرطبة يبعثون إلى المعتمد يدعونه للقدوم إلى المدينة. فزحف على رأس قواته نحوها، ولما علم حكم بن عكاشة بالأمر أدرك أنه لا قبل له بمقارعة ابن عباد، ففر من قرطبة تاركا خلفه ابنه حريز فيها بينما دخلتها القوات المهاجمة. وقد أرسل المعتمد سرية من فرسانه طاردت حكم بن عكاشة حتى ظفرت به وقتلته، وعادت به جثة هامدة إلى قرطبة ، فصلب ابن عباد جثمانه مع كلب إمعانا في الرزاية به.[٤]

وتمكن حريز بن حكم بن عكاشة من الفرار إلى طليطلة، حيث استقبله القادر بن ذي النون، وكرمه تقديرا لوالده حكم بأن عينه حاكما لمدينة قلعة رباح.[٥] وقد ظل حريز يحكم قلعة رباح حتى

---

١. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤٠؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧.
٢. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٧٩.
٣. المصدر نفسه، ص٨١.
٤. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٧٧؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني - دول الطوائف**، ص١٠٤ .
٥. ابن الأبار،المصدر السابق، ج٢، ص١٧٧؛ المقري، المصدر السابق ، ج٣، ص٣٥٨؛ عنان، المرجع السابق، ص١٠٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**،ج٢، ص٨٧٦.

مقتله بالقرب منها على حصن مسطاسة (Mistasa)[١] سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م.[٢] ويذكر ابن الأبار أن حريزا كان قد وقع في أسر أهالي فحص البلوط [٣] وساقوه إلى المعتمد بن عباد **"فمن عليه، وأطلقه"**[٤]

قلعة رباح بعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى

تفككت دولة طليطلة منذ بداية عهد القادر بن ذي النون، وأصبحت مطمع الطامعين من ملوك النصارى وملوك الطوائف الآخرين على حد سواء. وكان ملوك النصارى ، وخاصة ألفونسو السادس ملك قشتالة أشدهم طمعا وحرصا على احتلال طليطلة التي كان قد عرف مداخلها ومخارجها واكتشف عوراتها عندما كان لاجئا فيها أيام المأمون يحيى بن ذي النون. ويبدو أنه رسم خطة الإستيلاء عليها حينئذ.[٥]

ويتلخص سبب لجوء ألفونسو السادس إلى طليطلة في أن والده فرناندو الأول، ملك قشتالة، قسم المملكة قبيل وفاته سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م. بين أولاده الثلاثة : شانجة الثاني ، وألفونسو السادس ، وغرسية. وقد كانت قشتالة من نصيب أولهم ، وأشتوريس وليون من نصيب الثاني ، أما الثالث فكانت حصته : جليقية والبرتغال. وكانت هذه القسمة سببا للخلاف بين الأخوة ، فقد طمع شانجة بضم ما أعطي لأخويه ، وتمكن من تحقيق ذلك. ولم يجد ألفونسو السادس وغرسية غير المسلمين يلجآن إليهم ، فقد احتمى ألفونسو ببني ذي النون أصحاب مملكة طليطلة ، واحتمى غرسية ببني

---

١. مسطاسة: حصن من أعمال أوريط في فحص البلوط، يلفظ اسمه بالكسر ثم السكون، وطاء، وسين أخرى، وهو غير بعيد عن المدور. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٢٦؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص١٧٨.
٢. ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٨.
٣. فحص البلوط: الفحص بفتح اوله وسكون ثانبه، وآخره صاد مهملة ناحية كبيرة من أعمال طليطلة، وهو كورة متوسطة الإتساع، تقع إلى الجنوب الغربي من وادي الحجارة، وتحيط بسهلها جبال طليطلة. ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٩؛ ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٤٩٢، ج٤، ص٢٣٦.
٤. ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢،ص١٧٩.
٥. حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٣.

عباد في إشـبيلية .[١]

وقد عاد ألفونسو السادس إلى قشتالة بعد وفاة أخيه شانجة الثاني ، وأصبح هو ملك تلك المملكة الموحدة التي تضم : قشتالة وليون وجليقية ،[٢] وقد استغل طلب القادر بن ذي النون مساعدته ضد أعدائه بني هود، ملوك سرقسطة، وبني الأفطس، ملـوك بطليوس. فقد طمع بنو هـود بالإستيلاء على طليطلة، وأرسلوا جيشا لاحتلالها، وقد دارت بين هذا الجيش بقيادة أحمد بن سليمان بن هود وبين جيش طليطلة معارك طاحنة قرب مدينة وادي الحجارة التابعة لطليطلة، وقد احتلها جيش بني هود، ثم حاصر مدينة طليطلة نفسـها، إلا أنـه فك الحصار اسـتعدادا لمواجهـة النصارى الذين ازدادت تحركاتهم المعادية، تلك التحركات التي خشي ابن هود أن يكون هدفها بلاده .[٣]

أما بنو الأفطس فقد استولوا فعلا على طليطلة في عهد القادر بن ذي النون، حيث استغلوا ثورة داخلية قامت فيها ضد حكم القادر مما اضطره إلى الهرب ومعه بعض حاشيته وأسرته، وعندما أصبحت دون حكومة تسير أعمالها طلب أهلها من المتوكل عمر بن الأفطس أن يتولى الحكم فيها، فقدم إليها، وذلك سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م.[٤] غير أن ابن الأفطس لم يطل المقام في طليطلة فقد غادرها عندما علم بأن القوات النصرانية قادمة ومعها القادر بن ذي النون لاستعادتها، وذلك في النصف الثاني من عام ٤٧٣هـ/١٠٨٠م.[٥]

وكان سـبب ثورة أهالي طليطلة ضد القـادر بن ذي النون، وطلبهم من ابن الأفطس القدوم لتولي حكمها بدلا منه، هو أن ألفونسو السادس عندما استغاث به القادر طلب منه دفع أموال طائلة مقابل إغاثته، وقد حاول القادر تأمين تلك الأموال من الأهالي الذين رفضوا دفع جزية للنصارى، ورأوا أنه لم يعد صالحا لحكمهم، فهرب إلى حصن وبـذة، ومنه وجه اسـتغاثته بألفونسـو السادس.[٦]

---

١. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٨٤٤-٨٤٥.
٢. المرجع نفسه، ج٢، ص٨٤٥.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٧٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٧٠٠- ٧٠١.
٤. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص١٣؛ حتامله، المرجع السابق، ج٢، ص٧٠٢.
٥. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣.
٦. المصدر نفسه، ص٨١- ٨٢.

ويبدو أن القادر عندما عجز عن تأمين ما طلبه الفونسو السادس من أموال، وعده بأن يفي بوعده بعد استعادة طليطلة، إذ يذكر ابن الكردبوس أن القادر عندما استنصر بألفونسو سارع إلى نجدته" فتلقاه القادر واتفقا على محاصرة طليطلة حتى يخرج عنها ابن الأفطس ويصرفها إليه، على أن يجعل جميع أموالها في يديه"[١] غير أن ألفونسو لم يكتف بالأموال، وإنما طلب أيضا أن يرهن لديه اثنين من حصون طليطلة هما: حصن سرية، وحصن قورية القريبان من الحدود القشتالية، فأعطاهما له.[٢]

وسارع الفونسو إلى شحن الحصون التي تخلى له عنها القادر أسلحة ورجالا، بهدف إضعاف الخطوط الدفاعية لطليطلة.[٣] ثم تقدم لحصار طليطلة، " فلما رأى ابن الأفطس ضيق الحال عليه وهو لا يرجو انتصارا من أحد، خرج فارا"[٤]

ودخل القادر بن ذي النون طليطلة، وكان أول ما فعله هو جمع الأموال التي كان قد وعد ألفونسو بها، ولم يكتف بما جمعه من الأهالي، وإنما أحضر أيضا جميع ما لديه من ذخائر موروثة، وقدم كل هذه الأموال لألفونسو فلم يكتف بها، وإنما طلب أيضا أن يعطيه حصن قنالش (Canales)[٥] رهنا، فأعطاه إياه.[٦]

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس** ، ص٨٣.
٢. المصدر نفسه، ص٨٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٤.
٣. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٢٨؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤١.
٤. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٣.
٥. حصن قنالش: أو قرية قنالش تقع في منطقة وادي الحجارة إلى الشمال الشرقي من طليطلة على الحدود القشتالية، وهناك أماكن أخرى في إسبانيا يطلق عليها : قنالش منها قرية تابعة لمدينة بسطة. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٣؛ مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ص٥٧٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٩٢.
٦. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٣.

وقد سارع ألفونسو عند وضع يده على حصن قنالش إلى شحنه بالمؤن والرجال مثلما فعل بالحصون السابقة التي حصل عليها من بني ذي النون،[١] وهو الأمر الذي يدل على أنه كان يستعد لخطوة عسكرية كبيرة.

وكان ألفونسو السادس بعد حصوله على ما أراد من القادر بن ذي النون، واطمئنانه إلى منعة حدوده مع المسلمين بعد تحصين ما حصل عليه من القادر، " انصرف إلى قشتالة غانما، مملوء الحقائب سالما."[٢] أما القادر فقد تغيرت نفوس مواطنيه عليه، ولم يتمكن من السيطرة عليهم، وإعادة طليطلة إلى ما كانت عليه من ولاء لبني ذي النون، وزاد الأمر سوءا بالنسبة للقادر أن الطامعين من ملوك الطوائف الآخرين ببلاده ازدادوا إصرارا على السيطرة على مملكته، وكان في مقدمة هؤلاء بنو هود في سرقسطة، وبنو عباد في إشبيلية."فلما تحقق القادر أنه لا طاقة له على الدفاع، ولا سبيل له عنهم إلى امتناع، كتب إلى الفنش(ألفونسو السادس)، وتخلى له عن طليطلة وأنظارها، ليعينه على أخذ بلنسية وأقطارها"[٣]

ولا بد من التوقف هنا عند هذه الرواية لابن الكردبوس التي توحي بأن القادر تخلى لألفونسو عن طليطلة، وكأنه إنما يقدم عاصمة مملكته ومملكة آبائه وأجداده طوعا مقابل مدينة فقدها من مدن تلك المملكة، فحقيقة الأمر غير ذلك، إذ إن مدينة طليطلة كانت ستقع في أيدي ألفونسو لا محالة، وسواء برضى القادر أم لا، فألفونسو كان قد اقترب من المدينة في خريف سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م ، ونزل في ضاحية مسورة منها تقع على منحنى نهر التاجة، وهي الضاحية أو المنية الشهيرة التي كان المأمون بن ذي النون قد بنى فيها القصور الفخمة، وأنشأ فيها البساتين اليانعة، لتكون جنته التي يخلد إليها أيام أنسه ولهوه.[٤]

---

١. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٣ـ ٨٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٨٤.

٣. المصدر نفسه، ص ٨٤.

٤. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** (تحقيق إحسان عباس)، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ق٤، ج١، ص١٢٨ـ١٣٤.

ثم ضرب ألفونسو السادس الحصار حول طليطلة، وأطال الحصار حتى دخل الشتاء، وقلت الأقوات، واشتد الأمر بأهل المدينة، مما اضطرهم إلى إرسال وفد لعل ألفونسو ينهي حصاره، إلا أن هذا الوفد عاد بقناعة هي أن الملك النصراني لن يتزحزح عن موقفه، وأنه لا بد من تسليم طليطلة،[١] وبعد نحو تسعة أشهر من الحصار تفاقم الوضع في طليطلة، وبلغت الشدة بالمحصورين أقصاها، فاضطروا إلى تسليم طليطلة وفق شروط نقلها عنان عن أقدم المؤرخين الذين كتبوا عن سقوط طليطلة هو الأب ماريانا، وهذه الشروط هي: أن يسلم القصر وأبواب المدينة والقناطر والمنية للملك ألفونسو السادس، وأن يذهب القادر ذو النون حرا إلى بلنسية وفقا لرغبته، وأن يسمح بالحرية لمن شاء أن يتبعه من المسلمين، وأن يأخذوا معهم أموالهم، وأما الذين يقيمون في المدينة فلا تؤخذ منهم أمتعتهم ولا أملاكهم، وأن يبقى المسجد الجامع بأيدي المسلمين يقيمون فيه شعائرهم، وألا تفرض عليهم ضرائب أكثر مما كانوا يدفعونه لملوكهم، وأن تجري عليهم أحكام شريعتهم، وعلى يد قضاتهم المسلمين دون غيرهم، وأن يقسم الطرفان كل وفق تقاليده على احترام هذه العهود، وأخيرا أن يقدم أهل المدينة عددا من أعيانهم كرهائن.[٢] وهناك شروط أخرى لم ترد في رواية الأب ماريانا أهمها أن يسلم أهالي طليطلة إلى ملك قشتالة سائر القلاع والحصون.[٣]

وهكذا فإن القادر بن ذي النون بعد أن تيقن من أن ألفونسو لا بد أن يحتل طليطلة استجدى مساعدته في استعادة بلنسية إلى حكمه. وكانت بلنسية بعد انهيار الدولة الأموية قد أصبحت ـ كما سبقت الإشارة ـ مملكة مستقلة على يد مجاهد العامري سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م)، ثم ملكها سنة ٤١١هـ/١٠٢١م: عبدالعزيز بن عبدالرحمن الناصر بن أبي عامر (المنصور)[٤]، وخلف المنصور على بلنسية بعد وفاته ابنه عبدالملك(الظافر) (٤٥٢هـ ـ ٤٥٧هـ/١٠٦١ـ ١٠٦٥م)[٥]، الذي تزوج ابنة المأمون يحيى بن ذي النون الذي ضم (بالمصاهرة) بلنسية إلى مملكة طليطلة. وعين المأمون

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني، دول الطوائف**، ص١١٢.
٢. المرجع نفسه، ص١١٣.
٣. المرجع نفسه، ص١١٣ـ١١٤.
٤. ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص١٩٤ـ ١٩٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص١٦٤ـ ١٦٧، ١٩٠ـ ١٩١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧.
٥. المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٨١، ٤٤٠؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٠.

واليا على بلنسية اسمه: أبو بكر محمد بن عبدالعزيز. وقد استغل هذا الوالي وفاة المأمون سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م واستقل بحكم بلنسية[١].

وكانت بين أبي بكر والمؤتمن بن هود أيضا مصاهرة، فقد تزوج أحمد المستعين ابن المؤتمن بن هود من ابنة أبي بكر الذي توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وفي السنة نفسها آل حكم بلنسية إلى ابنه أبي عمرو عثمان بن أبي بكر.[٢]

ولم يحتمل بنو ذي النون خروج بلنسية من مملكتهم على يد أبي بكر بن عبدالعزيز، ومن ثم استيلاء أعدائه بني هود عليها نتيجة للمصاهرة، ولما رأى القادر أن طليطلة خارجة من يده إلى يد أعدائه لا محالة، فلا أقل من التعويض عنها ببلنسية ليحكمها، ولذلك وقف ذلك الموقف المريب من ألفونسو، حيث توحي الأحداث بأنه تفاوض معه سرا على أن يحصل على مساعدته في استعادة بلنسية بينما كان ألفونسو يحاصر طليطلة، ويوشك أن يقتحمها.[٣] وقيل إن ألفونسو وعد القادر أيضا بأن يحصل له على دانية (Denia)[٤] وشنتمرية الشرق، وكان ألفونسو السادس يعرف جيدا أن هذه

---

١. المراكشي، **المعجب**، ص١٢١- ١٢٢؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٣٠٦.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٣٠٤؛ حتامله، المرجع السابق، ج١، ص٣٠٧.

٣. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، دول الطوائف**، ص١١٢.

٤. دانية: مدينة يلفظ اسمها بكسر النون بعد الألف، وبعد النون ياء مثناة مفتوحة، وتقع هذه المدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من بلنسية، وتعتبر ميناء رئيسا من موانيء شرق الأندلس. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٣٤؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٦؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٣١؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٢٦٣؛ مجهول، **أخبار مجموعة**، ص١٩؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٨؛ عنان، المرجع السابق، ص١٩٣، ١٩٦- ١٩٩؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٣٤- ٤٣٦.

المدن إذا خلصت للقادر فإنها ستكون في الواقع ملكا له هو، ورهن تصرفه، أما القادر فلن يكون له عليها سوى الحكم الإسمي الضعيف.[١]

لقد دخل ألفونسو السادس مدينة طليطلة محتلا بعد أن أعطى أهلها الأمان، وضمن حرياتهم، وطمأنهم بأنه سيحترم شعائرهم الدينية، وحرمة مساجدهم، وحقوقهم.[٢] وذلك في المحرم من سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م،[٣] وبذلك خرجت من يد المسلمين بعد أن حكموها منذ فتحها على يد طارق بن زياد ثلاثمائة وثمان وثمانين سنة.[٤]

وكان أول ما فعله ألفونسو السادس بعد أن استقر له الأمر في طليطلة، هو نقض ما تعهد به لأهلها، ومخالفة ما وعدهم به، فقد حول مسجدها الجامع إلى كنيسة، وكانت تلك خطوته الأولى نحو تنصير المدينة.[٥] يقول المقري:" فاستولى العدو على طليطلة، وأنزل من بها على حكمه، وخرج منها ابن ذي النون على أقبح صورة، وأفظع سيرة،...وبسط الكافر العدل على أهل المدينة، وحبب التنصر إلى عامة طغامها، فوجد المسلمون من ذلك ما لا يطاق حمله"[٦]

وعندما دخل ألفونسو السادس طليطلة غادرها القادر بن ذي النون بأهله، ومعه جماعة من الأعيان الذين آثروا مغادرة المدينة، وكان قصد القادر مدينة بلنسية، وقد عبر في طريقه إليها عددا من الحصون التي وجد أنها جميعا تقف ضده باستثناء حصن قونقة الذي ظل على ولائه له، فنزل به

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني، دول الطوائف** ، ص١١٤.
٢. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٤٤٧؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٣٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧٠٣.
٣. المقري، المصدر السابق، ج١، ص٤٤١، ج٤، ص٤٤٧؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٣٨؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٥؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧٠٣.
٤. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٨٥.
٥. المقري، **نفح الطيب** ، ج٤، ص٤٤٧؛ الحجي، المرجع السابق، ص٣٣٤.
٦. المقري، المصدر السابق، ج٤، ص٤٤٧.

القادر ومن معه بانتظار وفاء ألفونسو بوعده في استعادة بلنسية.[١]

وقد وفى ألفونسو السادس بوعده، ليس لأنه وفيا بالوعود، أو حريصا على ذلك العهد الذي قطعه على نفسه بتمكين القادر من حكم بلنسية، وإنما لأنه بعد احتلاله طليطلة استشعر في نفسه العظمة، وعزم على أن يستغل ما آلت إليه الأوضاع في الأندلس من ضعف وخور في عهد ملوك الطوائف، وخاصة أنه عندما يستولي على بلنسية فإنه سيكون الحاكم الحقيقي لها وليس القادر.[٢]

وكان يحكم بلنسية خلال الفترة التي سقطت فيها طليطلة: القاضي عثمان بن أبي بكر،[٣] وقد أرسل ألفونسو فرقة قوية من الجند النصارى للإستيلاء عليها، وكانت هذه الفرقة بقيادة مغامر نصراني شجاع يدعى السيد القمبيطور(El Campeador)[٤] وقيل بل بقيادة ابن أخيه البرهانس (Alvar Haenz)[٥] وبينما كانت هذه الفرقة في طريقها إلى بلنسية بحث أهلها الأمر، وانتهوا إلى قبول دعوى القادر باعتباره صاحب الولاية الشرعية عليها، وذلك خشية أن تتعرض المدينة لعبث النصارى القشتاليين وتخريبهم.[٦]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني، دول الطوائف**، ص١١٤ـ ١١٥.؛ السحيباني، **الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم**، ص٢١٠ـ ٢١١.
٢. حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٥.
٣. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٨.
٤. السيد القمبيطور: فارس قشتالي اسمه الأصلي رودريغو أو روي دياث دي بيبار، والسيد لقب أطلقه عليه المسلمون عندما كان يخدم بينهم ويحارب معهم، وكلمة كمبيادور لقب معناه : المحارب الباسل، وقد أطلق عليه لشجاعته وجرأته. وكان السيد مغامرا يبحث وراء طالعه، ويخرج على كل اعتبار ديني أو قومي، إذ كان يؤجر نفسه ومن معه لمن يدفع أكثر، أو يحارب في الجبهة التي يتوقع أن يحصل فيها على غنم أكبر، ولذلك كان يحارب تارة مع المسلمين وتارة مع النصارى، ويندس في كل ثورة تنشب، أو حرب تضطرم هنا أو هناك طلبا للغنائم والسلطان. عنان، محمد عبدالله، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام**، ط٥، حسين عنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٤٧ـ ٢٤٨.
٥. عنان، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام** ، ص٢٤٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الآندلسية**، ج١، ص٢٠٧.
٦. ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٨؛عنان، المرجع السابق، ص٢٥٢.

ودخل القادر بن ذي النون بلنسية تحت حراب القشتاليين وبحمايتهم، بعد خلع حاكمها القاضي عثمان بن أبي بكر،وذلك سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م[١] وقد بدأ القادر عهده في بلنسية بفرض الضرائب الباهظة إرضاء لأسياده النصارى، وبدأت معاناة أهلها، فغادرها كثيرون من أعيانها إلى غيرها، ثم مالبث أهلها أن ثاروا على القادر وقتلوه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.[٢] وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

والجدير بالذكر أن سقوط طليطلة وكثير من حصونها في أيدي النصارى أدى إلى جعل قلعة رباح ذات أهمية عسكرية خاصة في الدفاع عن الأندلس،وخاصة أنها أصبحت تشكل مع طلبيرة الحد الفاصل بين أراضي المسلمين وأراضي النصارى،[٣] وبسبب هذه الأهمية اتجهت إليها أنظار النصارى مثلما اتجهت أنظار المدافعين عن الأندلس في العهود التالية إلى السيطرة عليها وتحصينها، لتظل شوكة حادة في خاصرة أعداء المسلمين كما سيأتي في الفصل التالي من هذه الدراسة.

---

١. ابن الكردبوس **تاريخ الأندلس**، ص٨٦- ٨٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٤٨٦.

٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤١؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٣٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الآندلسية**، ج١، ص٢٠٧.

٣. أنظر آثار سقوط طليطلة على الأندلس: العمايرة، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان** ، ص١٢٨ وما بعدها؛ وانظر: السامرائي، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية**، ص٩٧-٩٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٧.

الفصـــل الرابع

تاريخ قلعة رباح في عهد المرابطين والموحدين

أصبحت قلعة رباح بعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م قاصية بلاد المسلمين،[١] وهي بلاد ازدادت تفسخا وضعفا أمام ملك قشتالة ألفونسو السادس الذي ما إن احتل طليطلة حتى شمخ بأنفه، ورأى أن زمام الأندلس كلها أصبح في كفه، ولن يطول الوقت حتى يحتلها كلها، وأخذ بعنجهية الغالب يرسل رسله إلى ملوك الطوائف يطلب منهم تسليمه القلاع والحصون، وتقديم ما يطلبه من أموال، وإلا فإن العواقب ستكون وخيمة.[٢]

وبلغ بعض ملوك الطوائف درجة من الضعف والهوان جعلتهم يرسلون رسلهم إلى ألفونسو يهنئونه باستيلائه على طليطلة، ويحملون إليه الهدايا تقربا، لعله يعطف عليهم فيبقيهم ولاة وحكاما على مناطقهم حتى وإن حكموها لحسابه.[٣]

وفي الوقت الذي رضخ فيه كثيرون من ملوك الطوائف لمطالب ألفونسو السادس، رفض قليلون منهم هذه المطالب، وأبى أن يستسلم لهذا العدو المتغطرس، ومن هؤلاء المتوكل ابن الأفطس، صاحب بطليوس، والمعتمد ابن عباد، صاحب إشبيلية، فقد رأى كل منهما أن الرجوع إلى الحق أحق، وهذا الحق الذي أدركا ضرورة الرجوع إليه هو ضرورة الدفاع عن بلاد المسلمين، وحمايتها من أعدائها النصارى الذين تمادوا كثيرا في أطماعهم وعدوانهم.[٤]

لقد كتب المتوكل ابن الأفطس إلى ألفونسو السادس جوابا على رسالة تهديد ووعيد قائلا:" وصل إلينا مــن عظيم الــروم كتاب مـدع في المقادير، وأحكام العـزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويلدد بجنوده الوافرة وأحـواله المتظافرة، ولو علـم أن لله جنودا أعـز بهم كلمة الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون، بالتقوى يعرفون، وفي التوبة يتضـرعون..ولو اتفقت كلمتنا مع سـائرنا من الأمـلاك علمـت أي صـاب أذقنـاك

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، دول الطوائف**، ص٣٤٩.
٢. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٨٩.
٣. المصدر نفسه، ص٨٨.

٤. المصدر نفسه، ص٨٩.

كما كانت آباؤك تتجرعه، فلم نزل نذيقها من الحمام ضروب الآلام شؤما تراه وتسمعه.."[١]

ويلاحظ أن المتوكل في هذه الرسالة التي تنم عن الشجاعة والإباء إنما أدرك ما كان يجب أن يدركه هو وغيره من ملوك الطوائف منذ زمن، وهو أن اتفاق كلمة المسلمين بدل تفرقهم وتخاذلهم وتربص بعضهم ببعض طمعا بالملك والسلطان، إنما هو الذي سيحقق لهم العزة والنصر. ومن يتعمق في دراسة سيرة المتوكل ابن الأفطس، يجد أن فترة حكمه لبطليوس شهدت بعض المحاولات لتوحيد الجهود، من أجل التصدي لأطماع ألفونسو السادس، وقد قام بهذه الجهود في عهده القاضي سليمان بن خلف المعروف بأبي الوليد الباجي، وليس من شك في أن المتوكل كلفه القيام بتلك الجهود. فقد ذكر ابن الأبار أن المتوكل انتدب القاضي أبا الوليد الباجي للتطواف على ملوك الطوائف لوعظهم، ولم شعثهم من أجل مدافعة العدو، فطاف عليهم واحدا واحدا، وكانوا يصغون إلى وعظه.[٢]

وتدل وقائع الأحداث على أن ملوك الطوائف وإن أصغوا إلى دعوة القاضي أبي الوليد الباجي، إلا أنهم لم يستجيبوا لهذه الدعوة، باستثناء المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، فقد أدرك هو الآخر بعد سقوط طليطلة المخاطر التي تهدد الأندلس، فاستجاب لدعوة الباجي، واتفق مع المتوكل على طلب النجدة من المسلمين القادرين على نجدتهم من خارج الأندلس، وكان المسلمون الأقرب إليهم هم المرابطون.[٣]

---

١. مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تونس، ١٣٢٩هـ ، ص٢٠- ٢١.

٢. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٩٨.

٣. المرابطون: ينتمي المرابطون إلى قبيلة لمتونة، إحدى قبائل صنهاجة من البربر. وكان اللمتونيون قد انتشروا في بداية عهدهم في الصحراء بين المغرب والسودان، وقد بدأت دولتهم على يد رجل مؤثر للدين، من قبيلة أخرى من قبائل صنهاجة هي قبيلة جدالة، وهو يحيى بن إبراهيم الجدالي، فقد حج إلى بيت الله الحرام سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م، وأثناء عودته إلى بلاده مر بالقيروان، وطلب من أحد فقهائها أن يحضر معه إلى بلاده ليفقههم في الدين، وهو الفقيه عبدالله بن ياسين الذي سار معه إلى قبيلة جدالة، وبعد مدة خرج برفقة يحيى إلى قبيلة لمتونة حيث استقبله رئيسها يحيى بن عمر اللمتوني، وأخذ يدعو رجال القبيلة إلى طاعة الله، ويفقههم في الدين، فاستجاب لدعوته في بدايتها عدد محدود، غير أن هذا العدد ازداد بمرور الزمن. وما لبث الجدالي واللمتوني وابن ياسين أن اتفقوا على قتال مخالفيهم، وكانت تلك الخطوة الأولى نحو إقامة دولة المرابطين. وبعد وفاة يحيى بن ابراهيم الجدالي عقد المرابطون راية الجهاد ليحيى بن عمر اللمتوني، الذي أخذ يغزو المناطق =

ويبدو أن المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس وبعض الكتاب والوزراء اتفقوا فيما بينهم على إرسال وفد إلى المغرب يدعو أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لنجدتهم.[١] وكان يوسف بن تاشفين قد استعد فعلا من أجل العبور إلى الأندلس بناء على اتصالات سابقة بينه وبين أهل الأندلس الذين كتب بعضهم إليه يعبرون عن مخاوفهم من أن يستولي النصارى على بلادهم.[٢] فقد استنفر قواته للجهاد، وأرسل، بينما كان في ذلك الوقت في سبته، إلى مراكش بطلب من بقي من الجيوش المرابطية في سبته، فأقبلت إليه تباعا.[٣]

وقد بدأ عبور القوات المرابطية إلى الأندلس في منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م،[٤] ليبدأ فيها عهد جديد استظلت به قلعة رباح وغيرها من مدن الأندلس وثغورها.

= المختلفة لتطهيرها من المنكرات. وتوفي اللمتوني سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، فتولى أمر الجهاد بعده أخوه أبو بكر بن عمر اللمتوني، الذي أصبح بعد وفاة عبدالله بن ياسين سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م وحده في قيادة المرابطين، وقد أعد جيشا كبيرا سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م ولى ابن عمه يوسف بن تاشفين قيادته، ووجهه لقتال المخالفين من رؤساء القبائل في المغرب، بينما قاد أبو بكر بن عمر جيوشا أخرى لقتال مخالفين آخرين في عمق الصحراء. وقد تمكن يوسف بن تاشفين من تطويع أكثر البلاد في المغرب، وأمر ببناء مدينة مراكش وتحصينها وذلك سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م.كما حارب القبائل التي ارتدت عن دعوة المرابطين، وقتل كثيرين، وغنم غنائم وافرة، ثم أخذ يدون الدواوين ويرتب الأجناد. وبعد أن قوي أمره، وعظمت شوكته سلم ابو بكر بن عمر الأمر إليه، وبذلك بدأ عهد المرابطين الفعلي. وقد اتخذ يوسف بن تاشفين لقب (أمير المسلمين). وقد استمر في بذل الجهود العسكرية لفتح ما بقي من أقطار المغرب، ففتح مدن: فاس، وتلمسان، وتونس، وأصبحت دولة المرابطين في عهده واسعة الأرجاء، حيث امتدت من البحر المتوسط شمالا حتى السودان جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا حتى تونس شرقا. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٣وما بعدها؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٧- ٢٩؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٤، ص٢٥٣- ٢٥٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٧٤-٧٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٢٨-٥٣٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية دولة الموحدين**، ص٣٦وما بعدها.

١. ابن بسام، **الذخيرة**، ق٢، ج٢، ص٦٥٣؛ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٢٧؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٣٩٥.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١١٢-١١٤.

٣. المصدر نفسه، ج٤، ص١١٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢.

٤. الناصري، **الاستقصا** ، ج٢، ص٣٩- ٤١؛ المراكشي، **المعجب**، ص٧٠.

قلعة رباح في عهد المرابطين

لقد كانت الجزيرة الخضراء أول منازل يوسف بن تاشفين في الأندلس،[١] وفيها تجمعت جيوش المرابطين، وكان من بين من استقبل الأمير المرابطي وجيوشه فيها المعتمد بن عباد.[٢]

وكان ألفونسو السادس في تلك الأثناء يحاصر سرقسطة، ويستعد لاقتحامها، غير أن أنباء التحركات الإسلامية دفعته إلى تغيير خططه، فقد فك الحصار، وأخذ يحشد الجيوش من بلاده ، ومن بعض الأقطار الأوروبية لمواجهة المسلمين، وقد تجمعت لديه قوات هائلة.[٣]

يقول الحميري:" ولما تحقق ابن فرذلند (ألفونسو السادس) جواز يوسف، استنفر جميع أهل بلاده وما يليها، وما وراءها، ورفع القسيسون والرهبان والأساقفة صلبانهم، ونشروا أناجيلهم، فاجتمع له من الجلالقة والإفرنجة وما يليهم ما لا يحصى عدده؛ وجعل يصغي على أنباء المسلمين متغيظا على ابن عباد جافيا ذلك عليه، متوعدا له. وجواسيس كل فريق مترددون بين الجميع".[٤] ويذكر ابن الكردبوس أن ألفونسو السادس " أقبلت عليه العساكر من أقصى الرومية حتى ملأوا البطاح والأفضية، فأعجب بنفسه وقد وثق بكثرة من اجتمع إليه من أبناء جنسه"[٥]

ويدل ما ذكره الحميري على أن ألفونسو السادس أعد العدة لحرب صليبية واسعة النطاق ضد المسلمين، وقد كانت المعركة التي حشد لها معركة مصير بين بقاء الإسلام في الأندلس أو زواله برجحان كفة النصارى.[٦]

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٣٩- ٤١؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١١٥، المراكشي، **المعجب** ، ص٧٠.
٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢.
٣. المراكشي، المصدر السابق، ص٧١؛ الناصري، المصدر السابق،ج٢، ص٤٢؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١١٥؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٣٨.
٤. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٨٨.
٥. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٢.
٦. سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج٢، ص٥٨.

وزحف جيش المسلمين بعد استكمال استعداده باتجاه بطليوس، وعسكر في موضع يقع على بعد اثني عشر كيلومترا إلى الشمال الشرقي منها يسمى الزلاقة (Sagrajas:Al- Zallaga)[١] ثم وصل ألفونسو السادس على رأس الحشود الصليبية إلى موضع يبعد عن الزلاقة نحو ثمانية عشر ميلا حيث عسكرت هي الأخرى، وذلك في رمضان سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م.[٢]

وتشير المصادر إلى أن جيش المسلمين كان في عشرين ألفا، وجيوش النصارى في خمسين ألفا[٣] وقد ذكر الحميري أن " عدة المسلمين كانت أقل من عدة المشركين" باتفاق الجميع.[٤]

وقد بدأت معركة الزلاقة فجر يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، حيث بادر ألفونسو السادس إلى الهجوم على قوات المعتمد بن عباد، فقد " برز بالمختار من أنجاد جموعه على باب دربه، وترك بقية جموعه خلفه، وقال حين نظر إلى ما اختاره من جموعه: بهؤلاء أقاتل الجن والإنس

---

١. الزلاقة : يلفظ اسمها بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وقاف. وأصل الكلمة من الفعل الثلاثي: زلق، والزلاقة: المكان الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه. والزلاقة: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٦. وقد وصفت سحر سالم ميدان معركة الزلاقة فذكرت أنها دارت عند بطليوس في القسم الشمالي من أراضيها، حيث يصل نهر وادي يانه طاميا فياضا متبعا مجراه إلى بطليوس، ثم ينحني غربا ثم جنوبا ليلتقي برافده نهر خيفورا (Gevora) الذي يوازي نهر جيريرو (Guerrero) وبينهما نحو كيلومترين. ويلتحم نهر جيريرو مع أحد فرعي وادي يانه على مسافة سبعة كيلومترات من نقطة التقائه بنهر خيفورا إلى الشمال الشرقي من بطليوس، وتبدو المنطقة التي تخترقها هذه الروافد على شكل فحص فيه سهل يمتد من جهة نهر خيفورا يسمى (ساجراخاس) يبعد عن بطليوس سبعة كيلومترات، ويرتفع نحو مائتي متر عن سطح البحر. ويتألف الفحص من سهول فيضية، أما بقية الأراضي فطينية. سحر سالم، **تاريخ بطليوس الإسلامية**، ج٢، ص٩٧-٩٩؛ العبادي ، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ص٥١٩.
٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٤٣-٤٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٧٢.
٣. المراكشي، المصدر السابق ، ص٧١؛ ابن الأثير، المصدر السابق ، ج٨، ص١٤٢.
٤. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص٨٨.

وملائكة السماء **!!"**[١] وكاد ألفونسو أن يلحق الهزيمة بتلك القوات، لولا قيام جنود يوسف بن تاشفين بالإغارة على معسكر النصارى وإضرام النار فيه. ثم احتدمت المعركة بين الطرفين، ومكن الله المسلمين من أعدائهم الذين قتل كثيرون منهم، وولى من بقي منهم حيا الأدبار.[٢]

وقد ذكر ابن الكردبوس أن يوسف بن تاشفين " قصد بجيشه محلة العدو فتغلبها، واستأصلها وانتهبها، وقتل فيها نحو عشرة آلاف بين راجل وفارس...ومضى على وجهه في أثر ألفنش وقد تفرق له في اتباع الإسلام أكثر الجيش، فوضعوا السيوف في ظهورهم، والأسل في نحورهم، فانهزموا وولوا مدبرين، خاسئين فارين مدحورين.**"**[٣]

وقد اغتبطت نفوس أهل الأندلس بهذا الإنتصار في معركة الزلاقة، ورأوا في يوسف بن تاشفين**"**مخلص الأندلس، ومنقذ الأمة الإسلامية**"**[٤] وكان ابن تاشفين بعد هذا الإنتصار قد عاد إلى المغرب، بعد أن ترك في الأندلس جيشا مرابطيا بقيادة سير بن أبي بكر لشن الغارات على النصارى.[٥]

والحقيقة أن انتصار المسلمين في معركة الزلاقة لم يكن ناجزا، بمعنى أن القضاء على خطر النصارى لم يكن تاما، وخاصة أن ملوك الطوائف لم يستغلوا هذا النصر بمطاردة النصارى وإنهاكهم، وإخراجهم من المدن التي احتلوها مثل طليطلة، وبدلا من ذلك انصرفوا إلى لهوهم وملذاتهم، وتركوا القائد المرابطي سير بن أبي بكر في الميدان وحده يشن الغارات، ويحاول التضييق على النصارى.[٦]

---

١. الحميري، **صفة جزيرة الأندلس** ، ص٨٨.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١١٦- ١١٧؛ الناصري، **الاستقصا** ، ج٢، ص٤٤- ٤٦؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٢؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ج٣، ص١٣٧.
٣. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٤.
٤. دوزي، المرجع السابق ، ج٣، ص١٣٧.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٤، ص١١٨؛ المراكشي، **المعجب**، ص٧٣.
٦. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ٤٦- ٤٧؛ دوزي، المرجع السابق، ج٣، ص١٣٧؛حتامله، **الأندلس**، ص٥٤١.

ومن جهته نهض ألفونسو من كبوته، ووجه أنظاره نحو شرقي الأندلس حيث توجد إمارات ومدن إسلامية ضعيفة المقاومة، فبنى هناك حصنا منيعا على قمة جبل شاهق، وشحنه بنحو ثلاثة عشر ألفا من الفرسان والرجال والرماة، وزوده بالمؤن والمعدات الحربية، وأمر هذه القوات بشن الغارات المتلاحقة على أراضي المسلمين.(١)

وكانت القوات النصرانية تنطلق من الحصن المذكور، وهو حصن لييط (Aledo)(٢) وتهاجم مدن: بلنسية، ومرسية (Murcia) (٣)، ولورقة (Lorca)(٤)، وألمرية، وأظهرت تلك القوات تفوقا على القوات الإسلامية، بل نكلت بقوات المعتمد بن عباد، وعجز عن التصدي لها، وكان السيد القمبيطور يقود بعض الفرق النصرانية، ويصول ويجول مدعيا أنه إنما يدافع عن القادر بن ذي النون

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤١؛ الناصري، **الاستقصا** ، ج٢، ص٤٧؛ دوزي، **المسلمون في الأندلس** ، ص١٣٧.

٢. لييط: حصن يقع بين مدينتي مرسية ولورقة، ويتحكم من موقعه في الطرق المؤدية إلى مدن: مرسية ولورقة وألمرية، وهو حصن ضخم مربع الشكل، بناه ألفونسو السادس بعد هزيمته في معركة الزلاقة، وأصبح منطلق الغارات على بلنسية التي كانت خاضعة للقادر بن ذي النون، ولورقة ومرسية اللتين كانتا خاضعتين للمعتمد بن عباد. انظر: ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص٩٨؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤١؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص٩٦؛ نصرالله، سعدون عباس، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٠٤؛ دوزي، المرجع السابق، ص١٣٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٩٧٩- ٩٨٠.

٣. مرسية: يلفظ اسمها بضم الميم وسكون الراء المهملة وكسر السين وياء مفتوحة خفيفة وهاء. وهي مدينة تقع في شرقي الأندلس على بعد أربعة وستين كيلومترا عن البحر الأبيض المتوسط. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٠٧؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص٩٧؛ ابن سعيد، **المغرب**، ح٢، ص ٢٤٥ ، ٢٥٠؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٢؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧- ٢٠٨ ؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني، دول الطوائف**، ص١٨١- ١٨٢.

٤. لورقة: تلفظ بضم اللام وسكون الراء، وتعني: الدرع الحصين، وهي مدينة تقع في شرقي الأندلس، على بعد ستين كيلومترا من مرسية، ويمر بها نهر شقورة الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط. انظر: العذري، المصدر السابق، ص١، ١٢٩؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٧١- ١٧٢؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١٠١؛ ابن خلدون، **تاريخ**، ج٤، ص٢٠٧؛ عنان، المرجع السابق، ص١٦٤؛ حتامله، المرجع السابق، ص٩٦٤.

الذي خصص له مرتبا شهريا مبلغ عشرة آلاف دينار، وبهذه الحجة عاث فسادا وتخريبا في نواحي المنطقة.[١]

وأدرك المسلمـون في الأندلس أمام هذا الواقع أنهم لن يتمكنوا بمفـردهم من الدفاع عن أنفسـهم، فوفد كثيرون من فقهائهم وأشرافهم على يوسف بن تاشفين يرجونه نجدتهم، ووفد عليه المعتمد بن عباد نفسه، فوعد بالجواز إلى الأندلس لنجدتهم، وقد عاد إليها فعلا سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وكان هدفه وهدف المسلمين في الأندلس إسقاط حصن لييط الذي دوخهم.[٢]

وقد حاصر يوسف بن تاشفين ورؤساء الأندلس الذين أتوا لدعمه حصن لييط، وشددوا عليه الحصار، وقتلوا كثيرين ممن فيه، ومع ذلك لم يتمكنوا من اقتحامه، وبعد شهر من الحصار انسحب ابن تاشفين عائدا إلى المغرب، لأسباب مجهولة، قد يكون بعضها ما أشار إليه ابن عذاري من أن يوسف نقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أغضبه منهم.[٣] أما حصن لييط فقد فتك الجوع بأكثر رجاله، وقد وصله ألفونسو فلم يجد فيه سوى عدد قليل، فآثر أن يحرقه ويدمره تدميرا بعد أن أخرج من فيه، وكانوا نحو مائة منهكين.[٤]

وكان يوسف بن تاشفين بعد عودته إلى المغرب قد توالت عليه الأنباء بأن بعض ملوك الطوائف يقولون بحقه كلاما موجعا، وخاصة عبدالله بن بلقين ، صاحب غرناطة، فجاز إلى لأندلس للمرة الثالثة سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، ولكن دون طلب من أهلها هذه المرة، وتوجه إلى غرناطة، واستولى عليها، ثم على مالقة، التي كان يحكمها تميم بن بلقين، وعاد إلى المغرب حاملا معه الأخوين عبدالله وتميم اللذين ظلا هناك إلى أن ماتا. [٥]

---

١. دوزي، **المسلمون في الأندلس** ،ج٢، ص١٣٧- ١٣٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤١.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤١- ١٤٢؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٥١- ٥٢؛ دوزي، المرجع السابق، ص١٣٨؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٢.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٣.
٤. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢.
٥. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٤٣؛ حتامله، المرجع السابق، ص٥٤٤.

وأعطى يوسف بن تاشفين في جوازه الثالث إلى الأندلس انطباعا بأنه لن يترك ملوك الطوائف وشأنهم كما في المرات السابقة، فقد شعروا أن نهايتهم أصبحت وشيكة، وخاصة أنه أعرض عن المعتمد بن عباد والمتوكل بن الأفطس عندما قدما إليه مهنئين بملك غرناطة بعد استيلائه عليها من عبدالله بن بلقين[١] وقد حدث ذلك فعلا، فبعد وصول ابن تاشفين إلى المغرب، ولى قائده سير بن أبي بكر على الأندلس، وفوض إليه جميع أمورها،[٢] وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م أصدر أوامره إلى قواده في الأندلس بالإستيلاء عليها.[٣]

ولم يكتف يوسف بن تاشفين بالجيوش المرابطية التي تركها في الأندلس، وإنما أرسل أيضا جيوشا من المغرب، وأوكل لكل منها مهمة محددة،[٤] وقد ملكت هذه الجيوش قرطبة بقيادة القائد المرابطي بطي بن إسماعيل ثم استولى هذا القائد على أبدة(Ubeda)(٥) وبياسة (Baeza)[٦] وشقورة(Segura)[٧] ، ثم على إشبيلية وذلك سنة٤٨٤هـ/ ١٠٩١م. [٨]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤٣ـ ١٤٤؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٥٣.
٢. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣.
٣. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٤.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٤؛ الناصري، المصدر السابق ، ج٢، ص٥٣ـ ٥٤.
٥. أبدة: يلفظ اسمها بالضم ثم الفتح والتشديد، وتلفظ أيضا بالذال المعجمة، وهي مدينة صغيرة تبعد عن مدينة بياسة نحو سبعة أميال إلى الشمال الشرقي منها. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٦٤؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٦؛ العذري، **نصوص عن الأندلس**، ص١٧٠الزهري، **الجعرافية**، ص٩٨؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص١٤٢؛حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص١٣ـ ١٥.
٦. بياسة: يلفظ اسمها بياء مشددة، وهي مدينة تقع على نهر الوادي الكبير، وتعتبر من أعمال جيان، وتبعد عنها نحو عشرين ميلا، بينما تبعد عن أبدة إلى الشمال الشرقي منها سبعة أميال. انظر: ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٥١٨؛ حتامله، **أيبيريا**، ص٨٠ـ ٨١؛ البكري، **جغرافية الأندلس وأوروبا**، ص٦٤؛ الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٥، ص٥٦٩.
٧. شقورة: يلفظ اسمها بضم الشين المعجمة والقاف، وهي مدينة من أعمال جيان، وتقع على رأس جبل عال. ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٧٤؛ الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠٥الزهري، المصدر السابق ، ص٩٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٥٨.
٨. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٥٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٧٦؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٥؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني ـ دول الطوائف**، ص٣٤٩.

ولم يفت القائد بطي بن أسماعيل أهمية قلعة رباح، كمدينة حدودية لها أهميتها العسكرية في مقارعة النصارى، فقد وجه إليها حملة من ألف فارس تمكنت من الإستيلاء عليها، وذلك في السنة نفسها التي استولى فيها المرابطون على قرطبة(٤٨٤هـ/ ١٠٩١م).[١]

وقد تمكن المرابطون من الإستيلاء على الأندلس كلها، وكان آخر ما استولوا عليه سرقسطة وذلك سنة ٥٠٣هـ/١٠٩١م.[٢] أما ملوك الطوائف فقد انتهى أمرهم، حيث قتل بعضهم ونفي آخرون إلى المغرب.[٣]

وتفرغ المرابطون لمقارعة النصارى وحماية ما تبقى من الآندلس، واستعادة ما احتلوه منها، وخاصة مدينة بلنسية التي سقطت سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، حيث احتلها السيد القمبيطور، ونكل بأهلها.[٤] وقد تمكنوا من استعادتها سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، وطهروها من رجس النصارى.[٥]

وظل يوسف بن تاشفين يوجه جيوشه للجهاد ضد النصارى، وكان يقود بنفسه بعض هذه الجيوش، وقد اخترق أراضي قشتالة في إحدى غزواته، وألحق هزيمة فادحة بألفونسو السادس قرب طليطلة. وليس من شك في أن بعض المعارك بين المسلمين والنصاري كانت تدور رحاها على أراضي قلعة رباح، لقربها من الأراضي القشتالية.[٦]

---

١. الناصري، **الاستقصا** ، ج٢، ص، ٥٤؛ ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، ص١٠٠؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٧.

٢. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٥٥؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٤٤- ١٤٥؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص١٥٧.

٣. حتامله، **الأندلس**، ص٥٤٦.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٤، ص١٤٨.

٥. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٠٩- ١١٠؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٤، ص٤٢.

٦. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٤، ص٤٤.

وقد توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[١]، وولي بعده ابنه علي، وفي عهده ازداد طمع ألفونسو بالأراضي الأندلسية، غير أن الأمير المرابطي الجديد تصدى لأطماعه، إذ وجه جيشا لحربه بقيادة أخيه تميم، والتقى الطرفان في معركة كبيرة قرب أقليش إلى الشرق من طليطلة، وقد لحقت بألفونسو السادس هزيمة ساحقة في هذه المعركة التي قتل فيها ابنه سانشو، وما لبث ألفونسو أن توفي حسرة عليه، وذلك سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م.[٢]

وقد قاد علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م حملة كبيرة ضد النصارى في مناطق طليطلة، وفتح حصونا كثيرة من أعمالها، كما فتح بعض المدن مثل وادي الحجارة، وطلبيرة، ثم حاصر طليطلة، وانتسف ما حولها. وقد ساهمت قلعة رباح بما قدمته من رجال وتموين كقاعدة عسكرية متقدمة في هذه الفتوحات والمعارك.[٣]

وعبر علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة أخرى سنة ٥١١هـ/ ١١٧م، وحقق انتصارات عديدة، [٤] وما لبث النصارى أن أخذوا يعدون العدة لمواجهة خطر المسلمين إذ حشدوا جيوشا جرارة من قشتالة وأرغون، ومن فرنسا أيضا، وتقدموا إلى سرقسطة بقيادة ملك أرغون ألفونسو المحارب، وحاصروها وتمكنوا من احتلالها سنة ٥١٢هـ/١١١٨م.[٥]

---

١. ابن عذاري، **البيان المغرب** ، ج٤، ص٤٤؛ ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس** ، ص١١٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٨، ص٢٣٦.

٢. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١١٤؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٦٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٤٨- ٤٩؛ مؤنس، حسين، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م**، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص١٩- ٢٠؛ العبادي، أحمد مختار، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ط١، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص١٢٠.

٣. الناصري، المصدر السابق ا، ج٢، ص٦٥؛ ابن عذاري، المصدر السابق ، ج٤، ص٥٢؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق ، ص١١٦- ١١٧؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥١.

٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص٦٤.

٥. ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص١١٧- ١٢٠؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٩٧- ٩٨؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦- ٦٧.

وعلى الرغم من أن سقوط سرقسطة كان ضربة قاصمة للمرابطين في الأندلس إلا أنهم لم يتخلوا عن الجهاد فيها، فقد ولى علي بن يوسف بن تاشفين ابنه تاشفين عليها، وقاد تاشفين حملة ضد النصارى، والتقى معهم في معركة قرب قلعة رباح سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م حيث ردهم على أعقابهم، مع أنهم كانوا في جيش ضخم.(١)

ويبدو أن المعارك والحروب التي نشبت بين المسلمين والنصارى في عهد المرابطين بالقرب من قلعة رباح قد أنهكت المدينة، وتسببت في هدم بعض أسوارها، ووقوع بعض رجالها في الأسر، يدل على ذلك ما ترتب على قيام النصارى بغزو الأراضي الأندلسية سنة ٥٢٦هـ/١١٣٢م، ففي تلك السنة انحدرت القوات القشتالية من طليطلة جنوبا مستهدفة قرطبة، فاستغاث أهلها بالأمير تاشفين بن علي، فخرج لقتالهم، والتقى معهم في معركة عنيفة بالقرب من قلعة رباح كانت نتيجتها هزيمة القشتاليين، ومقتل عدد كبير منهم، وأسر قائدهم وعدد من ضباطه، كما غنم المسلمون مقادير وافرة من الأسلحة والدواب والثياب، وقد حمل الأمير تاشفين الأسرى والغنائم إلى قلعة رباح ، فأصلح حالها، وحصن أسوارها، وترك الأسرى لدى أهلها ليفتدوا بهم أسراهم، ثم عاد إلى غرناطة.(٢)

وقد ذكر ابن عذاري ما يفيد أن الأمير تاشفين بن علي قد وظف نتائج معركته مع القشتاليين لخدمة قلعة رباح وأهلها، حيث ذكر أنه بعد انتصاره في تلك المعركة نهض بالأسرى إلى قلعة رباح، " لقربها من المعترك، فألفى أحوالهم مختلة، وأمورهم معتلة، فأصلح ما فسد، وسد ما اختل، وترك الأسرى عندهم ليفادوا بها من في دار الحرب من أسراهم.."(٣)

وكانت مدينة قلعة رباح بعد أن ازداد ضغط النصارى على المناطق الحدودية في أواخر عهد المرابطين تشكل ملاذا آمنا يلجأ إليه من يضطر من المسلمين إلى الإنسحاب من الحصون والمواقع

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين**، ص١٣٢- ١٣٣.
٢. المرجع نفسه، ص١٣٤- ١٣٥.
٣. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص٨٥- ٨٦.

القريبة، فقد حاصر القشتاليون سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م حصنا إسلاميا يسمى حصن أرنبة إلى الشرق من قرطبة، وشددوا عليه، وقطعوا عن حاميته الأقوات، فاضطرت إلى تسليمه، والإنسحاب إلى قلعة رباح.[١]

وشهدت قلعة رباح في أواخر عهد المرابطين حدثا بطوليا مهما، فقد علقت على أبراجها رؤوس عدد من أكابر النصارى ليكونوا عبرة لغيرهم، وذلك انتقاما لهزيمة مني بها المسلمون في إحدى مواقعهم، وقد بدأت قصة هذا الحدث سنة ٥٣٤هـ/١١٤٠م، ففيها هاجم المسلمون قلعة موره (Maura)[٢] واستولوا عليها، وكان يحكم القلعة قائد نصراني اسمه مونيو ألفونسيز، وقد اتهمه النصارى بأنه أهمل في الدفاع عنها، مما عرض قشتالة لغارات المسلمين.[٣]

وقام مونيو ألفونسيز سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م بعملية عسكرية ثأرا لهزيمته في قلعة موره، حيث هاجم أراضي قرطبة، وانتسف المروج الخصبة الواقعة على ضفاف نهر الوادي الكبير بالقرب منها، وجمع الكثير من الغنائم، واعترضه واليا قرطبة وإشبيلية اللذان كانا يقودان قوة كبيرة من المسلمين، إلا أن ألفونسيز تغلب عليهما، واستشهدا في ساحة المعركة مع عدد كبير من المسلمين. وعاد القائد النصراني إلى طليطلة ومعه رأسي القائدين المسلمين مرفوعين عاليا على رؤوس الرماح، فاستقبل استقبال الفاتحين، وأقيمت الإحتفالات بهذا النصر.[٤]

ويورد عنان رواية أخرى للواقعة، حيث يذكر أن حملة نصرانية بقيادة مارتن فرنانديث ونونيو ألفونسو هاجمت أراضي المسلمين، وكان هدفها الحيلولة دون قيام المسلمين بتحصين قلعة موره التي استولوا عليها، فخرج لقتالهم والي قلعة رباح الذي تسميه الرواية النصرانية (فرج)، واشتبك مع القشتاليين وهزمهم، وجرح فرنانديث إلا أنه تمكن من الفرار، أما نونيو فقد قتل فوق تل قريب من

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر المرابطين** ، ص١٥١.
٢. موره: قلعة أو حصن من أعمال طليطلة، يلفظ اسمه بالضم ثم السكون، وفتح الراء. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٢١؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص١٠٧٦.
٣. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج١، ص١٩٢.
٤. المرجع نفسه، ص١٩٢؛ عنان، المرجع السابق، ص٥٠٧.

قلعة رباح يسمى (صخرة الوعل)، فاحتز رأسه، وقطعت ذراعه اليمنى، ورجله اليمنى، وأرسلتا إلى قرطبة وإشبيلية، لتعرضا على أرملتي الواليين القتيلين تعزية لهما، ثم أرسلتا بعد ذلك إلى أمير المسلمين تاشفين بن علي في المغرب.[١]

أما أشباخ فيذكر في هذه الحادثة المتعلقة بقلعة رباح أن مونيو ألفونسيز هو الذي فعل بالقائدين المسلمين ما فعل، وأن رأسيهما علقا أمام القصر الملكي في طليطلة، فأثارت هذه الهزيمة في قلوب المسلمين الجزع، ولما وصلت أنباؤها إلى أمير المسلمين في المغرب استشاط سخطا وغضبا، فعين يحيى بن غانية واليا عاما لجميع الأراضي التي يحكمها المرابطون في الأندلس، وأمره أن يأخذ بثأر قتلى المسلمين على يد ألفونسيز.[٢]

وكان القيصر، وهو الفونسو السابع الذي اتخذ لقب (امبراطور)، وتسميه المصادر العربية(السليطين) (٥٢٠- ٥٥٢هـ/١١٢٦- ١١٥٧م)[٣] قد قاد جيشا وعاث في أراضي المسلمين في منطقتي قرمونة وإشبيلية، بينما هاجم ألفونسيز أراضي قلعة رباح مؤملا أن يحرز نصرا كالذي أحرزه من قبل، واشتبك مع المسلمين فهزموا قواته، بينما سقط هو مثخنا بالسهام، ففصل رأسه وذراعه اليمنى ورجله اليمنى عن جسده، وأرسلت إلى قرطبة وإشبيلية لكي تعرض على أرملتي الواليين، ثم حملت بعد ذلك إلى أمير المسلمين تاشفين بن علي في المغرب. أما رؤوس أكابر النصارى الذين قتلوا في المعركة، فقد علقت فوق أرفع أبراج قلعة رباح.[٤]

وكان لهزيمة النصارى وتعليق رؤوس أكابرهم على أبراج قلعة رباح أثر بالغ على ألفونسو السابع، فقد استشاط غضبا، وأقسم لينتقمن لمقتلهم، ولذلك خرج عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م في قواته إلى أراضي الأندلس، وراح يدمر كل ما في طريقه من زروع وثمار، ويحرق القرى، ويصب جام

---

١. عنان، ، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين**، ص٥٠٧.
٢. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج١، ص١٩٣.
٣. ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس** ، ص١١٥؛ ؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢ ، ص٨٤٦.
٤. أشباخ، المرجع السابق، ج١، ص١٩٣.

غضبه حيثما حل، وقد طالت قواته المخربة أراضي قرطبة وإشبيلية وغرناطة وألمرية، وغيرها.[١]

وكانت دولة المرابطين في تلك الأثناء تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولم تعد قادرة على تجهيز جيوش قوية للدفاع عن الأندلس، وكان سبب هذا الإنحدار ابتعادهم عن الدين، وانصراف عمالهم في الأندلس إلى الملذات، وانشغالهم باللهو عما سواه، حيث " صاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلا"[٢]

وكان تاشفين بن علي قد توفي سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م، فولي بعده ابنه أبو إسحاق إبراهيم، وفي عهد هذا الأخير ثارت القواعد الأندلسية ضد المرابطين لعجزهم عن نجدتها، وفي الوقت نفسه اشتدت وطأة النصارى، وازداد ضغطهم ، وخاصة على المدن القريبة من طليطلة ، وتمكنوا بقيادة ألفونسو السابع من احتلال قلعة رباح، وذلك في أواخر سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م.[٣]

وكان سقوط قلعة رباح في أيدي النصارى خسارة فادحة للمسلمين، فقد أضعف ذلك خطوطهم الدفاعية، وانفتحت بسقوطها ثغرة مهمة في تحصينات المسلمين أمام المد العسكري النصراني، بعد أن كانت تشكل طوال العهود السابقة حجر الزاوية في تماسك الجبهة العسكرية الشمالية أمام المد النصراني، وهجمات النصارى المتكررة على بلاد المسلمين. وقد سهل سقوطها تدفق موجات الغزو المدمرة المتتالية على بلاد المسلمين.

لقد سقطت قلعة رباح في السنة التي قتل فيها أمير المسلمين المرابطي الأخير: أبو إسحاق إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين (٥٤١هـ/ ١١٤٧م)، وبسقوطها سقطت دولة المرابطين في المغرب والأندلس،[٤] وبدأ فيهما عهد جديد هو عهد الموحدين.

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين**، ص٥٠٧.

٢. **سورة الفرقان**، الآية ٤٤؛ وانظر: ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس**، ص١٢٤؛ المراكشي، **المعجب**، ص٩٩.

٣. السامرائي، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية**، ص٢٣٠؛ عنان، المرجع السابق، ص٥١٤؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٧.

٤. ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٤، ص١٠٥.

قلعة رباح في عهد الموحدين

أصبحت قلعة رباح بعد أن احتلها النصارى في أواخر عهد المرابطين معقلا أماميا من معاقلهم التي تحمي مداخل قشتالة، وكانت فضلا عن أهميتها الدفاعية، تسيطر على مقاطعة جيان الأندلسية، ولذلك اهتم النصارى بها اهتماما ملحوظا.[١] وقد عهد ألفونسو السابع بالدفاع عن قلعة رباح إلى فرسان الداوية[٢].

وكان الموحدون[٣] الذين ورثوا دولة المرابطين في المغرب والأندلس قد أدركوا أهمية قلعة رباح

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين**، ص٥١٩.

٢. فرسان الداوية أو فرسان المعبد: جماعة عسكرية دينية، وهي إحدى الجماعات العسكرية الدينية التي ظهرت في ميدان الصراع بين النصارى والمسلمين خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد أنشأ جمعية الفرسان الدينية ألفونسو المحارب سنة ٥١٣هـ/١١٢٠م، ولما توفي ألفونسو المحارب سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م خص فرسان الداوية في وصيته بثلث مملكته باعتبارهم حماة النصرانية في بيت المقدس، ونظرا لاستحالة تنفيذ هذه الوصية، قام أمير أرغون الكونت رامون برنجير الرابع بمنح فرسان الداوية عدة حصون مع ما يلزمها من مرافق وغلات لمساعدتهم على العيش، وحصل فرسان الداوية أيضا على حق الإعفاء من الخضوع للقضاء، وعلى نصيب من المدن الأندلسية التي احتلها النصارى في الأندلس مثل سرقسطة ووشقة وقلعة أيوب وغيرها، وتعهد فرسان الداوية مقابل ذلك بأن يكرسوا حياتهم لحماية النصرانية. وقد استقر فرسان الداوية في أرغون وغيرها، وسرعان ما قويت واشتد ساعدها، وظهرت أهميتها في محاربة المسلمين. عنان، المرجع السابق، ص٥١٨- ٥١٩.

٣. الموحدون: بدأت دولة الموحدين على يد أبي عبدالله محمد بن تومرت، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن هود بن خالد الذي ينتسب إلى الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه.وهو الملقب ب(المهدي).فقد بدأ هذا الرجل، وأصله من بلاد السوس في أقصى المغرب، بعد عودته إلى المغرب من رحلة قام بها إلى المشرق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما وجد فساد المرابطين، وابتعادهم عن الدين، وقد آمن بدعوته إلى التوحيد عدد من الأشخاص، وبايعوه على أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، وكان ألصقهم به عبد المؤمن بن علي، وسمي المهدي وأصحابه: الموحدون. وقد ظل المهدي يبث دعوته، ويعمل على توطيدها في النفوس، حتى كثر اتباعه، فنهض لمحاربة المرابطين، وخاض معهم معركة حاسمة سنة في أوائل سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، كان النصر فيها للمرابطين، وفي أواخر تلك السنة توفي المهدي بن تومرت، =

العسكرية، وراحوا يوجهون الحملات المتعاقبة لإرهاق حاميتها ومن ثم استعادتها إلى أيدي المسلمين، وقد هاجمها الموحدون سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٨م، وضيقو الخناق على حاميتها، وكادت تسقط في أيديهم، غير أن فرسان الداوية تمكنوا من إنقاذها، ولكن بصعوبة بالغة أدركوا معها أنهم لن يتمكنوا من حمايتها إذا ما تعرضت لهجوم جديد، ولذلك آثروا الإنسحاب منها، وسلموها لملك قشتالة سانشو الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه ألفونسو السابع(السليطين) سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م ليتولى الدفاع عنها.[١] وفي تلك الأثناء طلب راهبان من طليطلة يدعى أولهما ريموندو دي فتيرو أو رامون، ويدعى الثاني، ديغو بلاسكيث، وكان فارسا مقداما، طلبا من الملك سانشو أن يعهد إليهما بمهمة الدفاع عن قلعة رباح، فوافق بعد أن أيد طلبهما مطران طليطلة الذي وعد بالغفران كل من يهب للدفاع عن القلعة. وقد أثمر هذا الوعد، حيث كثر المتقدمون للدفاع عنها، وعندئذ ألف الراهب رامون منهم جمعية سماها: (جمعية فرسان قلعة رباح)(The Military Order of Calatrav) وقد تعهدت هذه الجمعية التي صدق البابا الإسكندر الثالث (1159 (Alexandre III - ١١٨٥م) على قيامها بالإلتزام بمساعدة القوات النصرانية فى حروبها ضد المسلمين فى الأندلس.[٢]

وأخذت جمعية فرسان قلعة رباح تطبق النظم الحربية، وقد نمت باطراد، ووصل عدد أعضائها

=وقد استطاع تلميذه وأقرب الناس إليه عبدالمؤمن بن علي أن يجمع فلول الموحدين، وينظم شؤونهم، ويستأنف قتال المرابطين، إلى أن قضى على دولتهم. ويعتبر عبدالمؤمن بن علي المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين في المغرب. ومن ثم في الأندلس، فبعد قضائه على المرابطين في المغرب، عمل على تحرير الأندلس منهم، حيث دخلها على رأس جيش كبير سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، وملأ أقطارها خيلا ورجلا. ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي (ت منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان،**(تحقيق محمود علي مكي)، ط دار الغرب الإسلامي، ص٨٧ وما بعدها؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان،** ج٥، ص٤٥- ٥٥؛ النجار، عبدالمجيد، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت** (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)،المعهد العالي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٥٦ وما بعدها؛ عنان، **دولة الإسلام في لأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين،** ص١٦٠ وما بعدها؛ حتامله، **الأندلس،** ص٥٥٥.

١. عنان، المرجع السابق، ص٥١٩.
٢. المرجع نفسه، ص٥١٩

نحو عشرين ألفا. وأخذت تؤدي مهامها في مدافعة المسلمين.[١] والجدير بالذكر أن نجاح هذه الجمعية النصرانية أدى بعد ثلاث سنوات من قيامها إلى قيام جمعية أخرى مشابهة، باسم(جمعية القديس ياقب)، واتخذت محاربة أعداء الدين شعارا لها.[٢]

لقد تمكنت جمعية قلعة رباح من صد محاولات كثيرة قام بها الموحدون في عهد أميرهم عبد المؤمن بن علي، وظلت هذه المحاولات مستمرة حتى وفاته سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، وقد خلفه ابنه محمد، إلا أنه خلع بعد خمسة وأربعين يوما لعدم صلاحيته، فخلفه أخوه أبو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الذي عبر إلى الأندلس سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وكانت له صولات فيها ضد النصارى، غير أنه لم يخض معهم معركة حاسمة، وقد توفي في الأندلس سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، ونقل جثمانه إلى المغرب، حيث دفن مع ابيه عبد المؤمن والمهدي بن تومرت.[٣]

وخلف أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ابنه أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي الملقب ب(المنصور)(٥٨٠- ٥٩٥هـ/ ١١٨٤- ١١٩٩م)، وفي عهده تطورت الأحداث بسرعة، وكان لقلعة رباح النصيب الوافر من هذه الأحداث، فقد عبر المنصور إلى الأندلس، واستعاد مدينة شلب (Silves) [٤] سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، وكان ملك البرتغال ألفونسو انكريكيث (ابن الرنق) قد استولى عليها سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، كما استعاد المنصور حصونا أخرى وعاد إلى المغرب، وذلك سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م. [٥] وقد اضطر ملك قشتالة ألفونسو الثامن إلى أن يعقد سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م

---

١. عنان، دولة الإسلام في لأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول، عصر المرابطين ، ص٥١٩- ٥٢٠.

٢. المرجع نفسه، ص٥٢٠.

٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٥٠- ١٥٣؛ المراكشي، **المعجب**، ص١٤٧- ١٥٠.

٤. شلب: يلفظ اسمها بكسر أوله وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة، وهي مدينة تقع في غربي الأندلس على بعد ثلاثة أميال من المحيط الأطلسي، وقد بنيت على ضفة نهر آنه، وغالبية سكانها عرب من اليمن. انظر: ياقوت، **معجم البلدان**، ج٣، ص٣٥٧؛ ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص٣٨١، الحميري، **صفة جزيرة الأندلس**، ص١٠٦؛ ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٣، ص٢٩٨؛ السامرائي، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية** ، ص١٧٦، ٢٧١- ٢٧٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٥٦٢- ٥٧٠.

٥. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٦.

هدنة مع الموحدين لكثرة ما ألحقوه به من خسائر[١].

وما لبث ملك قشتالة ألفونسو الثامن أن نقض الهدنة مع الموحدين، وغزا أراضي الأندلس، وتوغل فيها حتى الجزيرة الخضراء، ووجه منها رسالة إلى المنصور يتحداه فيها أن يأتي لقتاله، فغضب المنصور غضبا شديدا، واستنفر الناس للجهاد، فاجتمعت حشود كثيرة من سائر بلاد المغرب، عبر المنصور على رأسها إلى الأندلس في جمادى الآخرة من سنة ٥٩١هـ/ أول حزيران سنة ١١٩٥م.[٢] وتوجه المنصور إلى قاعدته إشبيلية، لاستكمال استعداداته لمواجهة النصارى، ثم غادرها إلى قرطبة، وبعد استراحة فيها استمرت ثلاثة أيام اتجه بقواته شمالا صوب سهول شلبطرة وقلعة رباح.[٣]

أما ملك قشتالة ألفونسو الثامن فقد بادر- حالما علم بأنباء الحشود الموحدية - إلى حشد كل ما استطاع من الجند، كما طلب العون من ملكي ليون والنافار(نبرة)، وقبل اكتمال حشوده غادر طليطلة متجها أيضا إلى أراضي قلعة رباح، وكان واثقا من النصر.[٤]

وكان ملك قشتالة قد بدأ قبل هذه الإستعدادت لخوض المعركة مع الموحدين بإنشاء حصن جديد في أراضي قلعة رباح في محلة تسمى (الأرك) (Alarcos)[٥] وقد بني الحصن على ربوة عالية تمتد

---

١. عنان ، **عصر الموحدين**، ص١٩٧.

٢. المراكشي، **المعجب**، ص١٨٠- ١٨١؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٨٥- ١٩٤؛ عنان، المرجع السابق، ص١٩٨.

٣. عنان، المرجع السابق، ص١٩٩.

٤. الأشتر، صالح، **معركة الأرك (٥٩١هـ/١١٩٥م)**، دار الشرق العربي، بيروت، ص٤٧ وما بعدها.

٥. الأرك : يبعد هذا الحصن عن قلعة رباح نحو عشرين كيلو مترا إلى الغرب منها. وهو إلى الشمال من قرطبة، على أحد فروع نهر آنه. والجدير بالذكر أن حصن الأرك يقع إلى الشرق من سهل الزلاقة الذي وقعت فيه معركة الزلاقة بين المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين، وملك قشتالة ألفونسو السادس، وانتصر فيها المرابطون. ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٨٣؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٢٣٣؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٢٧؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج١، ص٤٢؛ الصلابي، علي محمد محمد، **دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان، ١٩٩٨، ص١٧٤وما بعدها.

سفوحها حتى نهر وادي آنه. وكانت الأرك نقطة حدودية بين أراضي النصارى وأراضي المسلمين، وقد توجه ملك قشتالة إلى حصن الأرك لمواجهة المسلمين هناك، وعدم السماح لهم باختراق أراضيه.[١]

وكان المنصور قد خرج إلى أراضي قلعة رباح " يوم الثلاثاء الثالث والعشرين منه (من شهر رجب)، فضربت سرية خيل من النصارى على قلعة رباح وما جاورها ليتجسسوا الأخبار، فخرج إليهم من كان بالحصن فاقتفوا آثار أعداء الله، والتحقوا بهم، فكانوا عندهم كأكلة جائع أو شربة ظمآن، وتركوهم بتلك البطاح ولائم للنسور والعقبان، فكانت هذه السرية باكورة الفتح".[٢]

ثم اخترق المنصور أراضي قلعة رباح، وعسكر قرب معسكر الجيش القشتالي في الأرك، وذلك يوم الخميس، الثالث من شعبان، سنة ٥٩١هـ/ ١٣ تموز ١١٩٥م، واستشار القادة العسكريين الأندلسيين في خطة المعركة، فأشار عليه كبيرهم أبو عبدالله بن صناديد بأن تبدأ المعركة باشتباك سائر الحشود باستثناء جيش الموحدين، الذي عليه أن يختبيء في مكان مستور ليحمي ظهور المسلمين، وينقض على جيوش قشتالة في اللحظة المواتية، وقد أعجب المنصور بالخطة، وقرر تنفيذها.[٣]

ووفقا لخطة عبدالله بن صناديد قدم المنصور كبير وزرائه الشيخ أبا يحيى بن أبي حفص على الجيش، ثم عين القادة على قبائل العرب، وقبائل البربر، والمتطوعة، وسار الشيخ ابو يحيى على رأس الجيش في المقدمة، خلف عبدالله بن صناديد، ثم تم توزيع الجيوش الإسلامية: الجيش الأندلسي في الميمنة، والبربر وبعض العرب والمغاربة في الميسرة، والمتطوعة والرماة في المقدمة، والشيخ

---

١. عنان، **عصر الموحدين**، ص١٩٩- ٢٠٠.

٢. ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - قسم الموحدين** (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٢١٨.

٣. عنان، المرجع السابق ، ص٢٠٠؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٤٨٥- ٤٨٦.

أبو يحيى على رأس جيشه في القلب.[١]

وبدأت معركة الأرك بحملة شديدة قامت بها كتيبة نصرانية ضد المسلمين، إذ يذكر ابن عذاري أن النصارى لم رأوا "ما دهمهم من جنود الله تعالى لم يكن لهم بد من الإبلاء والمدافعة، فهبطوا من مركزهم كالليل الدامس والبحر الزاخر أسرابا تتلو أسرابا، وأمواجا تعقب أمواجا"[٢] وقد استشهد في هذه الحملة الشيخ أبو يحيى،[٣] وعندئذ مر المنصور على صفوف المسلمين " وألقى إليهم بنفسه كلاما وجيزا في الهجوم على عدوهم والنفوذ إليه"[٤] فحميت نفوسهم، وشن العرب والمتطوعة هجوما كاسحا على الكتيبة النصرانية، وأعملوا في فرسانها سيوفهم، فتقهقرت، وطاردها المسلمون إلى قمة الربوة، وقتلوا معظم فرسانها، وبهلاك هذه الكتيبة انكسرت شوكة الفونسو الثامن.[٥]

وبعد هذه الجولة الناجحة زحف المنصور على راس القوات الموحدية نحو القشتاليين، تدعمه سائر الحشود والقبائل، وكان الفونسو قد عزم على أن يلقى الموحدين بما تبقى من قواته، غير أن هذه القوات عندما رأت كثافة الجيوش الموحدية آثرت الفرار، فلحق بها فرسان الموحدين الذين حصدوهم قتلا وأسرا. ثم أحاط المسلمون بحصن الأرك، وهم يظنون أن ألفونسو اعتصم به، غير أنه كان قد فر من باب خلفي، واقتحم المسلمون الحصن عنوة، واستولوا على ما فيه من ذخائر وأسلاب.[٦]

وقام المنصور بعد انتصاره في معركة الأرك ببث سراياه في أراضي قلعة رباح، وقد استولت تلك السرايا على عدد من الحصون، ثم هاجمت مدينة قلعة رباح نفسها، واقتحمتها بعد قتال عنيف، وقد تمكنت من استرجاعها إلى أيدي المسلمين بعد أن تغلبت على فرسان جمعية قلعة رباح الذين كان

---

١. الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٨٩.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢١٩.
٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٨٩- ١٩٠.
٤. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢١٩.
٥. الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٠.
٦. ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٢٠؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٠٨.

منوطا بهم الدفاع عنها، وبذلك عادت مدينة إسلامية بعد أن مكثت في أيدي النصارى نحو نصف قرن. وقد أمر المنصور بتطهير جامعها الذي كان النصارى قد حولوه إلى كنيسة، وقدم على حاميتها القائد الأندلسي يوسف بن قادس.[١]

وقد كان من نتائج معركة الأرك مقتل ثلاثين ألفا من النصارى [٢] وأسر أعداد هائلة منهم اختلفت المصادر في تحديدها ، هذا إضافة إلى خسائر فادحة لحقت بهم حيث استولى المسلمون على مائة وخمسين الف خيمة، وثمانين ألفا من الخيول، ومائة الف من البغال، وأربعمائة ألف من الحمير، وكميات كبيرة من الأموال والجواهر، في حين خسر المسلمون نحو عشرين ألفا من الشهداء.[٣]

وقد اجتمع ألفونسو الثامن مع عدد من ملوك النصارى إثر هزيمتهم في معركة الأرك، وطلبوا عقد هدنة مع المنصور، فاستجاب لهم، وعقدت الهدنة بين الطرفين لمدة خمس سنوات بدءا من سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م.[٤]

وتوجه المنصور بعد انتهاء معركة الأرك، واستعادة قلعة رباح، جنوبا، واقتحم في طريقه عدة حصون في مناطق طليطلة الجنوبية، ثم اخترق أراضي قلعة رباح متجها إلى جيان ثم إلى قرطبة، ومنها سار إلى إشبيلية ووصلها في رمضان ٥٩٢هـ/١١٩٦م.[٥]

وما إن اقترب أجل انتهاء الهدنة بين قشتالة والموحدين حتى أخذ ملك قشتالة ألفونسو الثامن

---

١. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤٦٩.
٢. ابن عذاري، **البيان المغرب، قسم الموحدين**، ص٢٢٠.
٣. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢١، ص٣١٨- ٣١٩؛ المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٤٤٣؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩١- ١٩٢؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص٢٣٣؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ص٢٢٠.
٤. الذهبي، المصدر السابق، ج٢١، ص٣١٩؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٩، ص٢٣٣؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢- ١٩٣.
٥. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين**، ص٢٢٠.

يتأهب لغزو الأندلس، ومحو الوصمة التي لحقت بالجيوش النصرانية في معركة الأرك، وقد خرج في قواته سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٩م ومعها فرسان قلعة رباح الذين احتشدوا بعد خروجهم منها في قلعة شلبطرة القريبة، وساروا نحو جيان وبياسة، حيث انتسفوا الحقول وخربوا الضياع ، واستولوا على عدد من الحصون، وفعلوا في السنة التالية مثل ذلك.(١)

وقد توفي المنصور في صفر ٥٩٥هـ/١١٩٨م،وخلفه ابنه أبو عبدالله محمد الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/ ١١٩٨- ١٢١٣م) (٢) وكانت الأندلس منذ أوائل عهده تتعرض لهجمات متلاحقة ، ولم تكن الحاميات الموحدية الصغيرة التي رابطت في عهد المنصور في القواعد المختلفة بقادرة على رد الجيوش النصرانية، وكانت هذه الجيوش أكثر إصرارا من أي وقت مضى على سحق المسلمين، والأخذ بالثأر لهزيمتهم في الأرك.(٣)

وكان ألفونسو الثامن ـ كما يذكر الحميري ـ قد "استغاث بأهل ملته، وكاتب من قرب وبعد منهم، وشكا إليهم ما دهاه من المسلمين، وحثهم على حماية دينهم، ونصر ملتهم، فاستجابوا لـه، وجاؤوه من كل جهة، وانثالوا عليه"(٤)، فقد ناشد البابا إنوسنت الثالث إعلان الحرب الصليبية، وحث الشعوب الأوروبية على قتال المسلمين، فحظي بدعمه، إذ وجه البابا الأساقفة في جنوبي فرنسا بأن يحثوا النصارى على السير بأنفسهم وأموالهم لمؤازرة ملك قشتالة، واعدا كل من يقدم له الدعم بمنحه الغفران التام من ذنوبه.(٥)

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين** ، ص٢٨٤.
٢. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢١، ص٣١٩؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٠٥؛ الحجي، **التاريخ الأندلسي**، ص٤٩١.
٣. حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧١٠.
٤. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦.عنان، المرجع السابق، ص٢٨٩.
٥. عنان، المرجع السابق، ص٢٨٤. Altamira.R: A History of Spain from the beginnings to the present day. Translated by: Muna Lee. Copyright 1949. By D.Van Nostrand Company. Canada. Ltd. P. 165.

وقد وصلت أنباء الإستعدادات النصرانية، وما تقوم به جيوشهم، ومنها جيش بيدرو الثاني، ملك أرغون، الذي عاث، ومعه فرسان الداوية، في أراضي بلنسية الشمالية، واستولى على عدد من الحصون الإسلامية في تلك المنطقة ، عندما وصلت أنباء ذلك إلى الناصر، ووصلته أيضا استغاثات المسلمين، وخاصة في شرقي الأندلس، أخذ يستنفر الناس للجهاد، فـ" تسارع الناس إليه خفافا وثقالا من البوادي والأمصار".(١)

وعندما استكمل الناصر أهبته، خرج في قواته الجرارة من مراكش يوم السبت العشرين من شعبان ٦٠٧هـ/ ٥شباط ١٢١١م، متجها شمالا، وقبل أن يدخل الأندلس أرسل إلى الولاة فيها أن يحثوا الناس على الجهاد، ويتخذوا ما يجب من ضروب الإستعداد.(٢)

وعبر الناصر إلى الأندلس يوم الإثنين العاشر من شوال ٦٠٧هـ/ ٤نيسان ١٢١١م، وما كاد يستقر بإشبيلية حتى أمر باستنفار الحشود الأندلسية، وبعد تكامل هذه الحشود تحرك الى قرطبة، ومنها إلى جيان وبياسة، قاصدا قلعة شلبطرة الواقعة إلى الجنوب الغربي من قلعة رباح. وهي القلعة التي كان فرسان جمعية قلعة رباح قد تحصنوا فيها بعد وقعة الأرك.(٣) ويبدو أن الناصر قرر الإستيلاء على قلعة شلبطرة المنيعة، لأنها أصبحت منطلق النصارى لمضايقة أهالي قلعة رباح، وغزو الأراضي الإسلامية، وشن الغارات المخربة على أراضي جيان وبياسة.

وقد حاصر المسلمون قلعة شلبطرة بعد أن استولوا على أرباضها، وقتلوا من أهلها النصارى نحو أربعمائة، وأضرموا النيران فيها، ثم نصبوا حولها المجانيق وضربوها بالحجارة الضخمة، ورموها بالنبال والسهام الممطرة، مما اضطر النصارى إلى مغادرتها وتسليمها للمسلمين.(٤)

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٢٠.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين** ، ص٢٨٥.
٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٢٠؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٨٦-٢٨٧.
٤. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٢١؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٩١- ٢٩٢.

وكان الناصر بحصاره قلعة شلبطرة ـ كما يقول أشباخ ـ قد ارتكب خطأ فادحا، "إذ أرسل خيرة جنده إلى حصن شلبطرة الجبلي المنيع، وأنهك بذلك قواهم، ولبث الجيش أمام هذا الحصن ثمانية أشهر، وهو ممتنع عليه، وأصر محمد (الناصر) نزولا على نصح حاجبه أبي سعيد بن جامع ـ وكان الموحدون يشكون في صدق نياته، ولكن محمدا يضع فيه كل ثقته ـ على ألا يتقدم قبل الإستيلاء على الحصن."[١] وكان الفونسو الثامن في تلك الأثناء يستكمل استعداداته لمواجهة الموحدين في معركة فاصلة، ونظرا لأنه لم يكن قد استكملها بعد، فإنه لم يتمكن من إنجاد حامية القلعة، ولذلك اضطروا إلى تسليمها على أن يخرجوا منها سالمين، وما إن غادروها حتى دخلها الموحدون، وحولوا كنيستها إلى مسجد.[٢]

لقد تم فتح شلبطرة في الثاني من ربيع الآخر ٦٠٨هـ/١٢١٢م، واعتبر الناصر ذلك فتحا مبينا طير أخباره في الآفاق،[٣] وقد برر ذلك بأن هذا الحصن " قد علقت به حبائل الصلبان، وتألم ببقائه وسط البلاد قلب الإيمان، قد جعلته النصرانية إلى كل غاية جناحا، وأعدته لأبواب المدائن مفتاحا، تهان شعائر الله في سنامه وبطحائه، ودين الحق عن يمينه وشماله وأمامه وورائه، تعتقده الكفار حجها وجهادها، وتخدمه ملوكها ورهبانها وبلدانها، وتسرب غليه درهمها ودينارها"[٤]

والجدير بالذكر أن الخليفة الموحدي الناصر عاد بجيشه المنهك بعد ذلك الحصار الطويل، حيث عانى الجيش خلال الحصار من قسوة الطقس، ومن المرض الذي أودى بحياة كثيرين، ومن الجوع بعد نفاد التموين لديه، عاد بذلك الجيش إلى إشـبيلية،[٥] ومنها أخذ يستنفر الناس لمواصلة الجهاد، فاجتمعت لديه حشود كثيفة.[٦]

---

١. أشباخ، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، ج٢، ص١٠٨.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين** ، ص ٢٩٢.
٣. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦.
٤. ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ قسم الموحدين**، ص٢٦١ـ ٢٦٢.
٥. أشباخ، المرجع السابق ، ص١٠٨.
٦. الحميري، المصدر الاسابق، ص٣٤٤ـ ٣٤٥؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٩٣.

وبينما كان الناصر يتأهب باستكمال الحشود في إشبيلية، كان ملك قشتالة ألفونسو الثامن يبذل أقصى الجهود استعدادا لمقاتلة الموحدين، ولم تقتصر تلك الجهود على حشد نصارى قشتالة وغيرهم من نصارى إسبانيا، وإنما تجاوزتهم إلى نصارى أوروبا، فقد أراد ألفونسو لمعركته المقبلة أن تكون حربا صليبية على المسلمين، وخاصة أن سقوط قلعة شلبطرة (القاعدة العسكرية الجديدة لفرسان قلعة رباح)، كان ينذر بتفاقم الخطر على مصير إسبانيا النصرانية.[١]

لقد بارك البابا إنوسنت الثالث ـ كما سبق القول ـ جهود الملك ألفونسو الثامن ودعمها، وأخذ مطران طليطلة والأحبار يجوبون جنوبي فرنسا وغيرها لجمع المتطوعين، وأسفرت تلك الجهود عن تجمع أعداد غفيرة من المحاربين في طليطلة، وكان بينهم فرسان الولايات القشتالية المختلفة، وفرسان قلعة رباح، وفرسان المعبد(الداوية)، وفرسان الجمعيات العسكرية الدينية الأخرى، ومجموعات من المحاربين الفرنسيين وغيرهم بقيادة الأساقفة الذين كانوا يتولون الإنفاق على حشودهم.[٢]

والجدير بالذكر أن ملك قشتالة الفونسو الثامن استغل انشغال الخليفة الموحدي الناصر بحصار قلعة شلبطرة في استكمال استعدادته لمعركة فاصلة مع المسلمين، وقد أفاده ذلك الحصار كثيرا، فقد أدى إلى إنهاك جيوش الموحدين من جهة، ومنحه الوقت الكافي لحشد الجيوش الصليبية من جهة أخرى.

ويبدو أن الفونسو الثامن كان مصمما على الإنتقام لهزيمته في معركة الأرك، ولذلك حرص على أن يكون حشده وتخطيطه للمعركة المقبلة مع المسلمين في الأندلس من مستوى يحقق هذه الغاية، ويؤدي إلى إلحاق الهزيمة بهم. فبعد تهافت النصارى لدعمه من أنحاء أوروبا، ومن شبه الجزيرة الأيبيرية عقد مؤتمرا صليبيا في مدينة قونكة ، وقد انتهى هذا المؤتمر بالإتفاق على الإتحاد

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين، القسم الثاني، عصر الموحدين**، ص٢٩٣.

٢. المرجع نفسه، ص٢٩٣ـ ٢٩٤.

والتضامن لقتال الموحدين، ثم أعلن ملك قشتالة الحرب الصليبية ضد المسلمين، وأطلق صرخته المدوية: " كلنا صليبيون" [١]

سقوط قلعة رباح في أيدي النصارى وآثاره

خرجت الجيوش النصرانية بعد اكتمال حشودها من طليطلة متجهة جنوبا، وكانت مقسمة إلى ثلاثة جيوش: الأول جيش الطليعة، ويتألف من قوات الوافدين، والثاني يتألف من قوات أرغون وفرسان الداوية، والثالث يتألف من قوات قشتالة وليون والبرتغال وفرسان قلعة رباح، ويقوده ألفونسو الثامن. وكان عدد الفرسان فقط في هذه الجيوش ثلاثين ألفا.[٢]

واتجهت الجيوش النصرانية أول ما اتجهت إلى قلعة رباح التي كان المنصور الموحدي بعد استعادتها من النصارى قد عين قائدا لحاميتها أبا الحجاج يوسف بن قادس، وهو من القادة الأندلسيين الأفذاذ، وقد سهر على حماية القلعة، والدفاع عنها. وكانت حاميتها عندما أقبلت جموع النصارى نحوها تتألف من سبعين فارسا.[٣]

ولم يكن عبور النصارى نهر وادي يانه إلى قلعة رباح سهلا، فقد جوبهوا بعقبات وعوائق كثيرة كان ابن قادس قد حصنها بها، فقد نثر على جانبي النهر الصنانير، والخوازيق الحديدية، إلا أن إصرار النصارى على اقتحام القلعة واحتلالها ، جعلهم يضحون بكثير من الخسائر أثناء عبور النهر إليها.

---

١. أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية** ، ص٢٨٢؛ Scott. S. P: A history of Moorish empire in Europe Philadelphia, London 1904 v.II p. 325

.

٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٩٥ـ ٢٩٦.

٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨؛ عنان، المرجع السابق، ص٢٩٦؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٨٧٨.

O'catlaghan.F. J: A History of medieval Spain, Copyright 1975, Cornell University, Ithacam, Newyork . II. pp . 325- 326. .

وما إن عبروه حتى صدموا بمنعة أسوارها، ولذلك ترددوا في مهاجمتها ، ومكثوا ثلاثة أيام تحت أسوارها وأبراجها يقلبون الرأي، ويبحثون فيما إذا كان الأفضل الإكتفاء بتطويق القلعة ومحاصرتها، وتأجيل اقتحامها إلى ما بعد مواجهة المسلمين والإنتصار عليهم.[١]

وتغلب الرأي القائل بوجوب مهاجمة قلعة رباح، فهاجموها بقوة، واحتلوا قسما خارجيا منها، وهو القسم المحاذي للنهر، وكان الأضعف من حيث المناعة. وعندئذ أدرك يوسف بن قادس أن الدفاع عن القلعة بمواجهة هذه الآلاف التي تمكنت من السيطرة على قسم منها أصبح مستحيلا، وخاصة أنه استغاث بالناصر، وأرسل إليه أكثر من مرة موضحا له الأوضاع، وطالبا العون فلم يصله رد، يقول الناصري:" فكان ابن قادس يكتب لأمير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله، ويستمده على عدوه، وهو على حصن شلبطرة، فكان الوزير ابن جامع[٢] إذا وصلت إليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر لئلا يرحل عن الحصن قبل فتحه، فلما طال الحصار على ابن قادس، وفني ما عنده من الأقوات والسلاح، وخشي على من في الحصن من النساء والذرية، صالح الفنش على تسليم الحصن"[٣]

وهكذا اضطر ابن قادس بعد أن أيقن بعبث الدفاع، وبأن رجاله سيتعرضون للقتل، إلى التفاهم مع النصارى على تسليم القلعة، ومنح الأمان لحاميتها، وتركهم أحرارا في الخروج منها إلى ديارهم، وذلك على نحو ما حدث لحامية قلعة شلبطرة النصرانية عندما استولى عليها المسلمون. وقد وافق ألفونسو الثامن على هذا الحل السلمي، مؤثرا الإستيلاء على القلعة دون تأخير لكي لا يصرف مزيدا من الوقت في حصارها ومحاولات اقتحامها عنوة.[٤]

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين**، ص٢٩٦.

٢. ابن جامع: هو أبو سعيد عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن جامع، كان أبوه عبدالله يتولى مدينة سبتة وجهاتها، كما كان يتولى أساطيل الموحدين، وظل كذلك إلى أن مات، ويظن المراكشي أن الخليفة الموحدي أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن قتله، دون أن يحدد تاريخ قتله أو أسباب ذلك. انظر: المراكشي، **المعجب**، ص٣٨٩-٣٩٠. ويبدو أن ابنه أبا سعيد عثمان الذي أشار على الخليفة الناصر بما أدى إلى سقوط قلعة رباح، ومن ثم إلى هزيمة الموحدين في موقعة العقاب إنما كان يقصد ذلك أخذا بثأره منهم لقتلهم أباه.

٣. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨.

٤. المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٨؛ عنان، المرجع السابق ، ص٢٩٦-٢٩٧.

وغادر ابن قادس والفرسان المسلمون قلعة رباح من دون أسلحة، واستولى عليها ألفونسو الثامن، وسلمها فورا لحماتها السابقين: أعضاء جمعية فرسان قلعة رباح وذلك سنة٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[١]. وكان لتسليمها آثار سلبية وتداعيات على النصارى والمسلمين على حد سواء:

أولا: آثار تسليم قلعة رباح وتداعياته على النصارى

أدى تسليم قلعة رباح، وخروج حاميتها الإسلامية بسلام إلى التنابذ والخلاف بين القشتاليين وحلفائهم الصليبيين الوافدين من فرنسا وغيرها، فقد رأى أولئك الصليبيون أن إفلات المسلمين أحرارا عمل لا مبرر له، لأن هدف الحرب الصليبية هو قتل المسلمين. ومن جهة أخرى اتهم الصليبيون ألفونسو بأنه وجد في قلعة رباح كميات وافرة من التحف والذخائر استأثر بها دونهم، ولم يعطهم مما وجده إلا بعض المؤن.[٢]

وقد تبرم الصليبيون الوافدون، وسخطوا على ألفونسو الثامن، وأخذوا يسوقون الحجج للانسحاب من المشاركة المقبلة في مواجهة المسلمين، حيث تذرعوا بجو إسبانيا الحار الذي لم يعتادوا عليه، وأبدوا عزمهم على الرجوع إلى بلادهم، وقد حاول ملك قشتالة أن يثنيهم عن هذا العزم دون جدوى، إذ أصروا على مغادرة المعسكر القشتالي، وكان عددهم نحو خمسين ألف مقاتل. [٣]

وقد استطاع ألفونسو الثامن أن يتغلب على ما تركه انسحاب الصليبيين الوافدين من آثار، فبعد رحيلهم إثر استيلائه على قلعة رباح، نظم القوات الباقية المؤلفة من قوات قشتالة وأرغون وجليقية والبرتغال، واستأنف السير بهذه القوات المتحدة جنوبا لملاقاة جيش الموحدين.[٤]

---

١. أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية**، ص٢٨٦ـ ٢٨٨؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، عصر الموحدين** ، ص٢٩٧.
٢. عنان، المرجع السابق، ص٢٩٧.
٣. المرجع نفسه، ص٢٩٧ـ ٢٩٨.
٤. المرجع نفسه، ص٢٩٩ـ ٣٠٠.

ثانيا: آثار تسليم قلعة رباح وتداعياته على المسلمين:

كان الناصر أثناء عملية تسليم قلعة رباح قد وصل بجيوشه الجرارة إلى جيان، وقد انتهت إليه أنباء سقوطها، وأنباء انشقاق الصليبيين عن جيش قشتالة والعودة إلى بلادهم، وقد وصل إلى جيان أيضا ابن قادس وصهره وفرسانه قادمين من قلعة رباح، وهموا بمقابلة الناصر ليقصوا عليه خبر القلعة، إلا أن وزير الناصر، وهو أبو سعيد بن جامع، الذي كان قد أقصى شيوخ الموحدين وأعيانهم عن الخليفة الموحدي، بعد أن تمكن منه، وانفرد بمشورته، [1] منعه من ذلك، واتهمه بالخيانة، وبأنه سلم قلعة رباح للنصارى. ونظرا لأهمية قلعة رباح كموقع عسكري متقدم كان الناصر يعول عليه كثيرا، فقد بادر حالما سمع بأن ابن قادس سلمها للنصارى إلى الأمر بإعدامه هو وصهره، دون أن يستمع إليه، ويعرف حجته. فأعدما طعنا بالرماح.[2]

وقد كان لمقتل يوسف بن قادس ، وهو الفارس الأندلسي الذي طالما دافع عن قلعة رباح، وعن حياض المسلمين، وقع عميق بين الجند الأندلسيين، فبعد هذا الحادث تغيرت نفوسهم، وفتر حماسهم للقتال إلى جانب الموحدين، وعندما شعر الوزير ابن جامع بذلك دعا قادتهم، وطلب منهم اعتزال الجيش الموحدي.[3]

وليس من شك في أن الجيش الموحدي بطرد المقاتلين الأندلسيين من صفوفه قد خسر كثيرا، ذلك أن الأندلسيين كانوا أكثر خبرة في قتال النصارى، وأكثر دراية بطريقتهم في الحرب، كما أنهم كانوا أدرى بشعاب بلادهم، وأعرف بطبيعة العدو الذي يقاتلونه بحكم القرب والمخالطة والإحتكاك المباشر لمدة طويلة، وقد كان تحييدهم خطأ عسكريا فادحا دفع الموحدون ثمنه غاليا ، وكان هذا الثمن الباهظ هو الأثر السلبي الأكثر خطورة الذي ترتب على تسليم قلعة رباح، وهو هزيمة المسلمين في موقعة العقاب كما سيأتي.

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٨- ١٩٩.
٢. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس، اعصر الموحدين**، ص٢٩٨.
٣. المرجع نفسه، ص٢٩٨.

لقد سار الناصر على رأس جيوشه شمالا لملاقاة أعدائه النصارى، وكانت خمسة أقسام هي: طوائف العرب، والقبائل المغربية، والجيش الموحدي النظامي، والمتطوعون، ومن بقي من جنود الأندلس.[١] واخترقت هذه الجيوش نهر الوادي الكبير متجهة إلى بياسة، ثم واصلت تحركاتها إلى أن وصلت سهلا يمتد جنوب غرب حصن العقاب (Las Navas de Tolosa) بين جيان وقلعة رباح.[٢] وبدورها وصلت القوات القشتالية إلى السهل بعد احتلالها حصن العقاب الذي كانت ترابط فيه حامية موحدية صغيرة.[٣]

وكان الجيش القشتالي مقسما ثلاثة أقسام رئيسة، يتكون أولها من القلب ويقوده ملك قشتالة الذي احتفظ بالقيادة العليا أيضا، ويتكون الثاني من الجناح الأيمن بقيادة ملك النافار، بينما يتكون الثالث من الجناح الأيسر بقيادة ملك أرغون بيدرو الثالث، ويضم هذا القسم قوات الطليعة. وقد كان فرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية ينضوون في القلب بقيادة ملك قشتالة. وقد سار الجيش القشتالي بعد الإستيلاء على قلعة رباح إلى سهل أبدة حيث ضرب معسكره.[٤]

واستعد النصارى والموحدون لخوض المعركة في ١٥صفر ٦٠٩هـ/ ١٦ تموز ١٢١٢م[٥]،

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين**، ص٣٠٠.

٢. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٧٣؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧٠٩،٧١٣؛ عنان، المرجع السابق، ص٣٠١-٣٠٦؛ أبا الخيل، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(٤٨٣هـ/١٠٩٠م - ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)**، ط١، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، بريدة، القصيم، السعودية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٦٠.

٣. عنان، المرجع السابق، ص٣٠٦.

٤. المرجع نفسه، ص٣١٠؛ أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية**، ص٢٨٨- ٢٩٠؛ Meakin, B: The Moorish empire, London, Newyork 1954 p. 82.

٥. ابن سعيد، **المغرب**، ج٢، ص٧٣؛ المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج١، ص٣٨٣؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٣؛ عنان، المرجع السابق ، ص٣١٠؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية** ، ج٢، ص٧١٣.

والتقى الجمعان في الصباح الباكر حيث انقض النصارى ـ وكان عددهم مائة وستين ألفا ـ على المتطوعة من جيش الموحدين، "وانطبقت عليهم الفرنج فاقتتلوا قتالا شديدا، فاستشهد المتطوعة عن آخرهم، هذا وعساكر الموحدين والعرب والأندلس ينظرون لم يحرك إليهم منهم أحد"(١)

ويثور هنا سؤال كبير: لماذا لم يتحرك أحد من الجيوش الموحدية لنجدة المتطوعة؟ هل كان ذلك بمشورة من الوزير ابن جامع الذي كان حاضرا يرقب المعركة؟ إذا كان ذلك كذلك فإن معناه أن ابن جامع الذي كان له دور في إعدام ابن قادس، قائد قلعة رباح، وفي تسليمها للنصارى لحجبه استغاثات ابن قادس بالموحدين عن الخليفة الناصر أثناء تعرض القلعة للحصار، له دور أيضا في هزيمة الموحدين في موقعة العقاب.

لقد حمل النصارى ـ بعد قضائهم على المتطوعة ـ حملة قوية على الموحدين والعرب، وهاجموا قلب الجيش الموحدي، فتصدى لهم الموحدون بقوة، وردوهم على أعقابهم، وكادت الهزيمة الماحقة تحل بهم، غير أن ألفونسو الثامن عندما لاحظ تراجع القوات النصرانية نزل بقواته الإحتياطية إلى ميدان المعركة، وقاتل قتال اليائس، وعندما احتدم القتال بين الطرفين فر الأندلسيون بسبب حقدهم على الوزير ابن جامع، مما أحدث اضطرابا في الصفوف. وعندئذ ركز النصارى هجومهم على قلب الجيش الموحدي. وشنوا هجوما شديدا مزقوا خلاله الجيش الموحدي، وأكثروا القتل فيه، فاضطر الناصر إلى الفرار، حيث توجه جنوبا إلى بياسة، بينما كانت فلول الجيش الموحدي تفر في كل ناحية ومن ورائها الفرسان النصارى، تطارد وتقتل وتنهب، ثم انقض النصارى على معسكر الموحدين الذي أصبح خاليا إلا من المتاع والأسلاب.(٢)

---

١. الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص١٩٩.
٢. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣؛ النويري، **نهاية الأرب**، ج٢٤، ص٣٤٢؛ الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦؛ مجهول، **الحلل الموشية**، ص١٦١؛ ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) **المونس في أخبار إفريقيا وتونس** (تحقيق وتعليق محمد شمام)، مطبعة ٢٠ مارس، تونس، ١٩٦٧م، ص١٤٥ـ ١٤٦؛ الناصري، **الاستقصا**، ج٢، ص٢٢٣؛ حتامله، **الأندلس**، ص٥٥٨؛ حتامله، **موسوعة الديار الأندلسية**، ج٢، ص٧١٣ـ ٧١٤؛ عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين**، ص٣١٣.

Painter, S: A .**history of the middle ages**, 284- 1500, Newyork 1954 p. 196.

لقد خسـر الموحـدون في معـركة العقاب معظم جيشهم، وخسروا أيضا ما تركوه في معسكرهم وكان مقادير وافرة من العتاد والسلاح والخيام والذهب والفضة والنقود الذهبية والبسط والآنية الثمينة والثياب والأقمشـة الفخمة، ومقادير عظيمة مـن المؤن، وآلاف مـن دواب الحمل، وهي أعظـم الغنائم التي ظفر بها النصارى. هذا إضافة إلى خيمة الناصر الحريرية الموشاة بالذهب[١]

وقد كانت لهزيمة الموحدين في معركة العقاب هذه الهزيمة الشنيعة أسباب يتجمع معظمها في سبب واحد هو خيانة الوزير ابن جامع، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا. حبس أعطيات الوزراء والقادة والجند وتأخرها، وقد كانت هذه الأعطيات في عهد الخليفة المنصور تمنح كل أربعة أشـهر، ولكن في عهد الناصر، وبمشـورة من ابن جامـع، كان يتم تأخيرها، ولذلك كان الوزراء والقادة ساخطين، وكان الجند قد خرجوا للمعركة وهم كارهون، وبمعنويات خائرة، فقد أمسكت أرزاقهم، وقتر عليهم.[٢]

ثانيا. إعدام قائد قلعة رباح الأندلسي الباسل، قبل أن يسمع الخليفة الموحدي الناصر عذره في تسليم القلعة للنصارى، وكان ذلك بسبب الوزير ابن جامع الذي اتهم ابن قادس بالخيانة.[٣]

ثالثا. إهانة ابن جامع القادة الأندلسيين، وإنذارهم بمغادرة الجيش، فقد ثبط ذلك همم الأندلسيين في القتال، ويبدو أنهم أصروا في أنفسهم الإنتقام في اللحظة المناسبة التي واتتهم أثناء المعركة.

رابعا. اعتداد الناصر بكثرة جموعه، واعتماده على تفوقه العددي، وبالتالي عدم تحوطه في لقاء العدو. وليس مستبعدا أن يكون وزيره ابن جامع قد زين له أنه منتصـر بهـذه الجمـوع الكثيرة على كل حال، فتهاون في إدارة المعركة. وخلاصة القول أن ابن جامع زين للناصر الإستخفاف برجال الأندلس العارفين بقتال النصارى، ففسدت النيات، وكانت وقعة العقاب المشؤومة.[٤]

ومن يتتبع تاريخ الأندلس منذ سقوط قلعة رباح في أيدي النصارى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، سيلاحظ أن سقوطها لم يؤد إلى هزيمة الموحدين في معركة العقاب وحسب، وإنما إلى سقوط الأندلس كلها، فقد بدأت قواعدها تتهاوى تدريجيا في أيدي النصارى، إلى أن تهاوت كلها.

---

١. عنان، **دولة الإسلام في الأندلس ، عصر الموحدين** ، ص٣١٦-٣١٧.

٢. الحميري، **الروض المعطار**، ص٤١٦.

٣. المصدر نفسه، ص٤١٦؛ عنان، المرجع السابق، ص٣١٨.

٤. المقري، **نفح الطيب**، ج٤، ص٣٨٣.

الخاتمــة

الحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا كما يحب ويرضى، اللهم لك الحمد على ما أنعمت به علي من حسن تمام هذا البحث، الذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه، فتحقق ما صبوت إليه، وهو إضافة جديد إلى المكتبة العربية، وأسألك ربي المزيد من فضلك، ودوام توفيقك، فأنت أكرم مسؤول، وخير مأمول، وبعد:

فقد هدف اختيار (قلعة رباح ودورها العسكري منذ إنشائها حتى سقوطها٢٠٦ـ٦٠٩هـ/٨٢٢ـ١٢١٢م) موضوعا لهذا البحث إلى التعريف بهذه المدينة، وبالدور العسكري الذي قامت به كمدينة أندلسية إسلامية تعاقبت عليها عهود المسلمين في الأندلس: عهد الإمارة ثم عهد الخلافة الأموية، وعهد ملوك الطوائف، وعهد المرابطين، ثم عهد الموحدين. وهي عهود استغرقت نحو أربعمائة عام، شهدت خلالها أحداثا كثيرة، وتطورات وأوضاعا مختلفة حاول هذا البحث رصدها وتفصيلها.

وقد خلص هذا البحث إلى جملة نتائج يمكن تلخيصها بما يلي:

أولا: أثبت أن قلعة رباح إنما سميت بهذا الإسم نسبة إلى التابعي الجليل علي بن رباح اللخمي، الذي شارك في فتح الأندلس مع القائد موسى بن نصير. وهو إثبات يقيني لم تصل إليه المصادر التاريخية، حيث ذكر بعضها أنها سميت برباح الشخص الذي بناها دون أن يحدد هوية هذا الشخص، وذكر بعضها الآخر أنها ربما سميت بعلي بن رباح اللخمي دون أن يقطع بذلك.

ثانيا: خلص هذا البحث إلى أن قلعة رباح هي التي يطلق عليها صفة(المدينة البيضاء)، وليس (سرقسطة)، التي تكاد المصادر والمراجع تجمع على أنها هي التي تطلق عليها هذه الصفة. وقد انفرد المقري، صاحب كتاب نفح الطيب بإطلاق (المدينة البيضاء) على قلعة رباح، وهذا هو الأصوب.

ثالثا: خلص هذا البحث إلى أن (خلف الحصري) هو ـ على الأغلب ـ الخليفة الأموي هشام بن الحكم المستنصر (هشام المؤيد) نفسه، علما بأن جميع المصادر وكذلك المراجع التاريخية اعتبرتهما شبيهين، وهذه النتيجة التي توصل إليها البحث إنما توصل إليها بعد تتبع حياة المؤيد في الأندلس في أواخر عهد الدولة الأموية، حيث خرج إلى مكة المكرمة، ثم إلى القدس، وفيها عمل لدى حصري، ثم عاد إلى الأندلس وقد تعلم الصنعة، واستقر في قلعة رباح باسم مستعار هو خليل الحصري، ومارس صنعته: نسج الحصر، إلى أن استدعت الظروف السياسية إظهاره.

رابعا: توصل هذا البحث بمقارنة ما أوردته المصادر والمراجع حول معركة العقاب التي انتصر فيها النصارى على الموحدين إلى أن تلك المعركة وقعت بعد سقوط قلعة رباح في أيدي النصارى، وأن سقوطها في أيديهم هو الذي أدى ـ بين أسباب أخرى ـ إلى هزيمة الموحدين في المعركة.

خامسا: أن السبب الرئيس لسقوط قلعة رباح، ومن ثم هزيمة الموحدين في معركة العقاب إنما كان وزير الخليفة الموحدي الناصر، وهو أبو سعيد عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن جامع، فقد حال دون قيام الجيش الموحدي بنجدة فرسان قلعة رباح عندما حاصرتهم قوات النصارى، مما اضطرهم إلى تسليمها، وأهان الجنود الأندلسيين وأمرهم بالإنسحاب من الجيش الموحدي، فانسحبوا بينما كانت المعركة دائرة، مما أدى إلى الهزيمة.

سادسا: أن قلعة رباح ظلت طوال العهود الإسلامية تلعب دورا ملحوظا كقاعدة عسكرية ذات موقع استراتيجي بالغ الأهمية، وقد تمثل هذا الدور في إمداد الجيوش الإسلامية أثناء حروبها مع النصارى، وفي انطلاق فرسانها لإخماد الثورات المتلاحقة والفتن والقلاقل التي كان يثيرها أهل طليطلة ضد السلطة الشرعية. ويدل على أهمية هذا الدور ما ترتب على سقوطها في أيدي النصارى من نتائج سلبية على المسلمين في عهد الموحدين، حيث أصبحت خطوطهم الدفاعية مخترقة، مما سهل على النصارى الإنتصار عليهم.

المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

١. ابن الأبار ، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت . ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، **الحلة السيراء** ، ط٢، ٢ج، (تحقيق حسين مؤنس)،دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥.

٢. ابن الأثير ، عزالدين أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن واحد الشيباني (ت . ٦٣٠هـ) ، **الكامل في التاريخ** ،١٣ج، د.ط، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

٣. الإدريسي ،أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني (ت. ٥٦٠هـ) ، **صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** ، **مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في أخبار الآفاق** ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م .

٤. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ٨ج، (تحقيق إحسان عباس)،ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥. ابن بشكوال،أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت ٥٧٨هـ)، **الصلة**، ط١، ٣ج في مجلد واحد، (تحقيق ابراهيم الأبياري) دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٦. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت. ٧٣٩هـ)، **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط، ٣ج، في١م، (تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي)، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧. البكري ، أبو عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت . ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، **جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك**، ط١، (تحقيق عبدالرحمن الحجي) ، دار الإرشاد للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٨م .

٨. ابن حبيب ، عبدالملك ، (ت. ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م)، **كتاب التأريخ** ، (دراسة وتحقيق خوري أغوادي) ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي ، مدريد ، ١٩٩١م.

٩. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)،**جمهرة أنساب العرب** ،ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣.

١٠. أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي ،**رايات المبرزين وغايات المميزين**،ط١، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٧٨م.

١١. الحميدي ، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي(ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، ط٣، ٢م، (تحقبق إبراهيم الأبياري) ، دار الكتاب المصري ، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٢. الحميدي، أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)،**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦.

١٣. الحميري ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت. ٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** ،ط٢، (نشر وتعليق وتصحيح ليفي بروفنسال)، دار الجيل ، بيروت ،١٩٨٨م.

١٤. ابن حيان ، حيان بن خلف (ت. ٤٦٩هـ)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، (تحقيق محمود علي مكي)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٥. ابن حيان ، أبو مروان القرطبي (ت . ٤٦٩هـ) ، **المقتبس** ، ج٥ ،(نشر : ب. شالميتا وف .كورينطي وم. صبح)،المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، كلية الآداب ، الرباط ، ١٩٧٩م.

١٦. ابن حيان ، **المقتبس،** (تحقيق عبدالرحمن الحجي)، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م.

١٧. ابن خاقان (ت ٥٢٩هـ/١١٣٥م) ، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،ط١، (دراسة وتحقيق محمد علي الشوابكة)، دار عمار، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

١٨. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس** (تحقيق أحمد مختار العبادي)، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م.

١٩. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**،ط٢، ٤م، (تحقيق محمد عبدالله عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٠. ابن الخطيب، لسان الدين ابو عبدالله محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

٢١. ابن خلدون ، عبدالرحمن (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) ، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ٨ج، (ضبط خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٢٢. ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت ٦٨١هـ) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،٧ج، (تحقيق إحسان عباس) ، دار صادر، بيروت.

٢٣. ابن دراج القسطلي،(ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) **ديوان ابن دراج القسطلي** (تحقيق محمود علي مكي)، ط١، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٢٤. ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م) **المونس في أخبار إفريقيا وتونس** (تحقيق وتعليق محمد شمام)، مطبعة ٢٠ مارس، تونس، ١٩٦٧م.

٢٥. الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط١، ١٧م، (تحقيق بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٢٦. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، **سير أعلام النبلاء**، ط١١، ٢٨م، (تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي)، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٧. الرشاطي، أبو محمد(ت. ٥٤٢هـ/١١٤٧م) والإشبيلي،ابن الخراط (ت. ٥٨١هـ/١١٨٦م)، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**،(تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠م.

٢٨. الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط٢، (تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم) ، دار المعارف. د. ت.

٢٩. ابن أبي زرع الفاسي ، أبو الحسن علي بن عبدالله (ت ٧٤١هـ)،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٦٢م.

٣٠. الزهري ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت . أواسط القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي) ، **كتاب الجعرافية** (تحقيق محمد حاج صادق) ،مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، د . ت .

٣١. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت. ٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، **المغرب في حلي المغرب** ،ط٣، ٢ح، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د.ت.

٣٢. السمعاني ، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت. ٥٦٢هـ)،**الأنساب** ،ط١، ٥ج، (تقديم وتعليق عبالله عمر البارودي)، دار الجنان ، بيروت،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٣. ابن عاصم الغرناطي ، أبو يحيى محمد (ت.٨٥٧هـ)، **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**، ٣ج، (تحقيق صلاح جرار)،دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٩م

٣٤. ابن عذاري المراكشي ،أبو العباس أحمد بن محمد (ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ،الجزآن الأول والثاني والثالث، ط٣، (تحقيق ومراجعة ج.س.كولان ، وليفي بروفنسال) ، الجزء الرابع،(تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.
و**البيان المغرب ـ قسم الموحدين** (تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة)، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٣٥. العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان، والمسالك إلى جميع الممالك**، (تحقيق عبدالعزيزالأهواني)، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد، ١٩٦٥م.

٣٦. ابن غالب ، محمد بن أيوب (ت. بعد عام ٥٦٥هـ) ، **قطعة من كتاب فرحة الأنفس في أخبار أهل الأندلس** م١، ج١، (نشر لطفي عبدالبديع)، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

٣٧. ابن الفرضي ،أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت ٤٠٣هـ) **تاريخ علماء الأندلس** ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م.

٣٨. ابن قتيبة الدينوري،أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، **الإمامة والسياسة** ،٢ج، دار الفكر ، بيروت،١٩٧٠م.

٣٩. ابن القطان المراكشي، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي (ت منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**،(تحقيق محمود علي مكي)، ط دار الغرب الإسلامي.

٤٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**،١٤ج، (شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب)، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٤١. ابن القوطية القرطبي ، أبو بكر محمد بن عمر(ت .٣٦٧ هـ/٩٧٧م)، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، (تحقيق عبدالله أنيس الطباع) ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧م.

٤٢. ابن الكردبوس ، أبو مروان عبدالملك (ت . بعد٥٧٣هـ) ، **تاريخ الأندلس** ، (تحقيق أحمد مختار العبادي) ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م.

٤٣. المالكي ، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت. ٤٥٣هـ) ، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم** ، ط٢، ٢ج، (تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي)، ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

٤٤. مجهول ، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم** ، مطبع ريدنير ، مجريط، ١٨٦٧م.

٤٥. مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تونس، ١٣٢٩هـ

٤٦. مجهول، **ذكر بلاد الأندلس** ، نشر لويس مولينا ، مدريد ، ١٩٨٣م.

٤٧. المراكشي، محي الدين عبدالواحد بن علي (ت. ٦٢٠هـ/١٢٢٤م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب(من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين)**،ط١، (تحقيق محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي)، مطبعة الإستقامة، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٤٨. المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت . ١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ٨ ج، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

٤٩. الناصري،أبو العباس أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ،٩ج، (تحقيق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري)، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٦م.

٥٠. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب(ت . ٧٣٣هـ) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ٢٤ج، (تحقيق أحمد كمال زكي، مراجعة محمد مصطفى زيادة)، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، ١٩٨٠م.

٥١. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت.٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، **معجم البلدان** ، ٥م، دار الكتاب العربي ، بيروت، د.ت.

٥٢. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، **معجم الأدباء** ، ط٣، ٢٠ج، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٠هـ.

ثانيا. المراجع العربية:

١. أرسلان، الأمير شكيب، ١٩٨٣م، **خلاصة تاريخ الأندلس**، بيروت ، دار مكتبة الحياة.

٢. أشباخ، يوسف، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، (ترجمه وعلق عليه محمد عبدالله عنان) ، ط٢،٢ج، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٣. الأشتر، صالح، **معركة الأرك (٥٩١هـ/١١٩٥م)**، بيروت، دار الشرق العربي.

٤. حتامله ، محمد عبده ، **موسوعة الديار الأندلسية** ،٢ج، عمان ، الأردن .

٥. حتامله، محمد عبده، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الأندلس : **التاريخ والحضارة والمحنة** ، عمان-الأردن، مطابع الدستور التجارية.

٦. حتامله، محمد عبده، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، عمان، الأردن.

٧. الحجي، عبدالرحمن علي، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دمشق، بيروت، الكويت، الرياض، دار القلم.

٨. حسين ، حمدي عبدالمنعم محمد، ١٩٩٣م، **ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨- ٣١٦هـ/٧٥٦- ٩٢٨م)** ، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٩. أبا الخيل، محمد بن إبراهيم، ١٤١٦هـ، **الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري** ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م ، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

١٠. أبا الخيل، محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، **جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين(٤٨٣هـ/١٠٩٠م - ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)**، ط١، بريدة، القصيم، السعودية، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع.

١١. الدليمي، إنتصار محمد صالح، ٢٠٠٥م، **التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (٣٠٠-٣٦٦هـ/ ٩١٢-٩٧٦م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، الموصل، العراق.

١٢. أبو رميلة، هشام، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، ط١، عمان، الأردن، دار الفرقان.

١٣. زيتون، محمد محمد، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، **المسلمون في المغرب والأندلس**.

١٤. سالم ، السيد عبدالعزيز، ١٩٧١م، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ،٢ج، بيروت.

١٥. سالم، السيد عبدالعزيز، ١٩٦٢م، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ، بيروت.

١٦. سالم، السيد عبدالعزيز، ١٩٨٤م، **تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

١٧. سالم، السيد عبد العزيز، ١٩٨٥م، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

١٨. السامرائي، خليل ابراهيم صالح، ١٩٨٥م، **علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، الجمهورية العراقية**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة دراسات(٣٧٧).

١٩. سحر سالم، السيد عبدالعزيز،١٩٩١م، **تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلامي**، ٢ج، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

٢٠. السحيباني، حمد بن صالح، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، **الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم - عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجا(دراسة تاريخية تحليلية)**،ط١.

٢١. السرجاني، راغب، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، ط١، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

٢٢. سويلم، سائدة عبدالفتاح أنيس، ٢٠٠١م، **علاقة الإمارة الأموية في الأندلس مع الممالك النصرانية في إسبانيا (١٣٨-٣٠٠هـ/٧٥٥-٩١٢م)**،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

٢٣. الشطشاط، علي حسين، ٢٠٠١م، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٤. الصلابي، علي محمد محمد، ١٩٩٨م، **دولة الموحدين**، عمان، دار البيارق للنشر.

٢٥. العبادي ، أحمد مختار، ١٩٨٦م، **في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط٢، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٦. العبادي، أحمد مختار، ٢٠٠٠م، **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ط١، الإسكندرية، منشأة المعارف.

٢٧. العبادي ، أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٢٨. العمايرة، محمد نايف جريوان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، **مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الإسبان** ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.

٢٩. عنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، **دولة الإسلام في الأندلس ،العصر الأول**، ٦م، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي.

٣٠. عنان، محمد عبدالله، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، **مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام**، ط٥، حسين عنان.

٣١. كيلاني، كامل، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، **ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام للعلامة دوزي**، ط١، مصر، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣٢. محمود، منى حسن، ١٩٨٦، **المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة**، القاهرة، دار الفكر العربي.

٣٣. أبو مصطفى، كمال السيد، ١٩٩٧م، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، مركز الإسكندرية للكتاب .

٣٤. مؤنس، حسين، ١٩٥٩م، **فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)**، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر.

٣٥. مؤنس ،حسين، ١٩٨٦م، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، ط٢، مدريد.

٣٦. مؤنس، حسين، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م**، مكتبة الثقافة الدينية.

٣٧. النجار، عبدالمجيد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت (الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري)**، هيرندن، فرجينيا، المعهد العالي للفكر الإسلامي.

٣٨. نصرالله، سعدون عباس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، ط١، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٣٩. نعنعي، عبدالمجيد، **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس - التاريخ السياسي**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1. Altamira.R: **A History of Spain from the beginnings to the present day**. Translated by: Muna Lee. Copyright 1949. By D.Van Nostrand Company. Canada. Ltd.

2 .Meakin, B: **The Moorish empire**, London, Newyork 1954 .

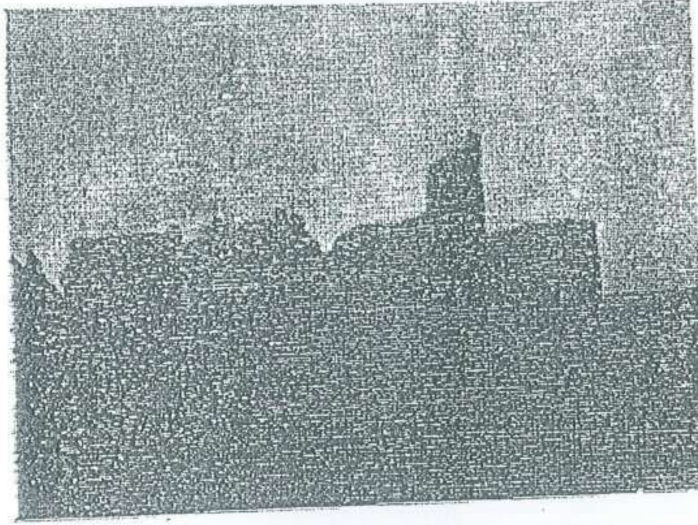
3. O'catlaghan.F. J: **A History of medieval Spain**, Copyright 1975, Cornell University, Ithacam, Newyork.

4. Painter, S: **A history of the middle ages**, 284- 1500, Newyork 1954.

5. Scott. S. P: **A history of Moorish empire in Europe** v.II,III Philadelphia, London 1904.

الصور والخرائط

أطلال قلعة رباح



أطلال قلعة رباح
المصدر: دولة الإسلام في الأندلس
العصر الثالث/ اقسم الثاني: دولة الموحدين
محمد عبد الله عنان

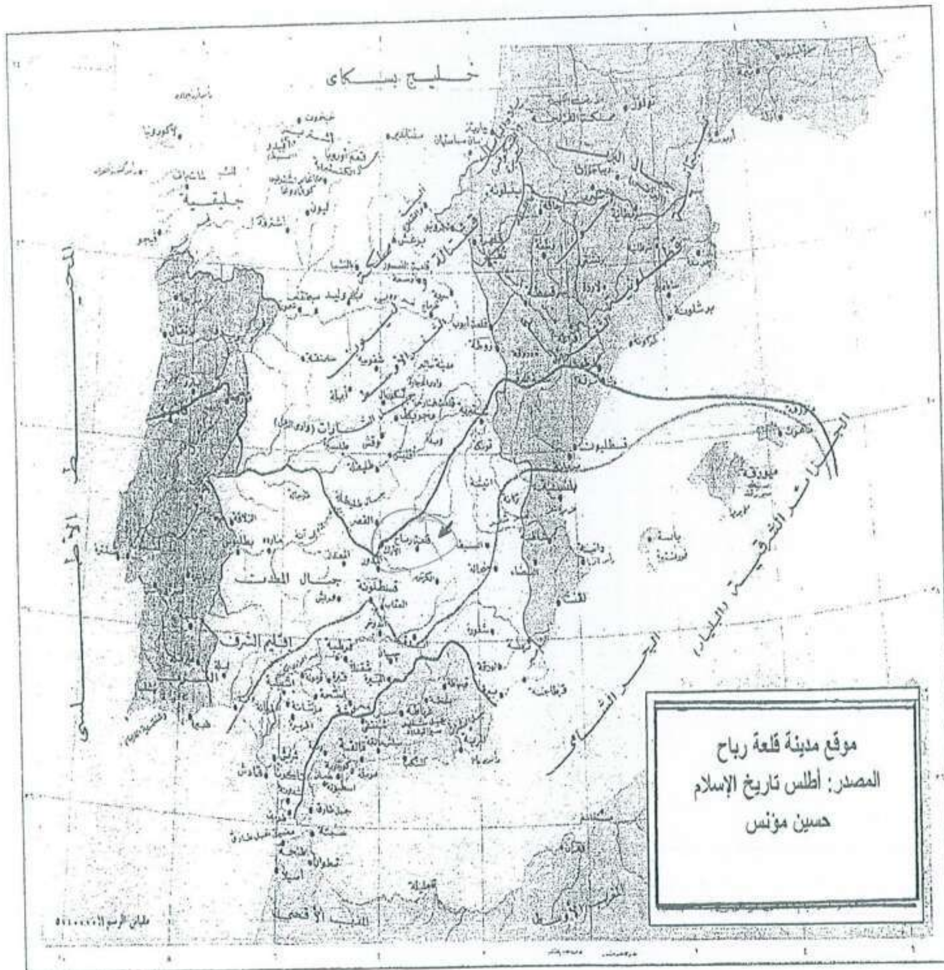
قلعة رباح



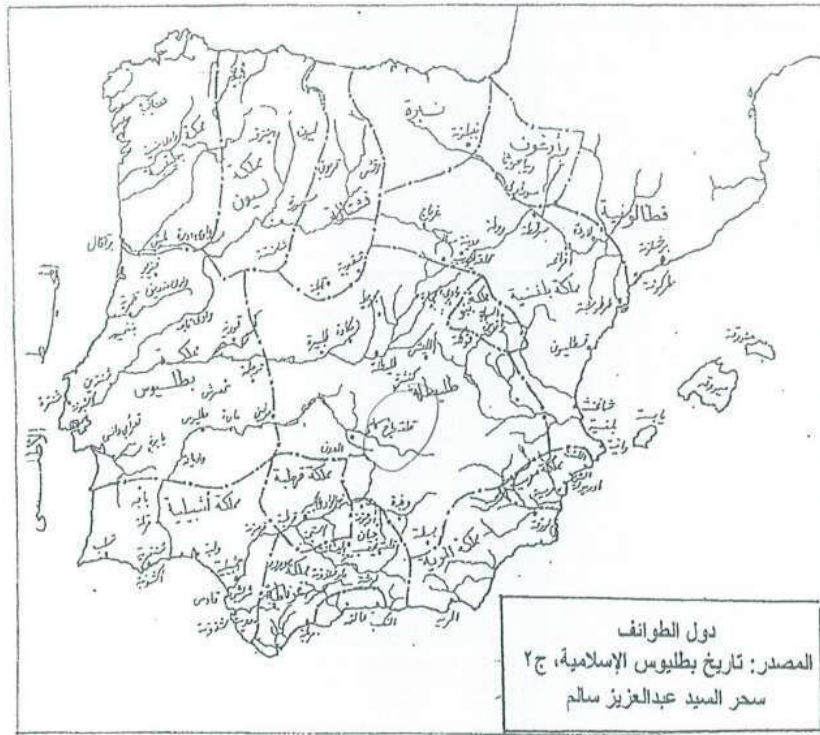
قلعة رباح

المصدر : Wikipedia.the free encyclopedia - Calatrava

موقع مدينة قلعة رباح

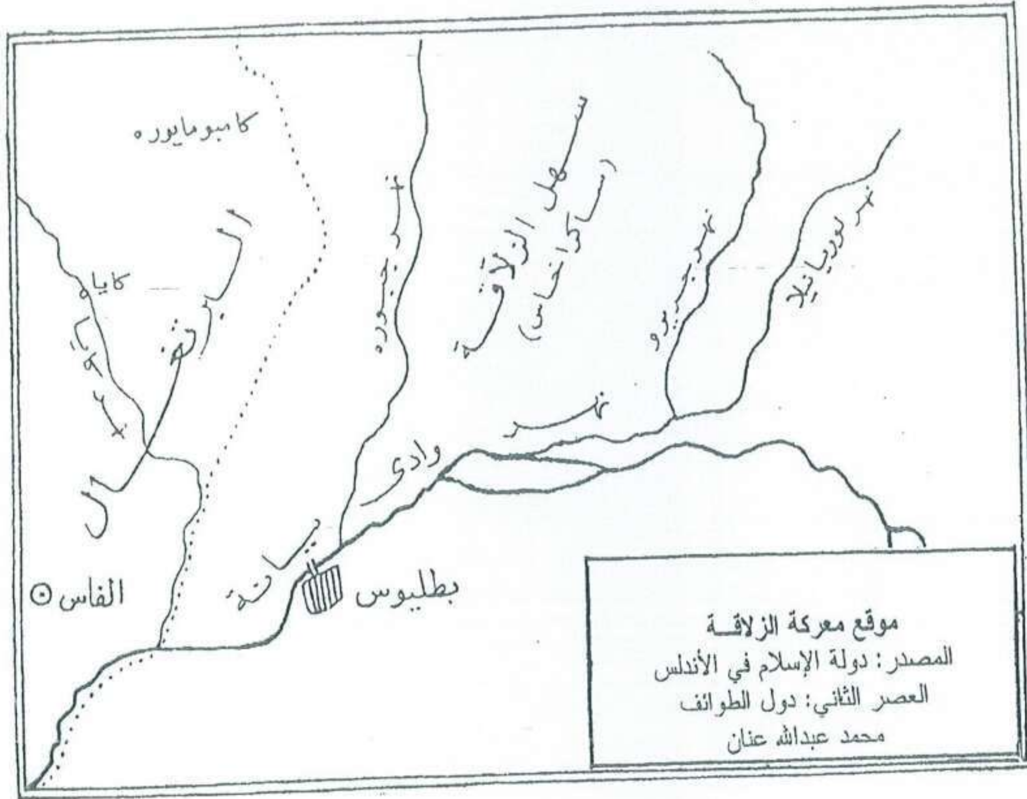


دول الطوائف

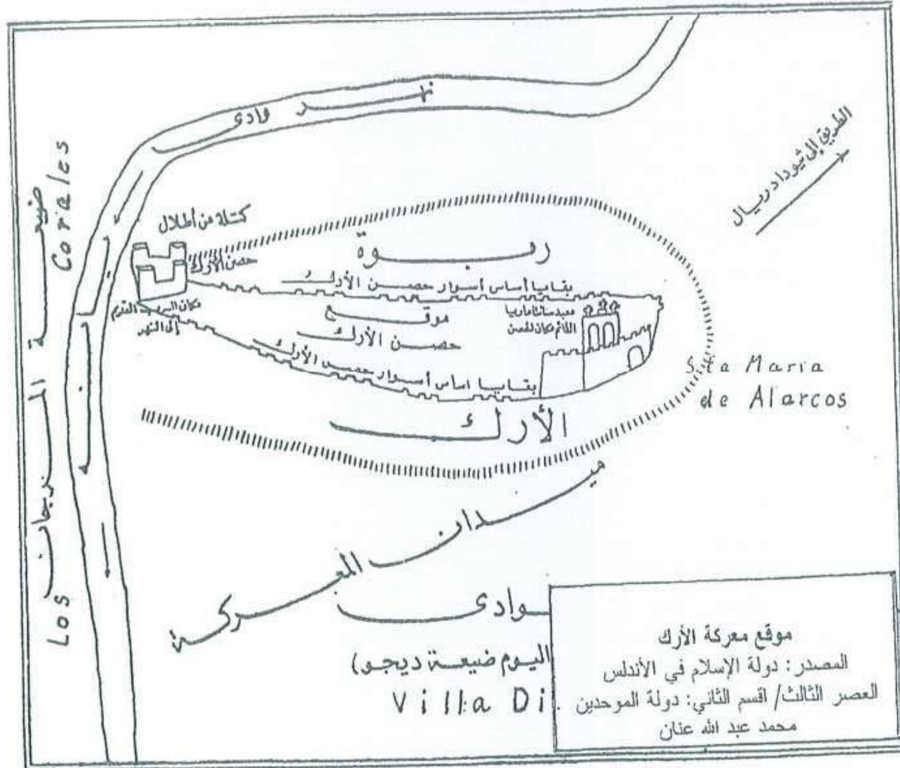


دول الطوائف
المصدر: تاريخ بطليوس الإسلامية، ج٢
سحر السيد عبدالعزيز سالم

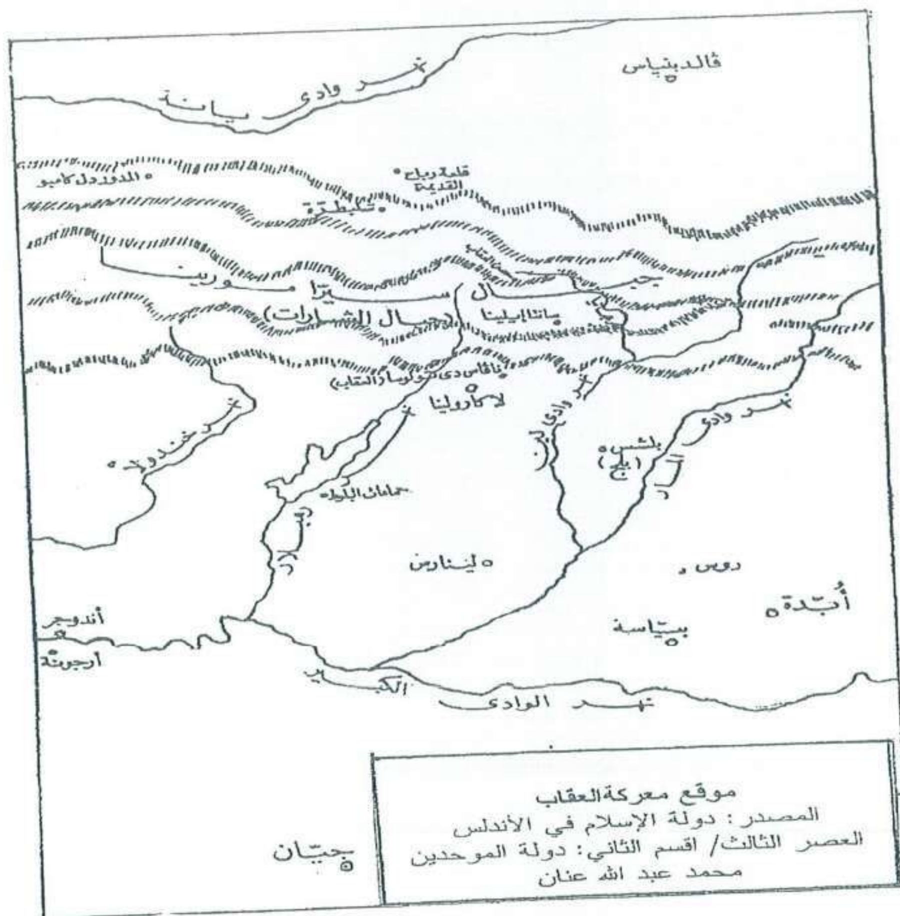
موقع معركة الزلاقة



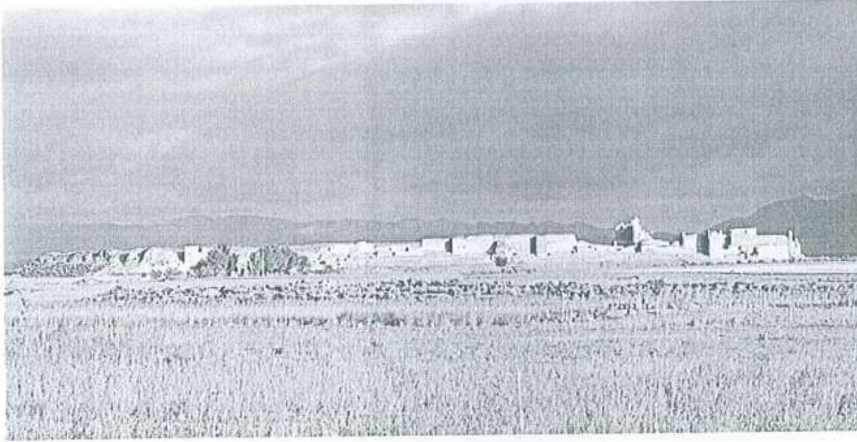
موقع معركة الأرك



موقع معركة العقاب



مدينة قلعة رباح



مدينة قلعة رباح

http://www.aadaat.com